www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

كنوز قرآنية

تأليف
دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري

الدار العالمية للنشر والتوزيع

www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

كل الحقوق محفوظة

للدار العالمية للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الدار العالمية للنشر والتوزيع

١٠ ش محمود صدقي متفرع من ش الإقبال - لوران - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٣ / ت: ٠٣٥٨٥٧١٤١ / تلفاكس: ٠٣٣٨٠٩٧١٧

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الكتب www.dar-alkotob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فإن أولى ما ينبغي أن يهتم به المسلمون كتاب الله إذ فيه خيرهم ومجدهم في الدنيا قبل الآخرة، وقد قام علماؤنا الأوائل ـ رضوان الله عليهم ـ بخدمته أيما خدمة، فكتبوا التفاسير وأفردوا كتبًا لأسباب نزول الآيات وعلومه، فأعجزوا من بعدهم أن يزيد عليهم فيما كتبوا فيه ولذا سأجعل هذا الكتاب تنبيهًا على معانٍ إيمانية وفوائد علمية لغوية يزيد الإيمان بمعرفتها وتزداد حلاوة القرآن في القلب بفهمها عسى أن يكون هذا الكتاب فاتحة لطريقة جديدة في تعاملنا مع كتاب الله فهو كنز لا تفنى عجائبه ففيه الخير للفقيه ولعالم العقيدة، ولأهل اللغة ولأصحاب الأبحاث العلمية ولغيرهم، والله المستعان.

عملي في الكتاب:

قمت بكتابة تعليقات على كثير من الآيات في قرابة ستمائة ورقة ليكون كتاب تفسير، ولكن نظرًا لضعف الهمة وخوفي أن يكسل الناس عن قراءته فقمت باختصاره بكتاب التعليقات التي لم أرها في كتب التفسير السابقة فقط وبتقسيم الكتاب إلى فصول، وذكرت في كل فصل التعليقات الخاصة به مع تصدير كل تعليق بالآية التي أتكلم عليها، فأحيانًا أذكر الآية كاملة، وأحيانًا أذكر الجزء المعلق عليه منها فقط، وسميت هذا المختصر **(الكنوز القرآنية)**، إذ ما فيه أغلى عندي والله من كنوز الدنيا بأسرها، فأسأل الله أن ينفعني به وجميع المسلمين في الدنيا والآخرة آمين.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

تنبيه هام:

لا يستطيع غير معصوم أن يجزم بمراد الله من استعمال حرف مكان حرف أو فعل مكان فعل إلى غير ذلك مما ناقشته في هذا الكتاب ولكن ما ذكرته إنما هو احتمال ظهر لي صحته، ولا يعني هذا أنه المراد يقينًا، ولا أنه هو وحده المراد فقد يستعمل الحرف لعدة أغراض ولكن حسبي مما كتبته أن أفتح بابًا جديدًا للتعامل مع كتاب الله إلى جانب ما أرجوه من أن يكون هذا الكتاب سببًا لزيادة حلاوة القرآن والإيمان في قلوبنا، ولذا أنبه على أن ما ذكرته من تعليل أو توضيح إنما هو احتمال وقد ذكرت قبل إزالة الإشكال في بعض الآيات كلمة «فيحتمل» ولم أذكرها نسيانًا أو اختصارًا قبل كثير من التوضيحات وإلا فلابد من وضعها قبل كل توضيح ذكرته في هذا الكتاب.

كتبه

د/هشام عبد الجواد الزهيري

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الفصل الأول

الكنوز الإيمانية في حروف الجر

ومقصـدي من هذا الفصل إيضاح حلاوة أسلوب القـرآن، وكيف أن القرآن ذكر حروفًا للجر مع أفعال ليدل على مـعانٍ زائدة فقد قال أهل اللغة إذا استعمل حرف جر مع فعل لا يعـتاد ذكر هذا الحرف معه فإن الفـعل يتضمن معنى زائدًا يليق بهذا الحرف المستعمل، وسيتضح هذا المعنى من خلال الأمثلة التي سأذكرها إن شاء الله.

١ ـ قال تعالى في سورة إبراهيم نقلاً لقول إبراهيم ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ (إبراهيم: ٣٩)، فالمتبادر إلى العـقل القاصر أن يقول الله: «الحمـد لله الذي وهب لي مع الكبر»، أي: مع كوني كـبيرًا عـجوزًا ومع ذلك وهب الله لي إسـماعـيل وإسحاق، فـإن قيل لـم قال الله ﴿عَلَى﴾؟ قلت: قال الشعراوي ـ رحمه الله ـ: «كأنَّ إبراهيم يقول كبـر سني وعجزي سببٌ كبير لعدم الذرية، ولكنَّ قدرة الله أعلى من الأسباب البشرية فقال: ﴿عَلَى﴾، أي: قدرة الله ورحمته علت على الأسباب المحسوسة».

٢ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، أي: فليحذر من يخالف أمر رسول الله ﷺ أن يعاقبهم الله فإن قيل لم قال: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، ولم يقل: «يخالفون أمره»؟

قلت: هكذا والله حلاوة القـرآن فكأنَّ فعل ﴿يُخَالِفُونَ﴾، تضمن مـعنى فعل آخر وهو «يعرضون» فيكون سياق الآية: «فليحذر الذين يخالفون ويعرضون عن

www.dar-alkotob.com دار الكتب

أمر رسول الله»، فحذف الله كلمة «يعرضون» اختصارًا، وذكر حرف الجر ﴿عَنْ﴾، ليدل على المعنى؛ فسبحان من هذا كلامه، فإن قيل: ولم احتيج إلى ذكر معنى الإعراض ها هنا؟ قلت: لأن العبد قد يخالف أمر رسول الله ﷺ جاهلاً بأن الرسول أمر بهذا أصلاً، فهذا لا إثم عليه طالما لم يبلغه أن الرسول أمر بهذا، إنما الإثم على من خالف وأعرض؛ فالإعراض يقتضي أنه علم فترك أو كان بإمكانه أن يتعلم فلم يفعل فأكرم بحلاوة القرآن!!

٣. قال تعالى في سورة البقرة عن المنافقين: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة:١٤)، ولم يقل: «خلوا مع»؛ فالله يعيب في هذه الآية المنافقين الذين كانوا يظهرون توددهم للمؤمنين فإذا خلوا مع اليهود قالوا: نحن معكم، وعلى نصرتكم، وإنما نستهزيء بالمسلمين فقال الله: ﴿خَلَوْاْ إِلَى﴾ ليضمن فعل ﴿خَلَوْاْ﴾ معنى الذهاب الذي يستعمل مع حرف الجر ﴿إِلَى﴾، فيكون معنى الآية: «وإذا ذهبوا إلى شياطينهم وخلوا معهم قالوا إنا معكم»، فحذف الله كلمة «ذهبوا» وذكر حرف الجر «إلى» الذي يدل عليها؛ فإن قيل ولم ضمن معنى الذهاب في فعل «خلوا»؟ قلت: ليدل على جبن المنافق، إذ لا يستطيع أن يظهر كفره إلا إذا خلا مع زملائه وأقرانه من الكفار.

* ثم تأمل قوله تعالى في نفس الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، كأن علاقة المنافق بالمؤمنين مجرد لقاء عابر، فقال تعالى: ﴿لَقُوا﴾، أما علاقته باليهود فهي علاقة صداقة وخلوة ومصاحبة فقال تعالى: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ﴾.

٤. قال تعالى في سورة البقرة نقلاً لقول الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة:٣٢)، لما علَّم الله آدم أسماء كل شيء عرضهم على الملائكة ليخبروه بأسمائها فقالوا: لا علم لنا، فتأمل قولهم: ﴿لا عِلْمَ لَنَا﴾، ولم يقولوا: «لا علم

www.dar-alkotob.com دار الكتب

عندنا»، وذلك لأن الملائكة عالمة بالله وبحقيقة علم المخلوقات، فالمخلوق لا علم عنده ولا شيء عنده بل العلم الذي عنده هو علم موهوب له من الله، فكأنَّ الملائكة تقول: «لا علم موهوب لنا»، فيا أيها المعجبون المتكبرون بالعلم أنسيتم أنه هبة من الله لكم!!

٥ - قال تعالى في سورة فصلت: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (فصلت:٦)، ولم يقل سبحانه: «فاستقيموا له» وذلك لأنه ضمن فعل ﴿اسْتَقِيمُوا﴾، معنى التوبة التي يستعمل معها ﴿إِلَيْهِ﴾، فيقال «تاب إلى الله»، فكأنَّ الاستقامة هي التوبة إلى الله، إذ ما من عبد يستطيع أن يوفي الله بعض حقه وفي الحديث الصحيح: **«واعلموا أنه لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟، قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»**، فلا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦ - قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (الشورى:٢٥)، ولم يقل: «وهو الذي يقبل التوبة من عباده»، وذلك لأنه ضمن فعل «يقبل التوبة» معنى العفو فكأنَّ السياق «وهو الذي يقبل التوبة ويعفو عن عباده»، فحذف فعل «يعفوا» ودل عليه بلفظة «عن» وذلك لأن التوبة من الله على عبده تتضمن عفو الله ومسامحته لعبده، بل توبتنا ناقصة تحتاج إلى توبة ولكن الله هو العفو سبحانه.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، ولم يقل: «ويعفو عمن فعل السيئات»، وذلك لأن العبد ربما عفا عمن أخطأ في حقه، ولكن يبقى في نفسه تذكر هذا الخطأ، ولكن الله يعفو عن السيئة نفسها كأن لم تكن فضلاً عن عفوه عن المسيء.

٧ - قال تعالى في سورة القلم نقلاً لما قاله أصحاب الحديقة لما دمرها الله عقاباً لتركهم الزكاة: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (القلم:٣٢)، وقال في سورة التوبة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

www.dar-alkotob.com دار الكتب

رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ من فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (التوبة: ٥٩)، فتأمل قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، ولم يقل: «في الله راغبون»، وذلك لأنه ضمن قوله: ﴿رَاغِبُونَ﴾، معنى التوبة فكأن السياق «إنا إلى الله تائبون وفي فضله راغبون»، فحذف كلمة «التوبة»، ودل عليها بحرف الجر «إلى» فإن قيل: ولِمَ هذا؟، قلتُ: لأن آية القلم تتكلم عن أصحاب الحديقة الذين أرادوا منع الفقراء من ثمارها، فذهبوا لحصاد الثمار ليلاً فأحرقها الله عقابًا لهم، فقالوا: قد تبنا إلى الله ورغبنا إليه عساه أن يعوضنا بدل ثمارنا، فذكر الكريم سبحانه معنى التوبة والرغبة معًا في قوله: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، وكذلك الآية التي في سورة التوبة تلوم المنافقين على كونهم لا يرضون بما يعطيهم الرسول ويطلبون أكثر، فقيل لهم: «توبوا إلى الله وارغبوا في فضله عساه أن يعطيكم أكثر ويبارك لكم أكثر».

* وفي هذا تعليم للعباد إذ ربما دعا أحدهم ربه ورغب إليه ظانًا أنه يستحق عطاء الله لعملٍ صالحٍ عمله أو عملين فقيل له: إذا أردت فضل الله فارغب إليه وادعه دعاء التائب الذي يرى أنه لا يستحق شيئًا إلا أن يتفضل الله، لا دعاء من يرى لنفسه استحقاقًا، والله المستعان على تطبيق هذه المعاني الإيمانية العظيمة.

٨. **قال تعالى عن المنافقين:** ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ (التوبة: ٤٧)، ولم يقل: «لو خرجوا معكم»، كأنَّ الله يقول للمؤمنين: لا تحزنوا لعدم خروج هؤلاء المنافقين معكم في الجهاد فالله هو الذي ثبطهم، وذلك لأنهم لو خرجوا لكانوا «معكم»، أي: في وسطكم فقط، أما أن يكونوا «معكم» بقلوبهم فلا، فالمعية تقتضي المشاركة والترابط والتعاون، والمنافقون ليسوا هكذا، فكان الأدق أن يقال: ﴿فِيكُم﴾، وليس معكم، والحمد لله.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٩ . قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ (النساء: ٤)، ولم يقل: «فإن طبن لكم بشيء»، وذلك لأنه ضمن فعل «طبن» معنى العفو فالمعنى «فإن طبن وعفون عن شيء فكلوه»، فحذف «عفون» ودل عليها بلفظة «عن»، ولعل السر في هذا أن يبين الله أن تنازل المرأة عن بعض صداقها إنما هو عفو مستحب منهنّ وليس بواجب عليهن.

١٠ . قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، ولم يقل: «وتقطعت عنهم الأسباب» فالأسباب هنا هي العلاقات والمحبة التي كانت بينهم في الدنيا فلو قال: «تقطعت عنهم»، لربما ظنّ ظان زوال المحبة بينهم مع عدم تضررهم بذلك فلما قال: «تقطعت بهم»، دل على أنه قد زالت العلاقات بينهم وهم كذلك تقطعوا وعذبوا.

١١ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١)، ولم يقل: «يسارعون إلى الخيرات»، وذلك لسر بديع إذ قوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يدل على أنهم ينتقلون من طاعة إلى طاعة، ومن خير إلى خير، بعكس ما لو قال: «إلى» لربما دلت على أنهم انتقلوا من المعصية إلى الطاعة والآيات في هذا الموطن تتحدث عن السابقين، ويقرب هذا إلى الأذهان قولك: «مشيت في المدرسة» فإنها تدل على أنك تنتقل من فصل إلى فصل في المدرسة بعكس ما لو قلت: «مشيت إلى المدرسة»، فإنها تدل على أنك مشيت من خارجها إليها.

* وكذلك قوله في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (آل عمران: ٧٦)، أي ينتقلون من كفر إلى كفر ومن معصية إلى معصية.

١٢ . قال تعالى نقلاً لقول الصالحين: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣)، ولم يقولوا: «توفنا إلى الأبرار»، وذلك ليدل على أنهم

www.dar-alkotob.com دار الكتب

كانوا مع الأبرار في الدنيا فأرادوا من ربهم أن يتوفاهم إليهم في الآخرة، فكأنَّ السياق «كما أحييتنا مع الأبرار توفنا إليهم»، فحذف «كما أحييتنا» ودل عليها بلفظة «مع» بخلاف ما لو قالوا: «وتوفنا إلى الأبرار». لربما فهم فاهم أنهم كانوا في الدنيا على غير طريقتهم وأرادوا أن يحشروا إليهم.

* وفي قوله: ﴿مَعَ الأَبْرَارِ﴾، إشارة كذلك إلى أنه من أراد أن يلحق بهم فليكن في الدنيا معهم.

١٣ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢)، ولم يقل: «لا تأكلوا أموالهم مع أموالكم»، وذلك لأنه ضمن فعل «تأكلوا» معنى الضم فكأنه يقول: «لا تضموا يا معشر القائمين على اليتامى لا تضموا أموالهم إلى أموالكم وتأكلوها»، فحذف كلمة «تضموا» ودل عليها بحر الجر «إلى» ليدل على أن مجرد الضم بنية الأكل حرام، وليدل كذلك على أن الضم بنية التجارة لمال اليتيم جائزة ولكن بشروط ذكرها الفقهاء، فسبحان ربي الأعلى!!!

١٤ - قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأحزاب: ١٩)، ولم يقل «أشحة بالخير»، ليدل على شدة حرصهم مع بخلهم، فكأنه قال: «حريصين على المال بخلاء به»؛ فالخير هاهنا هو المال، ولما كان المرء قد يكون حريصًا على جمع المال ولا يبخل به والعكس، أخبر الحق سبحانه أن هؤلاء المنافقين يتصفون بالأمرين معًا.

١٥ - قال تعالى نقلاً لقول فرعون لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩)، ولم يقل: «مع المسجونين» إشارة إلى وجود السجن الانفرادي للملتزمين عند الفراعنة منذ قديم الزمان، فقد هدد فرعون موسى بأنه سيجعله مسجونًا ولكن وحده وليس مع المسجونين خشية أن يقنعهم موسى

www.dar-alkotob.com دار الكتب

بدعوته الحق، إذ كلامه ومنهجه قريب إلى الحق، ثم المسجون ليس معه ما يفسده من مطغيات الحياة ومتطلباتها فهو سهل الانقياد للحق، ولذلك حرص أعداء الدين في كل بلد على فصل الملتزم في سجنه عن غيره.

١٦ـ قال تعالى في سورة طه: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ (طه:٩٩-١٠١)، فقال سبحانه: ﴿سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾، ولم يقل: «عليهم»، مع أننا نقول: «هذا حملٌ على البعير»، ولا نقول: «هذا حمل للبعير»، فالله أعلم بحكمة ذلك ولعل الحكمة من ذلك أن يبين الرب سبحانه أن العصاة تمتعوا بالأوزار وظنوا أن هذه المتعة والسعادة لهم ولكنها في الحقيقة عليهم والله أعلم.

تنبيه: قال المفسرون في مثل هذا التعبير «لهم» بمعنى «عليهم» وهذا كلامٌ صحيح، ولكن يبقى التساؤل لماذا ذكر الله هذا اللفظ أعني «لهم» ولم يقل: «عليهم»؟ فالقاعدة التي أريد توضيحها في هذا التفسير هي أن اختيار الله لكلمة ما ليتكلم بها دون أخرى وهما بنفس المعنى لابد له من حكمة فكلام الله ليس ككلام البشر ـ نعم ـ قد يفتح الله على البعض بمعرفة هذه الحكمة وقد لا يعلمها أحد، ولكن لابد من العلم بوجود حكمة.

١٧ـ قال تعالى في سورة طه نقلاً لقول موسى وهارون لفرعون: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (طه:٤٨)، ولم يقل: «أن العذاب لمن كذب وتولى»، وذلك لأن فرعون علا وتكبر وتجبر فقيل له قدرة الله أعلى منك وعذابه آت لك لا محالة، ويحتمل أن نقول الجملة فيها محذوف هو «واقع»، ودل الله عليه بقوله «على» ليدل سبحانه على أن العذاب واقع لا محالة وليس مجرد تهديد.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ويحتمل أن يكون المحذوف كلمة «مسلط» وحذفت ودل عليها كلمة «على» فيكون المعنى «أوحي إلينا أن العذاب مسلط على من كذب وتولى»، وفي هذا تهديد وتخويف شديد إذ التسليط يقتضي عدم فوات أي مكذب أو متول كما تقول: «سلطت النار على الحديد»، فإنه يدل على تسلط النار على كل أجزاء الحديد.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، ولم يقل «بعثنا إلى كل أمة»؛ وذلك لأن الله يختار الرسل رجالاً نشأوا في قومهم ليعرفوا أخلاقهم وطباعهم حتى إذا دعوهم إلى التوحيد كان أدعى لاتباعهم إذ قد عرفوا حسن سيرتهم من قبل فكان الأدق أن يقال «في» وليس «إلى» ليدل على أنَّ الرسل نشأوا في بلاد قومهم.

١٩ ـ قال تعالى في سورة محمد: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ (محمد: ٣٨)، ولم يقل: «على نفسه» كأنه تضمن فعل «يدفع» فخدفه الله ودل عليه بحرف «عن» فيكون المعنى «ومن بخل فإنما يدفع عن نفسه البركة التي كانت ستنزل عليه لو تصدق فلما بخل منع نفسه من الخير فهو بخيل على نفسه في الحقيقة».

٢٠ ـ قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ (الزمر: ٨)، ولم يقل «ما كان يدعوه» كأنه ضمن فعل «يدعوا» معنى يتضرع وحذف فعل «يتضرع»، ودل عليه بقوله: «إليه» فيكون المعنى «نسي الله الذي كان يدعوه ويتضرع إليه من قبل».

٢١ ـ قال تعالى في سورة الإسراء لليهود: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)، ولم يقل: «وإن أسأتم فعليها»، وذلك لأن المعصية في الحقيقة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

إساءة للنفس وتحقير لشأنها عند الله وعند الناس، ثم هي كذلك إساءة لها بحرمانها من حلاوة الطاعة في الدنيا ونعيم الجنة في الآخرة.

٢٢ - قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا﴾ (مريم:١٦)، فقوله «من» يفيد أنها غادرت البيت، ولكنَّ ولائها لأهلها مازال باقيًا فهي منهم تحبهم ويحبونها، فالمرء قد يترك أهله ساخطًا عليهم، ولكنها لم تفعل، وإنما تركت مجاورتهم حسيًا لتتفرغ للعبادة، وأما القلب فهو على موالاتهم ومودتهم.

٢٣ - قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣)، ولم يقل «أحبطنا» وذلك لأن قوله ﴿قَدِمْنَا إِلَى﴾ يدل على البعد - نعم ليس شيء بعيدًا عن الله -، ولكن الآية تدل على أن العمل كان بعيدًا عن الحبوط في نظر العامل، فما أشدها من آية مخوفة لمن ركن إلى عمله ووثق فيه!! فأسباب حبوط العمل كثيرة كالشرك والعجب والرياء وغيرها.

٢٤ - قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:٢٧)، فزاد ﴿عَلَى﴾، وذلك لأن النادم يطرق رأسه على يده همًا وحزنًا ،فالظالم يعض يده ويطرق نادمًا مهمومًا معًا فحذف الإطراق وأتى بحرف ﴿عَلَى﴾ الدال عليه.

٢٥ - قال تعالى في سورة المطففين: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين:٢٧-٢٨)، ولم يقل: «منها»، ليضمن فعل يشرب معنى الرِّي فهم يشربون من العين ويرتون بها فحذف فعل (يرتون» وأتى بحرف الجر «بها» ليدل عليه، وكذا قوله في سورة الإنسان: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان:٦)، فإنها تدل على الري، وليس مجرد الشرب.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٢٦ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: ٢٨)، أي حسيبًا ولم يقل «لكل شيء حسيبًا» لأن الحاسب والمحاسب قد يكون رئيسًا وقد يكون مرؤسًا فبين سبحانه أنه حسيب على الخلق فوقهم بذاته وعليًا عليهم فقال: ﴿عَلَىٰ﴾، وقيل المقيت هو الذي أعطى كل مخلوق قوته، فعلى هذا المعنى يكون تنبيهًا للخلق على أن الرزق بيد الله، فهو الرزاق لكل مخلوق، فلا يطلبن أحدكم الرزق بمعصية الله، ولا يخافنَّ من مخلوق مثله أن يمنعه رزقًا؛ فرزق الجميع بيد الله سبحانه وهو عليّ عليهم يتصرف فيهم كيف يشاء.

٢٧ـ قال تعالى في سورة الأنبياء عن نوح عليه السلام: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٧)، ولم يقل: «نصرناه على» ليفيد أنه نجى من العذاب وهو وسطهم ليكون أعظم في المعجزة إذ لو نزل العذاب على الكفار في مكانهم فقط لربما قال قائل: هذه ظاهرة كونية، ولكن إذا نزل العذاب على الكفار بعينهم ونجى المؤمنون من وسطهم، فهذا دليل على قدرة الله أولاً، وعلى أنه قصد الكفار بالعذاب بأعيانهم ثانيًا، فيكون معنى الآية «فنجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ونصرناه عليهم»، ولما كان المؤمن قد ينجو من الكفار ولا ينتصر عليهم جمع الله الأمرين وحذف فعل «نجيناه» ودل عليه بحرف الجر «من».

٢٨ـ قال تعالى في سورة طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ (طه: ١٢٨)، ولم يقل: «أفلم يهدهم» ليضمن فعل «يهد» معنى البيان فيكون السياق «أفلم يبين للذين كفروا ويهدهم كم أهلكنا» فحذف فعل «يبين» ودل عليه بحرف اللام.

٢٩ـ قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ (سبأ: ٥)، ولم يقل: «سعوا يعاجزون آياتنا»، لأنهم وإن طلبوا معاجزة القرآن، إلا أنهم لا ينفكون عن الاستفادة منه والاستدلال به في مسائل، بل لا

www.dar-alkotob.com دار الكتب

يستطيعون خلاصًا من التنفيذ لبعض أحكامه، فها هو الغرب الكافر يبيح الطلاق بعد أن حرمه وها هم يبحثون إباحة تعدد الزوجات، فقوله: ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ يدل على أنهم لا يستطيعون الاستغناء عنه وعن أحكامه.

* وتدل كذلك على أنهم لا عمل لهم سوى السعي وراء تعجيز القرآن فهم يتنقلون من محاولة إلى محاولة كما يقال: «فلان يجري في المدرسة»، فكأنه يجري فيها لا يخرج منها.

* وتدل كذلك على أنهم أوقعوا أنفسهم في مهلكة لا خلاص لهم منها كما يقال: «فلان وقع في شر أعماله»، فقوله «في» تدل على أنهم سعوا فيما فيه هلاكهم ولكن لا يشعرون.

٣٠ـ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ (المائدة:٦)، وقال في سورة النساء: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (النساء:٤٣)، ولم يقل: «منه» والفارق أن قوله «منه» يدل على لزوم علوق شيء من التراب باليد والوجه، فإما أن يقال نزلت آية المائدة أولاً فبينت لزوم علوق جزء من الشيء المستعمل للتيمم، ولم يحتج لذكر ذلك في آية النساء بعدها لعلم المسلمين بها أو يقال آية المائدة لبيان لزوم علوق شيء طالما وجد، وآية النساء لبيان أنه إذا لم يوجد شيء يتيمم به المسلم إلا ما لا يعلق منه شيء فإنه يتيمم بالمسح عليه فقط، والله أعلم.

٣١ـ قال تعالى في سورة الرعد: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ (الرعد:٣٠)، ولم يقل: «إلى أمة» لأن الرسل في الغالب تبعث من الأمم أنفسها وينشئوا وسطهم ليعرفوا أنسابهم وأخلاقهم لئلا يشكوا في حسن مقصدهم وقد تقدم مثل هذا المعنى.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٣٢ـ قال تعالى في سورة الحجر نقلاً لمحاورة الملائكة لإبراهيم: ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ (الحجر: ٥٣-٥٤)، فقال: ﴿عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾، ولم يقل: «مع أني مسني الكبر»، إذ مس الكبر مانع من الولد كبير ولكن قدرة الله أعلى وأعظم فهو على كل شيءٍ قدير.

فائدة: وتأمل قوله عليه السلام: «مسني الكبر» ولم يقل: «أصابني الكبر»، إذ كبر السنّ لا يضر المؤمن إلا قليلاً فهو مجرد مس، إذ يتمتع المؤمن في الكبر بكامل قواه العقلية ولو بلغ ما بلغ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين: ٤-٦)، فكيف بالخليل عليه السلام؟!

٣٣ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ (النحل: ٣٦)، ولم يقل: «على الأرض» وذلك لأن الأرض محاطة بغلاف جوي تابع للأرض، فالذي يسير على متن الأرض يسير في الأرض لأنه يسير محاطًا بغلاف من الأرض.

٣٤ـ قال تعالى في سورة يونس عن أهل الباطل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس: ٣٦)، ولم يقل: «عن الحق» بل قال: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾، ليضمن فعل «يغني» فعل «يُكسب»، فكأنَّه قال: «إن الباطل لا يفيد ولا يكسب العبد شيئًا من الحق ولا يغنيه عنه»، إذ العبد قد يكسب شيئًا لا يغنيه، فإن قيل: فلِمَ لم يقل: «يكسب؟»، قلت: ليدل على أن العبد، لا يكفي أن يكون حاصلاً على بعض العلم الحق، بل عليه أن يكون غنيًا منه.

٣٥ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (يونس: ٧)، فقال: ﴿اطْمَأَنُّوا بِهَا﴾، ولم يقل: «إليها»، ليضمن «استغنوا» فيكون المعنى «اطمأنوا إليها واستغنوا بها» فحذف فعل «استغنوا» ودل عليه بحرف الجر «بها».

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٣٦ـ قال تعالى في سورة فصلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (فصلت:٦)، ولم يقل: «فاستقيموا له» كأنه تضمن معنى التوبة، فكأنه قال: «فاستقيموا له بالتوبة إليه»، فحذف التوبة ودل عليها بقوله «إليه» وفيه دلالة على أن عين الاستقامة في كمال التوبة إلى الله إذ ما من عبد إلا وهو مقصر في حق ربه.

٣٧ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة:٢٣)، فقال: ﴿فِي رَيْبٍ﴾، ليدل على أن الشك والريب شملهم وأحاط بهم من كل جانب.

٣٨ـ قال تعالى في سورة الأنفال معاتبًا رسوله والمؤمنين على قبول فداء الأسارى يوم بدر: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٨)، فقال: ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾، ولم يقل: «بما أخذتم»، كأنه قال: لولا ما كتبه الله على نفسه من عدم مؤاخذة المذنب وهو لا يعلم بذنبه لولا هذا لأصابكم العذاب وأنتم وسط المال وفي غمرة الفرح به مبالغة في النكال، ولكن الله رحمكم فقوله: ﴿فِيمَا﴾ يفيد أن العذاب كان سيأخذهم وهم في غمرة الفرح بهذا المال، وأما قوله: «بما أخذتم» فلا يفيد هذا.

٣٩ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧)، والرفث هو مقدمات الجماع، فلما قال: ﴿إِلَىٰ﴾، دل على تضمين معنى الإفضاء فكأنه قال: «أحل لكم ليلة الصيام الإفضاء إلى نساءكم»، فإن قيل فلم عبر عن الجماع بالرفث وهو مقدماته؟ قلت: ليكون ـ والله أعلم ـ تنبيهًا على أهمية هذه المقدمات ليعطي الزوج زوجته حقها في المعاشرة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة:٢٢٣).

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٤٠ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ولم يقل: «لكم»، ليضمن فعل «يريد» فعل «يسلك» فكأنه قال «يريد لكم اليسر ويشرع لكم ما يسلك بكم طريق اليسر لا ما يسلك بكم طريق العسر».

٤١ ـ قال تعالى في سورة التوبة لائمًا من نكل عن الجهاد: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ (التوبة: ٣٨)، ولم يقل: «عن»، إذ «عن» تتضمن فعل «استغنيتم» فلو قال: «عن» لدل على أن الذي يلام عليه المرء هو الاستغناء عن الآخرة بالدنيا وليس الأمر كذلك، ولذا قال: ﴿مِنَ﴾ ليكون المعنى «أأحببتم الدنيا أكثر من الآخرة» فيكون منهيًا عن مجرد تفضيل الدنيا على الآخرة فضلاً عن الاستغناء بالدنيا عن الآخرة.

٤٢ ـ قال تعالى في سورة هود: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود: ٤١-٤٢)، ولم يقل: «على موج»، كأن الموج من شدة علوه وارتفاعه كأن محيطًا بالسفينة من كل جانب حتى كأنها في داخل الموج فمع كون الموج العاتي يحيط بهم من كل جانب إلا أنهم لم يغرقوا معجزة من الله وفضلاً.

٤٣ ـ قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، وقال في سورة البقرة عن ذكر أفعال البر: **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾** (البقرة: ١٧٧)، ولم يقل: «مع حبه» في الموضعين ليدل على أن حب المال والطعام عالٍ عندهم ولكن حبهم لله أعلى وأكبر، وفيه دلالة كذلك على أن الكمال أن يحب العبد الشيء من الدنيا ثم يتصدق به لله، وأما لو تصدق العبد بما لا يحبه أصلاً، فليس كماله ككمال من تصدق بما يحب، ولذا كان من أحب شيئًا من الدنيا ووهبه لله أكمل حالاً ممن لم يحب الشيء أصلاً، قال تعالى في سورة آل عمران: **﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** (البقرة: ٩٢).

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٤٤ . قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٦)، فقال: ﴿بِالْإِثْمِ﴾، زاد الباء ليضمن فعل ﴿أَخَذَتْهُ﴾، فعل «أمرته» فكأنه قال: أخذته العزة الكاذبة وأمرته بالإثم، وفيه دليل على أن العزة قد تأخذ العبد وتأمره بالحق كالعزة على الكفار.

* وقوله: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾، يدل على أن الانفعال هو الذي يأخذ الإنسان لا أن الإنسان يتكلفه.

٤٥ . قال تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (الجن: ١٦-١٧)، ولم يقل: «به»، بل قال: ﴿فِيهِ﴾، ليدل على أن الله سيغدق عليهم النعم من كل جانب حتى كأنهم فيها بشرط أن يستقيموا.

٤٦ . قال تعالى في سورة نوح: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (نوح: ١٩-٢٠)، ولم يقل «لتسلكوا فيها» ليضمن فعل «لتسلكوا» فعل «لتتخذوا» فكأنه قال: «لتتخذوا من الأرض طرقًا تسلكوا فيها»؛ وذلك أتم وأسبغ في النعمة أن يمكن الله العباد من اتخاذ طرق من الأرض بعد أن لم يكن فيها طرق، وأما لو قال: «لتسلكوا» فقط، لدل على أن الطرق موجودة بالفعل يمكن للناس أن يسلكوها.

٤٧ . قال تعالى في سورة التحريم: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ (التحريم: ٢)، ولم يقل «عليكم» ليدل على أن مشروعية تكفير اليمين مصلحة لكم وخير لئلا تحاسبوا على عدم الوفاء باليمين بالله القدوس العزيز.

* قوله: ﴿فَرَضَ﴾، يدل على وجوب كفارة يمين على من حلف وحنث.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

الفصل الثاني

حسن ترتيب القرآن

فالقرآن كلام رب العالمين، فألفاظه وسوره وآياته مرتبة على أحسن ترتيب، ـ نعم ـ ترتيب السور اجتهاد من الصحابة ولكن الله وفقهم فيه أحسن توفيق وسنوضح بعض ذلك في هذا الفصل إن شاء الله.

أولاً ـ حسن ترتيب الآيات وترابطها:

١ ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٥٦-٦٠).

سياق قرآني جميل وترتيب عظيم إذ العاصي قد يقول: قد ضُيِّق عليَّ في بلدي ومنعت من الطاعة، فقيل له: أرض الله واسعة فهاجر واعبد الله حيث شئت فإن قال: أخشى أن أموت في طريقي أو في غير بلدي؟ قيل له: كل نفس ستموت في أجلها المحدد وهجرتك لن تقدم ولن تؤخر شيئًا، ثم لماذا تخاف من الموت وأجر عملك الصالح من هجرة وغيرها أجر عظيم جدًا بشرط أن تصبر وتتوكل على الله، فإن قال: أخشى ألا أجد رزقًا في البلد التي أهاجر إليها؟ قيل له: قد تكفل الله برزق الدواب كلها التي لا تعقل فكيف بالمخلوق العاقل المطيع؟؟؟

٢ ـ قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (المجادلة: ٥)، وقال في آخر السورة نفسها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ

www.dar-alkotob.com دار الكتب

وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ (المجادلة: ٢٠)، وهذا ترتيب طيب إذ ذكر في أول السورة جزاء من صدَّ عن الدين وحارب الله ورسوله في أول أمرهم إذ يجدون الكبت والفشل والخزي كلما سعوا في القضاء على الدين، ثم ذكر في آخر السورة نهاية جزائهم وهو الذلة في الدنيا فتذهب عنهم سلطتهم وملكهم الذي حاربوا الدين من أجله، وإن لم يذلوا في الدنيا حسيًا ذلوا في الآخرة ولابد، فحسن الترتيب هنا إذًا أنه ذكر في بداية السورة أول جزائهم وفي آخرها آخر جزاءهم.

٣ - قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ (الإسراء: ٢٢)، ثم قال بعدها: **﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾** (الإسراء: ٣٩)، فنهى سبحانه عن الشرك في أول السورة، وذكر جزاءه في الدنيا وهو أن يكون العبد مذمومًا مخذولاً، ثم نهى عنه ثانيةً وذكر جزاءه في الآخرة وهو أن يلقى العبد في جهنم مدحورًا، فذكر في أول آية جزاء الشرك في الدنيا، وذكر في ثاني آية جزاء الشرك في الآخرة.

٤ - قال تعالى في سوورة الإسراء: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (الإسراء: ٣١-٣٥)، فما أجمل سياق القرآن العظيم حيث نهى الآباء عن قتلهم لأولادهم خشية الفقر، ويدخل تحت هذا من يحدد النسل، ثم نهاهم عن أسباب الفقر الحقيقية وهي الزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم والتطفيف في الميزان، فهذه أكبر أسباب محق البركة في الرزق فليجتنبوها ولا يعبأوا بكثرة النسل، فإن الولد يولد ومعه رزقه من الله.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

٥ـ قال تعالى في سورة المعارج: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (المعارج: ١١-١٣)، وقال في سورة عبس: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤-٣٦).

فما أحلى القرآن وما أجمل أسلوبه، إذ المرء إذا أراد أن يفدي نفسه بدأ بأهون الناس عليه فأراد سبحانه أن يبين هول الموقف يوم القيامة فأخبر أن المرء لشدة الموقف لا يبالي بأي أحد ولد كان أو غيره، ولو كان أقرب الناس إليه فبدأ سبحانه عند ذكر الفداء بأغلى الأقارب على المرء وذكرهم مرتبين من الأقوى إلى الأدنى، فالأولاد ثم الزوجة ثم الإخوة، وتأمل كيف ذكر البنين ولم يذكر البنات لكون البنين أعز عند الوالد في الغالب من البنات، فكأنه لن يبالي بمن فدى نفسه به.

* وأما في سورة عبس ففيها يذكر الحق من يفر منهم المرء يوم القيامة؛ فبدأ بذكر الأقارب بادئًا بأسهل من تطاوع المرء نفسه على الفرار منه وهو الأخ، وانتهى بأصعب من تطاوع المرء نفسه على الفرار منه وهو الولد، فكم كان يفضل في الدنيا ولده على نفسه ويود أن لو فداه بحياة نفسه، وقدم ذكر الوالدين على الزوجة لأن كثيرًا من الناس يقدمون الزوجة عليهما، ويلاحظ أن الترتيب هاهنا على خلاف الترتيب في سورة المعارج، إذ الكلام في سورة المعارج عن المجرم الذي يريد الخلاص من العذاب؛ فناسب أن يبدأ بذكر أقوى الأقارب ليبين أن المجرم لن يبالي بمن يجعله فداءً لنفسه ولو كان أغلى الأقارب، وأما في سورة عبس فالسياق لبيان فرار الجميع من أقاربه سواء كان الفارّ مؤمنًا أو عاصيًا؛ فناسب أن يبدأ بأسهل من تطاوعه نفسه على الفرار منه.

٦ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

www.dar-alkotob.com دار الكتب

خَالِدُونَ (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٧-٢٦٠)، ذكر سبحانه في أول الآيات أنه يهدي المؤمن من ظلمات الشرك والشك إلى نور الإيمان واليقين، أما الضال الكافر فإن الله يكله إلى نفسه فتضله الشياطين، ثم ضرب مثالاً لكافر تولته الشياطين فأضلته، فها هو النمروذ الكافر يقيض الله له أسباب الهداية على يد إبراهيم، ولكن لتكبره يأبى إلا أن يتبع شيطانه وهواه، ثم ضرب سبحانه مثلين لهدايته للمؤمن وإخراجه من الظلمات إلى النور فها هو الرجل الصالح الذي يمر على قرية ويستعجب من البعث يميته الله ثم يحييه ليبين له، وكذلك إبراهيم لما طلب معرفة كيفية البعث، أحيا الله له الطيور، فإذا كان الله يهدي المؤمن الطالب للهداية طالما كان صادقًا ولو بمعجزة كما حدث لإبراهيم والرجل الصالح فكيف بمن لا تقتضي هدايته معجزة كيف لا يهديه الله؟؟

٧ - **قال تعالى في سورة الناس:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ (الناس: ١-٣)، وهذا ترتيب طيب؛ إذ المرء ربما كان ربًا لبيت وله أولاد يربيهم ويسوسهم ولكنه لا يملكهم، وربما كان عنده عبيد يملكهم، فليس كل رب للشيء مالكًا له، فبقوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، بعد قوله: ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾، مزيد

www.dar-alkotob.com دار الكتب

خصوصية ثم قوله: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾، بيان للخصوصية المطلقة التي لا يشاركه فيها سبحانه أحد فالسيد وإن كان مربيًا لعبده مالكًا له إلا أنه لا يكون إلهًا أبدًا، فالله حده هو الإله.

٨ - قال تعالى في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٠-٦)، في هذه الآيات ذكر سبحانه نصرته للمظلوم من عباده خاصة الدعاة والمجاهدين، فإن قال قائل: فلم لا يعاجل الظالمين بالعقوبة؟ قيل له: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فربما آمن بعضهم وتاب في الدنيا، فإن قيل: فما حكمة وجود الكفار والظالمين أصلاً؟ قيل: وجود الكفر مع الإيمان كوجود الليل مع النهار، فكما أنه لابد من استراحة العامل ليلاً ليكدح وينتج بالنهار، فكذلك لابد من وجود ظلمة الكفر ليقوى نهار الإيمان في قلوب المؤمنين، فكم سيترتب على وجود الكفر من أفعال صالحة من المؤمنين يبصرها الله وأقوال صالحة يسمعها الله فإن الله سميع بصير!!! فهل كان ينتظر تضرع الدعاة بالليل والنهار لتمكينهم لولا استضعافهم؟ وهل كان سينتظر منهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لولا وجود العصاة!! وهل كان سينتظر منهم صبر وتوكل ويقين ورضا وثبات على الدين لولا ابتلاؤهم بوجود الظالمين؟

* ثم لماذا يشك الشاكون في نصرة الله لعباده المؤمنين وهو الحق الذي يحق الحق ويبطل الباطل؟ وهو العلي الكبير فلا شيء يعجزه فمهما كبرت قوة الكفر والظلم فالله أكبر منها ولابد من سيادة الحق وانتشار نور الإيمان، فالله الذي هيئ لهم أسباب حياة أبدانهم بإنزال المطر وازدهار الأرض بالخضرة يستحيل

www.dar-alkotob.com دار الكتب

عليه أن يترك الفساد سائدًا أبدًا، أو أن يترك الحق الذي يحيي القلوب مغلوبًا أبدًا، فهو اللطيف بعباده، ولكنه قد يؤخر التمكين لحكم ومصالح هو خبير بها، فلا داعٍ لليأس من نصر ولا للاغترار بقوة الكفار، فالله هو الملك لما في السموات والأرض وهو الغني عن عباده، ولكمال غناه ترك الكفار يفسدون ويطغون في الأرض، وهو الحميد الذي رتب على فساد الكفار من المصالح للمؤمنين وللإسلام ما ينبغي أن يحمد عليه، فسبحان من هذا كلامه، والحمد لله رب العالمين.

٩ ـ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٨-٣٩)، فقال في الآية الأولى: ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، وقال في الثانية: ﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وذلك لأن الكافر في أول العذاب ربما ظن أنه سيخرج بعد فترة من النار وينجوا من عذابها، فقال سبحانه: ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أي لا نجاة لهم، فإذا أيقن بالخلود فيها كان غاية أمنيته تخفيف العذاب وإنظاره ولو بعض حين، فقال سبحانه: ﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

١٠ ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: ١٠٤-١٠٧)، وفي الآيات ترتيب بديع، إذ أمر رسوله في أول الآيات بالجهر بمخالفة أهل الباطل وترك منهاجهم ثم أمر رسوله بالاستقامة على منهج الحق، لأن الداعية إذا جهر بالمخالفة دعاه أهل الباطل إلى المهادنة واتباع مناهجهم فأمر رسوله بالثبات على الحق، ثم نهاه عن اللجوء

www.dar-alkotob.com دار الكتب

إلى غير الله إذ الداعية إذا رفض اتباع الباطل عذبه أهل الباطل وربما سجنوه، فنهي الداعية عن التعلق بغير الله، ثم أخبر الحق رسوله بأن الضر بيد الله والنفع بيد الله، فتعذيب أهل الباطل له إنما هو بإرداة ومشيئة الله، ونجاة الداعية كذلك لن يكون إلا بإذن الله لا بإذن أهل الباطل، فلِمَ التعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر؟!

١١ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، وفي هذه الآية حسن ترابط في الآية نفسها فكأنه يقول كما أن الله يملك السموات والأرض وما فيهما ومن ضمن ذلك الإنسان المكلف فهو ملك لله فلله أن يحكم فيه بما يشاء وأن يأمره بما يشاء وأن يحاسبه كيفما شاء، ولذا أخبر بعدها أنه يحاسبه على ما أخفاه في نفسه أو أبداه وأنه يغفر لمن يشاء بفضله ورحمته ويعذب من يشاء بعدله وحكمه.

* ويلاحظ أنه قال ها هنا: ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ولم يقل: «الأرض»، لأن السياق ها هنا فيما يتعلق بتكليف الإنسان وحسابه وهو في الأرض فكان الأليق أن يقول: ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

١٢ ـ قال تعالى في سورة القلم: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ١-٤)، فلما كانت آفة المجنون أنه لا ثواب له ولا خلق له نفى الله عن رسوله الجنون وذكر أدلة ذلك من كونه ﷺ أعظم الناس أجرًا وأجمل الناس خلقًا، وتأمل قوله: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾، أي أعلى من الخلق نفسه.

فإن قيل: فلِمَ إذًا قال: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾، ولم يقل: «فإن لك» التي تدل على التعليل؟ قلت: ليدل على أن عدم جنونه ﷺ لا يحتاج إلى دليل بل هو

www.dar-alkotob.com دار الكتب

ظاهر لكل أحد فكأنه قال: «ما أنت بمجنون وهذا ظاهر لكل أحد ولا يحتاج إلى أدلة وعلى كلٍ فآفات المجنون منفية عنك إذ لك الأجر العظيم وخلقك الخلق القويم».

ثانيًا - حسن ترتيب الألفاظ:

١ - قال تعالى في سورة محمد: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ (محمد: ١٥)، وفي هذا حسن ترتيب إذ قدم الماء على الجميع لكونه أهم مشروب للإنسان لا يمكنه الاستغناء عنه ثم ثنى باللبن لكونه يليه في الأهمية وفي الحديث: «لا يغني شيء عن الطعام والشراب غير اللبن»، وقدم الخمر على العسل لأن العسل أكثر ما يستعمل في الدنيا للشفاء ولا مرض في الآخرة، فكانت الخمر في الآخرة أولى بالتقديم، والله أعلم.

٢ - قال تعالى في سورة الذاريات عن الملائكة وهي تبشر إبراهيم بالولد: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الذاريات: ٢٨-٣٠)، فقدم ها هنا الحكيم على العليم وهكذا معظم الآيات بينما في سورة يوسف قدم العليم فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: ٦)، وقال في آية أخرى في سورة يوسف أيضًا: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ١٠٠)، وقال في يوسف أيضًا: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣)، ولعل حكمة تقديم العلم على الحكمة

www.dar-alkotob.com دار الكتب

في سورة يوسف أن الابتلاءات التي مر بها يوسف ويعقوب إنما هي اصطفاء ورفع منزلة، إذ الأنبياء لا تذنب، فناسب أن يقدم (العليم) ليدل على أنه عليم بمن يستحق الاصطفاء ورفعة المنازل فيبتليه بما يترتب عليه من علو المنازل ما لم يكن ليقع لولا هذه الابتلاءات، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

٣ ـ قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ (الرحمن: ١-٣)، فقدم سبحانه تعليم القرآن على خلقه للإنسان، لأن الإنسان بلا منهج يسير عليه من عند الله لا يساوي شيئًا ولا يستحق الإنسانية، بل هم كما قال تعالى عنهم: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾** (الفرقان: ٤٤).

٤ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، وقال في سورة البقرة: **﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾** (البقرة: ٢٢١)، فقدم في آل عمران المغفرة على الجنة وأخرها في سورة البقرة، وفي ذلك عدة لطائف؛ إذ سورة آل عمران فيها معاتبة المؤمنين على ما فعلوا في أُحد من عصيان لأمر رسول الله ﷺ، فناسب أن يقدم الأمر بالاستغفار، ثم آل عمران متأخرة في النزول عن سورة البقرة والمؤمن مع تقادم الزمن تكمل معرفته وتزداد، فقدم في سورة البقرة ما يرغبهم في الطاعة وذلك بالتشويق إلى الجنة، وأخر المغفرة في آل عمران إذ أكمل العارفين حالاً أشدهم رؤية لتقصير نفسه بحيث يرى أنه لا يدخل الجنة إلا بغفران الله، وهذه المغفرة لا يراها مستحقة له بل هي محض فضل من الله.

٥ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ١١٠)، وقال في آل عمران: **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** (آل عمران: ١٦٢-١٦٣)، فقدم في سورة البقرة صفة العلم وقدم

في سورة آل عمران صفة البصر، وهذا من دقة القرآن وحلاوته فالحمد لله على نعمة القرآن والحمد لله على نعمة الإسلام.. فالسياق في آل عمران سياق مقارنة بين حال المجاهدين في أحد وبين حال المتخلفين عنها، فلما كانت مشاق عبادة الجهاد مشاق ظاهرة من دماء تتناثر، وأعضاء تمزق، ونقيع تراب ناسب أن يقدم الله صفة البصر ليطمأن المجاهدين، فما يحدث ويقع لهم من مشاق بمرأى منه سبحانه ولن يضيعهم أجره، وأما سورة البقرة ففيها أمر بالصلاة والزكاة ومشاقهما باطنة، فكسل العبد عن الصلاة، وبخله بالزكاة أمران باطنيان فناسب أن يقدم علمه سبحانه ليطمأن المصلين والمزكين بأن عملهم بعلم الله ولن يضيعه عليهما.

٦ ـ قال تعالى في سورة البقرة نقلاً لدعاء المؤمنين: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، وما أجمل هذا الترتيب؛ إذ ربما طلب العبد المغفرة عن اعتقاد بأنه يستحقها لكمال توبته، وأما العارف فإنه يرى المغفرة ولو مع التوبة محض فضل وعفو من الله، فقدموا طلب العفو ثم طلبوا المغفرة ثم سألوا الرحمة وهي العصمة من الذنوب والتوفيق للحسنات، أو طلبوا الثواب والجنة، فالمغفرة تقتضي النجاة من العذاب، والرحمة تقتضي نيل الثواب، فقدموا طلب النجاة من العذاب، إذ التخلية قبل التحلية، ودرء المفاسد قبل جلب المصالح.

٧ ـ قال تعالى في سورة ص عن داود: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص:١٨)، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ﴾ (الأنبياء:٧٩)، وفي هذا سر بديع إذ الكلام في سورة الأنبياء عن قصص الأنبياء أنفسهم فقدم ذكر نبي الله داود على ذكر تسخير الجبال، وأما سورة ص فالكلام فيها عما حبى الله به بعض الأنبياء من سلطان بجانب النبوة، فكان من المناسب تقديم الجبال التي سخرت على ذكر اسم النبي.

٨ ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (فاطر: ٤٤)، فقدم العلم على القدرة ليفيد كون العلم أهم من القوة ـ نعم ـ العلم بحاجة إلى سلطان ينشره ويطبقه، ولكن العلم المجرد عن القوة أولى من القوة المجردة عن العلم.

٩ ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: ٣١)، وقال في سورة الأنعام: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وذلك لأن آية الإسراء تخاطب صنفاً من الناس يقللون النسل خشية أن يصيبهم الفقر والحاجة وهم الآن لا يحتاجون، فبدأ بذكر رزق الأولاد طمأنةً لقلوبهم، وأما آية الأنعام فتخاطب من يقللون النسل لفقرهم وحاجتهم فهم محتاجون الآن فبدأ بذكر رزقهم هم طمأنةً لهم.

١٠ ـ قال تعالى في سورة النمل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ١)، فقدم القراءة على الكتابة، وقال في سورة الحجر: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر: ١)، فقدم الكتابة على القراءة، فلو كانت النمل قبل الحجر فيكون السر كون القرآن قرئ أولاً ثم كتب في المصاحف، فبدأ في السورة الأولى نزولاً بأول الحال، وبدأ في السورة المتأخرة نزولاً بآخر الحال، وإن كانت الحجر قبل النمل، فالسر أن القرآن كتب في اللوح المحفوظ أولاً، ثم قرأه الله على جبريل، ثم قرأه جبريل على رسولنا، فالكتابة قبل القراءة بهذا الاعتبار.

١١ ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥)، فقدم الأمر بالقيام بالقسط، وقال في المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ (المائدة: ٨)، فقدم الأمر بالقيام لله، وذلك لأن آية النساء تحث على العدل في الشهادة ولو على الأقارب، فكان من المناسب أن يقدم ذكر القسط (العدل) إذ العدل يقتضي عدم المحاباة لئلا يضيع الحق، وأما آية المائدة فتحث على الشهادة

بالقسط ولو مع أعداء الدين، فكان من المناسب أن يقدم الأمر بالقيام لله فكأنه يقول لهم: «اتقوا الله فيهم وعاملوهم لله فهم لا يستحقون إحسانًا لذاتهم ولكن لأمر الله بذلك».

١٢ - قال تعالى في سورة طه: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠)، فقدموا هارون على موسى وقال في سورة الشعراء: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الشعراء: ٤٦-٤٨)، فقدموا موسى على هارون، فكأن البعض قدم موسى لمزيد فضله ومكانته، والبعض قدم هارون لكبر سنه وقربه من الناس بلين أخلاقه، فإن قيل: فلِمَ ذكر الحق قول من قدم موسى في سورة الشعراء والأعراف، وذكر قول من قدم هارون في سورة طه؟، قلت: يحتمل والله أعلم لأن سورة طه أكثر هذه السور ذكرًا لهارون، وهي السورة الوحيدة في هذه السور التي ذكر فيها ما قال هارون لعبدة العجل في غياب موسى، وهي كذلك السورة الوحيدة التي ذكر فيها خطاب فرعون وملأه لموسى وهارون معًا كقوله تعالى نقلاً عنهم: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٩)، وكقوله تعالى نقلاً لقول السحرة: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ (طه: ٦٣)، وأما بقية السور فكان الخطاب فيها لموسى فقط، فناسب أن يذكر الحق قول من قدم هارون في سورة طه دون غيرها من السور التي قص فيها قصة موسى مع فرعون.

١٣ - قال تعالى في سورة سبأ مخبرًا عن حال قوم سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (سبأ: ١٨)، فقدم الليل على النهار، لأن مظنة الخوف والهلاك فيه أكثر فقدم ذكر الأمن فيه.

١٤ - قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فبين سبحانه

العلاقة بين الزوجين فهي سكنه وهو سكنها، فكل منهما تسكن نفسه عن التطلع إلى الحرام بمعاشرة زوجه، وبدأ به لأنه أهم ما في العلاقة بين الزوجين، فإن لم يكن سكن لكبر سن مثلاً ولم تعد بهما حاجة إلى المعاشرة فبينهما المودة، فقد قضيا مع بعضهما السنين الطوال، فإن لم تكن مودة فليرحم كل واحد منهما صاحبه، فهي أم ولده وهو أب لأولادها وزوجها، وقد كبرا فقريبًا ما سيفارق أحدهما صاحبه، فليكن ما بينهما التراحم حتى يلقيا ربهما.

١٥ ـ قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ولم يقل: «يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتو العلم منكم درجات»، بل ألصق ذكر الدرجات بأهل العلم ليبين أن منازل أهل العلم أعلى، ورفعُ الله لهم أكثر من رفعه لآحاد المؤمنين.

* وقال: ﴿مِنكُمْ﴾، ليبين أن أهل العلم والإيمان من هذه الأمة أفضل من أهل العلم والإيمان من غيرها من موحدي الأمم السابقة، فما أحلى كلام الله وما أعظمه!!

١٦ ـ قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)، فيلاحظ أنه أخر الذاكرين والذاكرات ليكونوا أقرب إلى المغفرة والأجر العظيم، إذ عملهم ـ وهو الذكر ـ من أفضل القربات عند ربهم ثم تأمل تدرجها المثالي، فبدأ بأولى درجات العبد (الإسلام) وهو التصديق الظاهر ثم ثنى بالإيمان وهو التصديق الباطن ثم ذكر القنوت وهو كمال الطاعة، والدوام عليها فالتصديق الباطن يدعوا

إلى القنوت، فإذا داوم العبد على الطاعة وصل إلى درجة الصدق في القول والفعل، فإذا صدق العبد لم يكسل عن الطاعات، بل صبر عليها وداوم عليها، فإذا به يصل إلى درجة الخشوع فحينئذ يرق قلبه فيعطف بالصدقات على المحتاجين، ويصوم ليشعر بجوعهم، وليضيق على الشيطان إذ يجري من ابن آدم مجرى الدم والصيام يضيق عليه فإذا أدمن الصيام قلت الشهوات، فيستطيع حفظ فرجه ليتم نصف دينه، ثم ليكثر من ذكر الله ليتم النصف الآخر وفي الحديث: «من يضمن لي ما بين لحييه - لسانه - وما بين فخذيه - أي الفرج - أضمن له الجنة».

١٧ - قال تعالى في سورة السجدة عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة: ١٦)، فقدم ذكر الخوف على الرجاء لأنهم قاموا بالمستحب من قيام الليل وغيره، فكان خوفهم مع اجتهادهم أشد غرابة من رجاءهم فبدأ بذكره - لا - لأن خوفهم أشد من رجاءهم ولكن لما ذكرنا فالمؤمن خوفه ورجاؤه معتدلان كجناحي الطائر.

* ثم تأمل قوله: «وطمعًا» ولم يقل «ورجاءً» فكأنهم مع شدة اجتهادهم يجعلون طلبهم للجنة طمعًا لا يستحقونه فرحمة الله على هذه الأرواح.

١٨ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (المائدة: ١٢)، فقدم ذكر الصلاة لتكون أقرب إلى معية الله، إذ معية الله للمصلي معية خاصة، وأخر ذكر القرض الحسن ليكون أقرب لتكفير السيئات، ليدل على مزيد مغفرته للمقرض القرض الحسن.

١٩ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٠)، فقدم ذكر المال على الولد لأن المرء يقدم في فداء نفسه المال، إذ الولد أعز عليه من المال.

٢٠ ـ قال تعالى في سورة الإسراء عن الكافرين: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ (الإسراء: ٩٧)، فبدأ بالعمى ثم بالبكم ثم بالصمم، وذلك لأن الماشي في طريق يحتاج إلى حاسة البصر أكثر من غيرها، فإذا كان أعمى سأل غيره، فإذا كان أبكم لا يتكلم تصنت بأذنه ليسمع قرع نعال الناس ليسلك وراءهم، ولكن هؤلاء يحشرهم الله عميًا وبكمًا وصمًا.

٢١ ـ قال تعالى في سورة البقرة في وصف المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٨)، فبدأ بالصمم ثم بالبكم ثم بالعمى وذلك لأن الكافر يقال له: قل الشهادة وأسلم، فقال سبحانه هم لا يسمعون بل لو كانوا يسمعون فهم بكم لا يتكلمون فكيف ينطقون بالشهادة، ولما كان الكافر إذا كان أصم وأبكم أشير إليه إشارات مفهمة لتدله على نطق الشهادة بتحريك لسانه مع نطق القلب، أخبر سبحانه أنهم عميٌ لا يرون فكيف يرجى صلاح هؤلاء؟؟

٢٢ ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ (يونس: ٧٥)، فقدم ذكر المبعوث إليه على المبعوث به (الآيات)، وقال في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (المؤمنون: ٤٥-٤٦)، فقدم ذكر المبعوث به (الآيات) على المبعوث إليه (فرعون) بل لم يقدم ذكر فرعون على ذكر الآيات إلا في سورة يونس، ولعل الحكمة من ذلك أن غرض الآيات في سورة يونس بيان مشابهة عتو كفار قريش لعتو فرعون فقدم ذكر فرعون، وأما في الآيات الأخرى فالمقصود بيان مشابهة آيات رسول الله المعجزة لآيات موسى المعجزة، أو تشابه شريعة رسولنا لشريعة موسى في التوحيد فقدم ذكر الآيات.

٢٣ ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (النحل: ١١٥)، فقدم ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، وقال في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ

﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ (البقرة:١٧٣)، فقدم ﴿بِهِ﴾، وكذا قال في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (المائدة:٣)، وذلك ليبين أن الذبيحة ربما حرمت لكون الذابح يذكر غير الله عليها فيكون السبب المحرم هو شرك الذابح وها هنا يقول الله: ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فيقدم ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ ليدل على سبب الحرمة وأحيانًا يكون الذابح ممن تحل ذبيحته ككتابي، ولكن ربما ذكر غير الله على الذبيحة، فهاهنا تحرم هذه الذبيحة فقط، فإذا ذبح أخرى وسمَّى عليها هذا الكتابي حلت ذبيحته فالمحرم إذًا الذبيحة التي ذكر غير الله عليها بعينها لا غيرها، فهاهنا يقول: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ فيقدم ﴿بِهِ﴾ ليدل على حرمة هذه الذبيحة بعينها لا كل ما ذبحه الكتابي.

* ومن اللطائف البديعة أن الله قال: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، في سورة البقرةفقط وهي مدنية لأن اليهود كانوا يجاورون المسلمين وقتها وذبائحهم لا تحرم لذاتها وإنما يحرم منها ما ذكر عليه غير الله، وأما سورة النحل وسورة المائدة فقال: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، لأن سورة النحل مكية ولا يوجد في مكة مع المسلمين غير المشركين فقال: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، إذ تحرم ذبائح المشركين كلها وكذا المائدة فقد نزلت في أواخر العهد المدني بعد جلاء اليهود من المدينة ولم يبق فيها إلا المسلمين والمنافقين الذين يعاملون ظاهريًا كالمسلمين ومن ذكر منهم غير الله على الذبيحة صار مرتدًا لا تحل ذبائحه كلها كالمشركين.

٢٤ - قال تعالى في سورة المؤمنون نقلاً لتكذيب الكفار بالبعث: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون:٨١-٨٣)، فقدم: ﴿نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾، وقال في سورة النمل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النمل:٦٧-٦٨)، وفي ذلك دقة بالغة إذ أسباب

التكذيب بالبعث التي ذكرها الكفار في هذه الآيات: تقليدهم لآباءهم واستبعادهم للبعث بعد الصيرورة إلى تراب ولكن قومًا قد غلب عليهم تقليد الآباء فهو أقوى السببين ولذا ذكر الحق قولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾، فقدموا ذكر الآباء لتقليدهم الأعمى، وقوم غلب عليهم استبعاد البعث بعد الصيرورة ترابًا فذكر الحق قولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾، وتأمل الدقة القرآنية العظيمة إذ لما ذكر تكذيب المقلدة قال: ﴿قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾، فقدم ذكر تقليدهم بقوله: ﴿قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾، ولما ذكر من غلب عندهم الاستبعاد قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾، فقدم ذكر استبعادهم للبعث بعد أن يصيروا ترابًا على ذكر الآباء.

٢٥ - قال تعالى في سورة الصف: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (الصف: ١١)، فقدم: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقال في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٢)، وفي غيرهما أيضًا من السور فأحيانًا يقدم: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ليؤكد على معنى الإخلاص في الجهاد، وأحيانًا يقدم ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ ليحثهم على البذل والنفقة كما كان في غزوة تبوك، والله أعلم.

٢٦ - قال تعالى في سورة الكهف عن أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ (الكهف: ٢٥-٢٦)، فقدم البصر على السمع، وقال عن المشركين في سورة مريم: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (مريم: ٣٨)، فقدم السمع على البصر، وذلك لسر بديع إذ الغيب الذي لا يراه البشر أكبر بكثير من الغيب عن أسماعهم ولذا قال سبحانه: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾، فقدم البصر وأما في سورة مريم فهي إخبار عن البشر ومعلوم أن قوة السمع في البشر

أقوى فالمرء قد يسمع ما لا يراه فلما أخبر سبحانه عن تبين الحق للكفار بدأ بالسمع إذ قوته على التحصيل أقوى.

٢٧ - قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، فبدأ بالصوامع والبيع لتكون أقرب إلى الهدم وأخر ذكر المساجد لتكون أبعد عن الهدم وأقرب إلى ذكر الله فيها كثيراً.

٢٨ - قال تعالى في سورة البقرة عن الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)، وقال في المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤)، لأن الإنسان قد يكون جاهلاً بالحق لعدم علمه فإذا أخبر به عقله واقتنع به فاتبعه أما هؤلاء فهم لا يعلمون شيئًا بل لا يعقلون شيئًا فمهما دعوا إلى الحق لا يستجيبون، فإن قيل: فما الفارق بين السياقين؟ قلتُ: الكفار إما تابع وإما متبوع، فآية المائدة والله أعلم للمتبوع، فكان من المناسب أن يخاطب بما يحثه على الإسلام فقيل له: أنت رأس ومن المفترض أن تكون طالبًا للمعالي فتعال إلى منهج الحق لتعل به ثم قيل له: كيف تتبع آباءك وهم جهال لا يعلمون شيئًا وأنت كرأس يتصور فيك أن تكون عالمًا فلم ترضى بالتبعية لمن هو أقل منك؟ أما آية البقرة فهي للتابع فخاطبهم الله بما يعرفونه فهم لا يعرفون إلا التبعية المطلقة، فقال لهم: اتبعوا الحق ولذلك كان جوابهم يدل على مبدئهم فقالوا: بل نتبع ما ألفناه وتعودنا عليه من منهج آبائنا ولم يقولوا: ﴿مَا وَجَدْنَا﴾، فقال لهم الله الذي يتبع غيره فالمفترض أنه يختار عاقلاً ليدله على الحق، فكيف تتبعون قومًا لا يعقلون شيئًا؟

فخاطب سبحانه بالتبعية من لا يعرف غيرها، وخاطب بالعلو واتباع الحق المتبوع الذي يتصور أن يكون طالبًا للعلو، والله أعلم.

٢٩. قال تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت: ٣٠)، فقالوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، ولم يقل: «الله ربنا»، كأنهم يقولون ربنا الذي خلقنا ورزقنا وأصلح أبداننا وتكفل لنا بالمعيشة هو إلهنا الذي يأمرنا بالتكاليف الشرعية فإذا عرفنا رحمته في تدبير المعايش فلنثق في رحمته في تشريعه فإذا بهم يلتزمون بالشرع ويستقيمون عليه.

٣٠. قال تعالى في سورة الشورى في مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨)، فجعل الشورى بعد الصلاة وقبل الصدقة إذ التشاور يحتاج إلى مجامع تجمع أهل الحل والعقد وأعظم مجامع المسلمين المساجد إذ يجتمعون فيها لصلاتهم فغالبًا ما تكون المشورة بعد الصلوات فإذا تشاور أهل الحل والعقد خلصوا بالخير للمسلمين ومن جملته إنفاق المال والتصدق به على الفقراء.

٣١. قال تعالى في سورة الشورى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٤٩)، فقدم الإناث لأنهم كانوا يكرهون الإناث فقدم ذكرهن ليبين أن الهبة بالإناث نعمة، وقد تكون أحيانًا أكبر من نعمة الذكور لمزيد ثواب تربيتهن بجانب أنه يصعب فساد البنت التي من أسرة ملتزمة في الغالب، ولكنه قد يسهل فساد الذكور خاصة في زماننا لفساد الصحبة وانتشار المنكرات.

٣٢. قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ (الجاثية: ١٢)، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ (إبراهيم: ٣٢)، فقدم في سورة الجاثية ذكر تسخير البحر، وقدم في إبراهيم ذكر تسخير الفلك، وكذا في النحل وفاطر قدم ذكر تسخير الفلك، فيشبه والله أعلم

أن تكون آية الجاثية هي أولى هذه الآيات نزولاً فناسب أن يقدم فيها تسخير البحر، وإلا فلولا علم الناس بإمكانية ركوب البحر لما سعوا إلى صنع الفلك التي تمخر فيه، فناسب أن يذكر المسخر أولاً في أولى الآيات نزولاً، فإن لم تكن آية الجاثية هي أولى الآيات نزولاً فالله أعلم بسر ذلك أولاً وأخيراً.

٣٣ - قال تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٣-٢٤)، فبدأ باللسان لأنه هو الذي يتكلم بالقذف ثم ثنى باليد لأن القاذف ربما إذا لم يتكلم بالقذف كتب به إلى غيره، فإن لم يستطع الكتابة مشى إلى غيره ليخبره فذكر الأرجل بعد الأيدي، والله أعلم.

ثالثًا - حسن ترتيب السور:

١ - قال تعالى في سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد: ١)، وقال في سورة الحشر: **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (الحشر: ١)، وهكذا قال في سورة الصف، وهي متتابعة بمعنى أنها أوائل المسبحات وليس بينها سور مسبحات غيرها، ثم قال في سورتي الجمعة والتغابن: **﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾**، وهي أيضًا متتابعة ليس بينها سور مسبحات غيرها ثم قال في سورة الأعلى وهي آخر سور المسبحات: **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾** (الأعلى: ١)، هكذا رتبها الصحابة - رضوان الله عليهم - وهو دليل على كمال علمهم ﷺ إذ بدأوا بالسور التي فيها فعل الماضي (سبح) ثم بالتي فيها فعل المضارع (يسبح) ثم بالتي فيها فعل الأمر(سبح) كأنَّ المعنى: يا معشر البشر سبح الله كل الكون منذ أزل الزمن ومازالوا يسبحون، فاستحوا من الله وسبحوا مثلهم.

الفصل الثالث

حلاوة أسلوب القرآن ودقته

١ - قال تعالى في سورة الزمر: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ (الزمر: ٣٩-٤٠)، جزأها على آيتين ولم يقل في آية واحدة: «فسوف تعلمون من يأتيه عذاب»، وذلك لزيادة التخويف والإرهاب والإزعاج النفسي للمشركين؛ لأنه إذا قال: «فسوف تعلمون» دخل الرعب قلوبهم وتشتت أفكارهم في هذا الشيء المهدد به فيملأ الرعب قلوبهم فيكون عذابًا فوق العذاب، فإذا قال بعدها: «من يأتيه عذاب» كان عذابًا آخر.

٢ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، ولم يقل: «يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد» وهذه دقة أسلوبية متناهية؛ إذ فصل إبراهيم عن إسماعيل يدل على أن فعل إبراهيم غير فعل إسماعيل وهكذا كان الأمر، فإبراهيم كان يرفع وإسماعيل يناوله ولكن عُدَّ كالرافع لكونه يعينه ويساعده فلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .. أي كلام هذا!! وأي حلاوة هذه!! اللهم أدخلنا الجنة بحبنا لكتابك!!

٣ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٣)، وقال في نفس السورة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨)، ولا تعارض بينهما بل هما متكاملتان فهما نفسان: نفس تشفع ونفس مشفوع لها، فالمرء إذا أخطأ في حق غيره عرض عليه دفع مال ليرضى عنه، فبين تعالى أنه لا يقبل من هذه النفس المخطأة دفع عدل (مال)، فإذا وجد المخطأ أنه

لا يقبل منه عدل أتى بشفعاء ليشفعوا له عند الذي أخطأ في حقه، فقال تعالى: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، إذًا قوله تعالى: ﴿لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾، هذا عن النفس المخطأة المشفوع لهـا، وأما الآية الأخرى فهي تتكلم عن النفس الشافعة لغيرهـا، فالمرء الذي يشفع لغيره يأتي إلى الذي حدث الخطأ في حقه فيقـول: أنا شافع لفلان، فقال الله: ﴿لا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، فحينئذ يقول الشافع: وما الذي يرضيك لترضى عمن أخطأ، فقال تعالى: ﴿وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، أفاده الشعراوي ـ رحمه الله ـ.

٤ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، ولم يقل: «لا ينال اختياري الظالمين» وذلك لأن كلمة ﴿عَهْدِي﴾ أدق وذلك لعدة أمور: فمنها أن الله أخذ على كل نبي بـعثه العـهد إن أدركه زمـان نبي بعده ،وكذا لو أدركـه زمان محمد ﷺ أن يتبعه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ (آل عمران: ٨١)، وتدل كلمة ﴿عَهْدِي﴾ كذلك على غلظ ميثاق النبوة والرسالة فهـو ميثاق غليظ قـال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٧)، وهي كذلك تدل على أن اختيار الله للصالـح من الأنبياء والرسل لا يقبل التغيير؛ فـهو عهدٌ أخذه الله على نفسه باختيار الصالح لهذه المهمة.

٥ ـ قـال تعـالى في سورة الإسـراء: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩٠)، وهذا أسلوب لف ونشر مرتب إذ جمع النهي ثم نشر النتيجة مرتبة فلو بخل المرء وجعل يده إلى عنقه فعاقبته لوم الناس له، ولو بسط يده وأسرف فعاقبته أن يتحسر على ما ضيع من مال.

فذكر سبحانه العاقبتين مرتبتين على حسب النهي فبدأ بذكر لوم الناس وثنى بالحسرة وقد يأتي في اللغة أسلوب اللف والنشر غير مرتب.

٦. قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (القصص:٦٥-٦٦)، ولم يقل: «فعموا عن الأنباء» فالأنباء هي التي عميت عليهم، قوله: ﴿عَمِيَتْ﴾ تضمن فعل (خفي) فالمعنى خفيت عليهم الأنباء وأتى بلفظ (عميت) ليدل على شدة وضوح الآيات وظهورها، فلا يتصور خفاؤها إلا على أعمى.

٧. **قال تعالى في سورة الأعراف نقلاً لقول صالح لقومه:** ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:٧٤)، وهذا أسلوب دقيق إذ معنى كلمة (عثا) أي أفسد، فإن قيل: فكيف قال لا تفسدوا مفسدين؟ قلت: لأن المرء قد يفسد ظانًا أن ما يفعله هو الإصلاح خطأ أو جهلاً، وأما هؤلاء فقد كانوا ينوون الإفساد ويتعمدونه ويخططون له، قال تعالى في آية أخرى عن قوم صالح: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل:٤٨)، ولم يتكرر هذا الأسلوب إلا مع اليهود عتاة الإفساد في الأرض، قال تعالى لهم في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة:٦٠)، وقال عنهم أيضًا: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (المائدة:٦٤)، والسعي هو المشي بشدة فهم يبذلون الجهد للإفساد عياذًا بالله من هذا.

٨. **قال تعالى في سورة النساء:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء:٥٦-٥٧)، وقد تكرر هذا الأسلوب القرآني فيذكر الله العذاب ويثنيه بذكر الجنة ليكون المؤمن بين الخوف والرجاء ولكن يلاحظ ها هنا

أنه قال عن أهل الجنة: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾، أي كثيفًا مبالغًا فيه، ولم يذكر هذا اللفظ في غير هذا الموطن مع أنه ذكر تنعم أهل الجنة في الظلال في غير هذه الآية كقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ (المرسلات: ٤١)، ولعل السر في ذلك ـ أعني في ذكر الظل الظليل هاهنا ـ والله أعلم أنه ذكر في هذه الآيات بالذات عذاب أهل النار الذي لا يطاق من تبديل الجلود ليذوقوا العذاب، فناسب أن يذكر هاهنا بالذات مزيد الرحمة ليعلم العباد بأن الله غفور رحيم، وإنما عذب الكفار هكذا لمزيد استحقاقهم لذلك.

٩ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠)، وهذا أسلوب احتباك أي يذكر المتكلم جملتين وهو يريد أربعًا ولكن يأتي بجملتين تدلان على المحذوف فالسياق الكامل لمعنى الآية أن يقول الله: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وتفرح به، وما عملت من سوء محضرًا وتود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا»، فحذف الرب جملتين وذكر اثنتين تدلان على المراد.

* قوله: ﴿مِن سُوءٍ﴾ يدل على أن كل سوء ولو صغر تحزن له النفس وتود أن لو تبرئت منه إذ أن كلمة ﴿مِن﴾ التي سبقت كلمة ﴿سُوءٍ﴾ تدل على دخول كل سوء ولو صغر في هذا المعنى كما تقول «ما معي من مال»، أي من بداية ما يقال له مال، فكأن كل معصية ولو صغرت سيندم عليها العبد يوم القيامة ولو كان من أهل الجنة، فالله المستعان!!

* قوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾، فقدم ﴿بَيْنَهَا﴾ ليدل على أن ما يهم كل نفس هو براءة نفسها وبُعدها هي عن العمل السيء، فلو استطاعت أن تلزقه بأي أحد ولو كان أبًا أو زوجًا أو ولدًا لفعلت، ولكن المهم أن تبعد هي عنه، فما أدق الأسلوب القرآني!!

١٠ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وهذا أسلوب رائع للغاية وفيه الآتي:

(أ) جمع ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ مع قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، مع أن الأمر بالمعروف هو في الحقيقة نهي عن المنكر، ولكن جمع بينهما ليدل على لزوم الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، ولو لم يجمع بينهما لتحقق الأمر بالأمر بمعروف واحد والنهي عن منكر واحد نقله النووي عن أهل اللغة.

(ب) جمع ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ مع ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فيحتمل للتوكيد ويحتمل أن يكون قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾، أي إلى المستحبات و ﴿يَأْمُرُونَ﴾، أي إلى الواجبات، فالواجب للزومه فيه الأمر، وأما المستحب فيدعا الناس إليه ولا يؤمرون به، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾، أي عمومًا، وأما قوله: ﴿يَأْمُرُونَ﴾، أي من رأوه يعمل منكرًا ما أو يترك معروفًا ما أمروه ونهوه فهم لا يقتصرون على الحث العام على الخير بل ينبهون كل مخطئ على خطأه، فبعض الناس لا ينتبه للوعظ العام.

١١ ـ قال تعالى عن إبراهيم في الأنبياء: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠)، فقال: ﴿وَأَرَادُوا﴾، ﴿الْأَخْسَرِينَ﴾، وقال في سورة الصافات: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات: ٩٧-٩٨)، فقال: ﴿فَأَرَادُوا﴾، ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾، وفي هذا دقة بالغة.

إذ لما ذكر إرادتهم لذلة إبراهيم بإقامة البنيان العالي وإلقاءه منه ليكون أسفل؛ ذكر أنه جعلهم هم الأسفلين، ولما ذكر إرادتهم لإحراقه ليخسر حياته؛ ذكر أنه جعلهم هم الأخسرين.

فإن قيل: فلِمَ قال في سورة الأنبياء: ﴿وَأَرَادُوا﴾، وقال في سورة الصافات: ﴿فَأَرَادُوا﴾؟ قلت: ربما ـ والله أعلم ـ لأن التحريق قد يكون إلى الممات وقد يكون إلى ما قبل الممات، فلما قال: ﴿حَرِّقُوهُ﴾، عطف فقال: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، أي أرادوا قتله مع التحريق، ولذا عطف بالواو ليزيد معنى جديدًا، وأما في سورة الصافات فذكر إلقاءه من شاهق كبير جدًا كما ذكر المفسرون وأهل التاريخ ولا تتصور حياة مع ذلك العلو ولذا قال: ﴿فَأَرَادُوا﴾، بالفاء التي تفيد التوضيح.

١٢ ـ قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٨-٣٩)، ولم يقل: «الذين يبلغون رسالات الله يخشون»، بل قال: ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾، فقد نزلت هذه الآيات لما تحرج رسول الله ﷺ من الزواج من زينب بعد تطليق زيد بن حارثة لها؛ إذ كان ابنه من التبني، فأراد الله أن يبطل عادة التبني، فأمر الرسول ﷺ أن يتزوج من زينب فتحرج رسولنا، فأخبره الله بأنه لا حرج عليه في ذلك، فهو ينفذ أمر الله فلو قال: «الذين يبلغون رسالات الله يخشونه»، نفهم منها اللوم على رسولنا كيف لم يخش الله كبقية الرسل، فلما قال: ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ بالواو دل على أن خبر قوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾، ليس فعل ﴿يَخْشَوْنَهُ﴾، بل فعل مقدر محذوف يفهم من سياق الآيات وهو «ينفذون أمر الله»، فيكون المعنى كاملاً «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله ينفذون أمر الله ولا يبالون بكلام الناس فنفذ أمر الله ولا تتحرج من كلام الناس».

١٣ ـ قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٠-٣١)، وفي هذا حسن شديد إذ لما ذكر

العقاب قال: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾ بصيغة المبني للمجهول لئلا يواجه نساء رسولنا بالعذاب مراعاة لجانب رسولنا ﷺ ولما ذكر الثواب قال: ﴿نُؤْتِهَا﴾، فنسب الفعل إلى نفسه المقدسة سبحانه وتعالى.

١٤ـ قال تعالى في سورة الروم: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (الروم: ٣٨)، ولم يقل: «فآت ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقوقهم»، ليدل على أن ذا القربى له حق زائد على المسكين وابن السبيل من وجوب صلة وغيره، فإذا تزاحمت الحقوق ولم يكف المال لجميعها قدم المرء المحتاج من ذوي القربى لمزيد حقه.

١٥ـ قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)، وهي مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله فتأمل اختلاف السياق في هذه الخمس فقال عن وقت الساعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، إذ لا يطلع على ذلك ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل فاختص نفسه فقال: ﴿عِندَهُ﴾، فلما تكلم عن علمه بنزول الغيث قال: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾، فلا يستطيع بشري أن ينزل المطر ولا أن يعلم وقت نزوله بالضبط ولكن لما كان بمقدور البشر بمعونة الله لهم وتوفيقه أن يتوقعوا نزول المطر في مكان ما في فترة ما دون أن يتأكدوا ولا أن يعرفوا الوقت بالضبط لما كان ذلك لم يقل سبحانه: «ويعلم وقت نزول الغيث»، مع أنه لا يعلمه تحديداً على وجه اليقين إلا الله، ولكن ذكر الفعل الذي لا تعلق لبشري به وليس في مقدورهم شيء منه وهو إنزال الغيث، وكذا قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾، إذ لا يستطيع بشري معرفة ذلك والجنين نطفة بل حتى عند الكشف على الجنين بعد تكونه قد يخطأ الكشف فتظنه الطبيبة ذكراً فيبين أنثى وبالعكس.

١٦ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥)، ولم يقل: «قيل الحمد لله رب العالمين»، وهذا أسلوب قد تكرر في القرآن كقوله تعالى في سورة الحج: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الحج: ٢٢)، أي «وقيل ذوقوا» ولكن لم يذكر «قيل» لحكمة بالغة فالأساليب المتصورة:

(أ) أن يقول «قل» وقد أتى هذا في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (النمل: ٥٩).

(ب) أو يقول «قيل» كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥)، ويفيد هذا الأسلوب استحقاق الرب للحمد، إذ ليس هذا قول واحد بل هو قول الجميع من بشر وملائكة حتى الحيوان والجماد، فصيغة المبني للمجهول تدل على العموم:

(جـ) أو يذكر المقالة دون أن يقول قبلها: «قيل» كهاتين الآيتين ليدل على أنها ليست مجرد مقولة بل هي اعتقاد راسخ، فربما قال الجميع قولاً لإجبار سلطان دون أن يقتنعوا به فلما حذف لفظ «قيل»، لفظ «قل» دل على أنها مقولة عن اعتقاد.

١٧ - قال تعالى في سورة طه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)، فقال: ﴿لا يَخَافُ﴾، فلا هنا هي النافية، ولم يقل: «فلا يخف» بالنهي مع أن الأسلوب أسلوب نهي، وذلك لأن النفي أبلغ في النهي من أسلوب النهي كما قال أهل اللغة، إذ يدل على التحقق وعدم التخلف، فكأنه قال: «فلا يتصور ولا يوجد منه خوف أصلاً» بعكس النهي فقد يخالفه البعض.

١٨ - قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ

هذا ما كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥)، فقال: ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، ولم يقل: «فذوقوا الذي كنتم تكنزون»، وفي هذا إضافة لمعان جديدة إذ (ما) تستعمل بمعنى (الذي) وبمعنى النفي فتكون كـ (إن) فيكون المعنى «فذوقوا العذاب بما كنتم تكنزونه من مال، إذ يُحمى الذهب والفضة صفائح وتحرقون بها كما صح بذلك الحديث»، ويصح أن يكون المعنى أيضًا «فذوقوا العذاب فما كنتم تكنزون لأنفسكم الكنوز الحقيقية إذ الكنز الحقيقي هو ما ادخره صاحبه لنفسه عند الله بعمل الصالحات وبالإنفاق في سبيل الله»، فلما أتى لفظ «ما» صح المعنيان، والله أعلم.

١٩ـ قال تعالى في سورة يونس نقلاً لكلام الفراعنة لموسى وهارون: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٧٨)، ولم يقل «فما نحن لكما بمؤمنين» فهم يقولون لن نؤمن لكما أصلاً سواء كان غرضكم الكبرياء في الأرض أم لم يكن، ولذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ﴾، التي تدل على نية الكفر المسبق وأما لو قال: «فما نحن لكما»، لفهم أنهم كفروا بسبب شكهم في صدق موسى وهارون.

* وفي الآية دليل على طبع الفراعنة منذ قديم الأزل، إذ يتهمون الدعاة بأنهم أصحاب أغراض سياسية يريدون العلو في الأرض ولا يريدون الخير كما يزعمون.

٢٠ـ قال تعالى في سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٢-٤٣)، فقال: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، ولم يقل: «وكان من المغرقين»، ليدل على أن المانع من إغراق الله لابن نوح ابتداءً هو رؤية نوح له، فراعى الله خاطر نوح لئلا يرى ابنه وهو

يغرق، فلما حال بينهما الموج أغرق الله ابن نوح، ولو قال: «وكان من المغرقين» لما دل على هذا المعنى.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، ولم يقل: «فأغرقه الله»، لئلا ينسب إلى نفسه إغراق ابن مصطفاه ورسوله الذي هو من أولي العزم - نعم - هو سبحانه الذي أغرقه ولكن لم ينسب ذلك لنفسه مراعاة لخاطر نوح.

٢١ - قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لكلام يوسف لأبيه: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤)، فكرر كلمة ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾، لأن سجود هذه الكائنات غير معلوم الهيئة، فلابد إذًا أن يراهم أولاً في حال ثم يراهم في حالة سجود ليعلم أنهم سجدوا، فكأنه رآهم مرتين مرة على غير حال السجود، ومرة على حال السجود، أفاد هذا الشعراوي رحمه الله وهو كلام بديع.

٢٢ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، ولم يقل: «واتقوا الله يعلمكم الله»، ليدل على أن الأمر بالتقوى ليس من أجل نيل العلم فقط بل هو مقصود لذاته، ثم من ثمراته أن يرزقكم الله العلم فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي ابتداءً ثم قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، أي وسوف يجعل لكم العلم كثمرة من ثمار التقوى.

٢٣ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، ولم يقل: «ومن يؤتاها فقد أوتي خيرًا كثيرًا»، بل كرر لفظ الحكمة فقال: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾، ليدل على أهمية الحكمة وهكذا عادة العرب إذا أرادت التنبيه على أهمية شيء لم تذكر الضمير بل كررت اللفظ كما قال تعالى في سورة البقرة أيضًا: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (البقرة: ٥٩)، ولم يقل: «فأنزلنا عليهم» تنبيهًا على مزيد الاختصاص للعقوبة بهم دون غيرهم.

٢٤ـ قال تعالى في سورة آل عمران لرسوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٢)، ولم يقل: «سيغلب الذين كفروا» إذ مواجهة الكفار بهذا تبكيت لهم وعذاب قبل العذاب وهو كذلك دليل على ثقة القائل من وقوع ما يقول إذ الشاك يكتم الخبر حتى يقع ويظهر بعكس الواثق.

٢٥ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ١٣)، وهذا أسلوب احتباك وهو أن يذكر المتكلم جملتين ليدل على أربع جمل ويجعل في السياق ما يدل على الجملتين المحذوفتين وهذا ما حدث في هذه الآية؛ فالكلام المقصود «قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان» فحذف كلمة (مؤمنة) ودل عليها بقوله عن الكفار: ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾، وحذف «تقاتل في سبيل الشيطان»، ودل عليها بقوله عن المؤمنين: ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فأكرم بهذا القرآن.

* ثم تأمل قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾، مع أن كلمة (آية) مؤنثة وذلك ليضمن معنى الاعتبار فكأنه قال: «قد كان لكم اعتبار وآية».

٢٦ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، ولم يقل: «أنفقوا ابتغاء وجه الله»، بل أتى بالأسلوب الخبري لأن الخبر أقوى من الأمر فكأنه قال: ما تتصور نفقة أصلاً إلا على هذا الوجه ، ومثلها قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لا ينكحُ المحرم»، فأتى بصيغة النفي الخبرية وهو يريد النهي لكون النفي أقوى في الدلالة على التحريم، فكأنه يقول: لا يتصور من محرم أصلاً أن ينكح وهو محرم.

٢٧ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، فقال: ﴿وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾، التي تدل على القصر، ولم يقل: «ولا تظلمون» لتأكيد المعنى فكأنه يقول: لو فرض أن الكل يظلم وحاشا وكلا فلو فرض ذلك فلا يخف المنفق فهو بالذات لن يظلم بل يضاعف له ثواب النفقة أضعافًا كثيرة.

* وتأمل قوله: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، ولم يقل: «لكم»، كأنه ضمن فعل ﴿يُوَفَّ﴾ معنى «يأتي»، فكأنه قال: «يأتي إليكم ويوف لكم»، وهكذا الحال والله فمن أطاع الله أتته الدنيا وهي راغمة كما في الحديث، فتأتيه وتكون طوع أمره، وفي الأثر «أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا من خدمك فاستخدميه ومن خدمني فاخدميه».

٢٨ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣)، فقال: ﴿بِهِ عَلِيمٌ﴾ التي تدل على القصر ولم يقل: «عليم به» ليؤكد مزيد علمه بنفقة المنفق، فكأنه قال: لو لم يكن لي علم إلا بشيء واحد لكان بالصدقة، فمن زاد صدقه وأنفق مما يحب أجزل الله الثواب له.

* وفي الآية حث على الإخلاص لله خاصة في الصدقة؛ إذ من راءى أو أعجب بعمله حبط عمله، وما أجمل ما رواه الإمام في كتاب (الزهد): «أن الله أوحى إلى نبي من أنبياءه أن قل لقومكم يخفوا أعمالهم لي وعليَّ إظهارها لهم».

٢٩ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولم يقل: «إنما الربا مثل البيع» مع أن الأصل الذي يقيسون عليه هو البيع لا الربا، ولكنهم لمبالغتهم في تحليل الربا لأنفسهم كأنهم قالوا الأصل هو الربا، ولا فارق ألبتة بينه وبين البيع.

٣٠. قال تعالى في سورة البقرة مبينًا غرور اليهود في أحسن أسلوب فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٩٤)، فبين سبحانه أماني اليهود ومزاعمهم الكاذبة بأنهم شعب الله المختار وبأن لهم الجنة دون غيرهم وعبر عن اعتقادهم هذا بعدة تعبيرات:

(أ) تقديم ﴿لَكُمُ﴾ على كلمتي ﴿الدَّارُ الآخِرَةُ﴾، فهم يظنون اختصاصهم بالجنة واختصاصها بهم دون غيرهم.

(ب) قوله: ﴿خَالِصَةً﴾، أي لا يشاركهم فيها أحد.

(جـ) قوله: ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾، وفي ذلك دقة متناهية إذ ربما ظن ظان أن اليهود ترى لأنفسهم مكانًا مميزًا في الجنة لا يشاركهم فيه غيرهم وبقية الجنة للناس، فلما قال: ﴿من دون الناس﴾، تبين أنهم يرون الجنة كلها لهم وحدهم ولا يدخلها غيرهم.

(د) قوله: ﴿عِندَ اللَّهِ﴾، كأنهم قبحهم الله يزعمون أن لهم منزلة رفيعة ومكانة عالية عند الله هي التي أهلتهم لنيل الجنة من دون الناس.

٣١. قال تعالى في سورة البقرة عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧)، فذكر التكذيب بالماضي لأنهم كانوا إذا سئلوا عن رسولنا قالوا: هو رسول من عند الله ولم يستطيعوا تكذيبه، ولكن ذكر القتل بالمضارع الذي يدل على الاستمرار لأنهم حاولوا قتل رسول الله أكثر من مرة، ولكنّ الله نجّاه في كل مرة.

٣٢. قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران:٣-٤)، والفرقان هو القرآن الكريم، ولم يقل: «وأنزل التوراة والإنجيل والقرآن هدىً للناس»،

لأن هداية القرآن أكمل وأتم من هداية الإنجيل، ولذا فصل الفرقان عن التوراة والإنجيل.

٣٣- قال تعالى في سورة التوبة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (التوبة: ٣١)، أي وجعلوا عيسى أيضًا ربًا من دون الله ولم يقل: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح بن مريم أربابًا»، لأن اتخاذهم الرهبان والأحبار أربابًا بمعنى أنهم فوضوا إليهم أمر التشريع فرضوا بتغييرهم لأحكام الله وتبديلهم لها وأما عيسى فجعلوه ربًا خالقًا رازقًا مدبرًا للكون يحيي ويميت، تعالى الله عن شركهم علوًا كبيرًا فلما اختلف شركهم بعيسى عن الأحبار والرهبان فصل بينهما.

٣٤- قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: ٥)، ولم يقل: «جعل عليكم قيامًا»، ليدل على أن القيام على مال اليتيم بالرعاية إنما هو مصلحة ومنفعة عظيمة لكم في الدنيا والآخرة لو اتقيتم الله؛ فأما في الدنيا فيبارك الله لكم في أموالكم، ويقيض لذريتكم من يحفظ لها أموالهم من بعدكم، وأما في الآخرة فجزيل الثواب، ففي الحديث: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»، ولم يقل: «عليكم»، التي تدل على العبء والثقل اللذين قد يصدان الناس عن رعاية مال اليتيم.

* وتدل كذلك على أن ما أبيح لكم في مال اليتيم هو ما كان ثوابًا وهو الرعاية والحفظ والتنمية بالخير وأما ما كان عليكم من سرقة ونهب فلم يبح لكم.

الفصل الرابع

دقة الألفاظ القرآنية

١ - قال تعالى في سورة الفتح: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (الفتح:٥)، فذكر هاهنا ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ مع ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، مع أن غالب الآيات يكتفى فيها بذكر المؤمنين وتدخل فيها النساء تبعًا ولعل الحكمة من ذلك أن السياق هاهنا يتحدث عن ثواب المجاهدين الذين دافعوا عن الدين فلو ذكر لفظ المذكر فقط لربما ظنت النساء أنها لا تدخل في هذا الثواب لكونها لا تجاهد، فكان ذكرها هاهنا لنفي هذا الاحتمال، أفاد ذلك الشعراوي - رحمه الله -.

٢ - قال تعالى في سورة ق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)، ولم يقل: «عنده»، لأن لفظ ﴿لَدَيْهِ﴾ يدل على مزيد الاختصاص فهي تدل على أن الملكين أقرب إلى العبد من كل مخلوق آخر.

٣ - قال تعالى في سورة الذاريات عن المؤمنين: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:١٩)، وقال في سورة المعارج: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج:٢٤-٢٥)، فزاد كلمة «معلوم» وذلك لأن الذاريات تتكلم عن المحسنين ولذا قال سبحانه في وصف المؤمنين فيها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات:١٦-١٧)، فكان من المناسب ألا يذكر الصدقة المعلومة لأن الإحسان لا حد له فربما تصدق المرء بنصف ماله كعمر رضي الله عنه وربما بماله كله كأبي بكر رضي الله عنه، وأما في سورة المعارج فالكلام عن المؤمنين الذين يفعلون الواجب فكان المناسب ذكر الصدقة المعلومة وهي الزكاة الواجبة.

٤ . قال تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ٨-١٠)، أي دنا محمد ﷺ من ربه جدًا فأوحى الله إليه ما أوحى أو دنا محمد ﷺ من جبريل جدًا فأوحى الله إليه ما أوحى، فكلمة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، أصلها في اللغة: «قابي قوسي» وهما جانبي طرفي القوس والمسافة بينها هي «قاب القوس» وهي كناية عن شدة القرب.

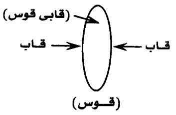

فلِمَ قال سبحانه هاهنا: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، ولم يقل: «قابي قوسي»؟ قلت: يحتمل والله أعلم لأن قابي القوسي قد يختلف ما بينهما من مسافة من قوس لآخر، وقد تزيد المسافة خاصة عند شد القوس لرمي السهم فالمسافة كبيرة نوعًا ما، وأما قوله ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ فهو دليل على القرب جدًا حتى أن ما بينه وبين جبريل كما بين طرفي قوسين متلاصقين هكذا:

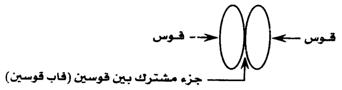

٥ . قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٦٣-٧٠)، فذكر الحرث بقوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾، وذكر الماء

بقوله: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ دون لام، وذلك لأن الماء ينزل من السماء والكل يعلم هذا، فلا يتصور نسبة هذا إلى غير الله فلم تحتج إلى تأكيد، بينما الناس يشاهدون الزارع يحرث ويسقي فربما ظنوا أنه هو الذي ينبت، فأكد ـ سبحانه ـ انفراده بذلك بقوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾.

٦. قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (الواقعة: ٧٥)، ولم يقل: «بالنجوم» وهذه دقة متناهية إذ ثبت علميًا كون الذي يظهر في السماء ليس النجم بل موقعه في السماء، إذ لا يظهر النجم في السماء حتى يكون قد انفجر منذ سنوات عديدة، فالذي يظهر في الحقيقة هو موقع النجم لا النجم نفسه ولذا قال سبحانه بعدها: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (النجم: ٧٦).

٧. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقال في آل عمران: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤)، وذلك لأن ما آتاه الله الأنبياء متفق في التوحيد والعقيدة مع ما آتاه موسى وعيسى، فجاءت آية آل عمران تدل على هذا الاتفاق، وإنما يختلف المنهج بين الأنبياء في الشرائع والأحكام فجاءت آية البقرة تدل على هذا الاختلاف لذا كرر: ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾، فإن قيل لِمَ ذكر الاختلاف في آية البقرة وذكر وجه الاتفاق في آية آل عمران؟ قلتُ: لأن آية البقرة في مقام ذكر المؤمنين لاعتقادهم فقالوا: نحن نؤمن بما جاءت به الرسل والأنبياء من شرائع إجمالاً، ولو اختلفت مع شرائعنا لفئن نؤمن بما وافقونا فيه أولى، أما آية آل عمران فهي خطاب لوفد النصارى ودعوتهم إلى التوحيد فناسب أن يذكر

لهم اتفاق الأنبياء في التوحيد فما جاء به موسى وعيسى كالذي جاء به محمد ﷺ في العقائد فما لكم لا تؤمنون بمحمد ﷺ؟.

* فإن قيل لِمَ قال في الآيتين: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، ولم يقل: «وما أوتي موسى وما أوتي عيسى»؟ قلت: لأن شرعهما واحد وإنما اختلفا في بعض الشرائع القليلة.

٨ - قال تعالى في سورة الصافات عن لوط: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الصافات: ١٣٣-١٣٦)، وقال عنه في سورة الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ (الأعراف: ٨٢-٨٣)، وقال عن نوح في سورة الأعراف: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ (الأعراف: ٦٤)، وقال عنه في سورة الشعراء: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء: ١١٩)، بينما لما ذكر نوحًا وصالحًا وشعيبًا في سورة هود قال: ﴿نَجَّيْنَا﴾، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (هود: ٥٨)، وقال أيضًا: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ (هود: ٦٦)، فالله أعلم بسر ذلك ويحتمل أنه قال عن لوط في سورة الصافات بالذات ﴿نَجَّيْنَا﴾، لأنه ذكر فيها تدمير الكفار فلما ذكر الإهلاك الشديد (التدمير) ناسب أن يذكر الفعل المثقل في النجاة ﴿نَجَّيْنَا﴾، ليدل على مزيد الفضل في نجاة المؤمنين وقت شدة الإهلاك على الكفار، وأما سورة هود فكان الفعل مع الجميع ﴿نَجَّيْنَا﴾، إذ ذكر فيها قوة إهلاك الكفار، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢)، وقد قال رسولنا: «**شيبتني هود واخواتها**»، وذلك والله أعلم لما ذكر فيها من شدة وقوة إهلاك للكفار.

٩ - قال تعالى في سورة يس: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٦٧)، ولم يقل: «عملهم» بل قال: ﴿مَكَانَتِهِمْ﴾، لأن عمل العبد

الصالح أو الطالح هو في الحقيقة مقياس مكانته عند الله، وقد قالوا: «إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك»، فمن وفق للخير فهذه مكانته عند ربه والعكس كذلك، فاللهم استعملنا في طاعتك يا أكرم الأكرمين.

١٠ - قال تعالى في سورة يس: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ (يس:٦٥)، فجعل النطق لليد، والشهادة للرجل، وذلك لأن الشاهد إنما يشهد ليقوي جانب الأصيل صاحب الحق، فلما كانت اليد هي التي تباشر غالبًا المعاصي والمخالفات جعلها هي التي تنطق، وأما الرجل فهي الوسيلة للوصول إلى المعصية فبها يمشي المرء فجعلها كالشاهد الذي يشهد بما يقوي كلام اليد ونطقها.

١١ - قال تعالى في سورة يس عن الكفار: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (يس:١٥)، ولم يقولوا: «إن أنتم إلا كاذبون» لأن الاسم «كاذبون» يدل على الاتصاف الملازم بالكذب، وأما الفعل «تكذبون» فهو يدل على الكذب في المقولة نفسها ولا يدل على الملازمة، فلما علم الكفار بأن الرسل صادقون لم يتجرؤا على وصفهم بالكذب الملازم لئلا ينكر الناس قولهم خاصة وأن الرسل يبعثون في قومهم والكل يعلم جميل صفاتهم، فاتهم الكفار الرسل بأنهم يكذبون في هذا الخبر وجهلوا بأن الذي ترك الكذب على الناس ما كان ليكذب على الله.

* ويلاحظ كذلك أنهم قالوا: ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ ولم يقولوا: «الله»، كأنهم لجهلهم يزعمون أن رحمة الله تقتضي ترك إرسال رسول، وهذه حجة الجهلة اليوم إذا خوطبوا بالشرع قالوا: الدين يسر وليس هذا منه، كل ذلك لأنه حكم بما يخالف هواهم ويجهلون كون يسر الدين في تشريعاته التي تبدو قاسية في الظاهر، إلا أنها عين الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

١٢ ـ قال تعالى في سورة يس: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٣٢)، ولم يقل: «عندنا»، إذ لدينا تدل على مزيد الاختصاص، فكانت أليق وأدل على المعنى لأن العباد يقفون بين يدي الله بلا ترجمان.

١٣ ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ (فاطر: ٤٢)، ولم يقل: «أهدى الأمم»، وذلك لسر بديع إذ المواهب والمزايا موزعة على الأمم؛ فأمة ميزتها الغنى والسلطان، وأمة ميزتها القوة البدنية، وأمة ميزتها الذكاء العقلي، كما أن البشر تتفاوت في مواهبها، ولذا مدح الله إبراهيم بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠)، أي فيه من خصال الخير ما لا يكون مجتمعًا إلا في أمة لا في فرد واحد، فأراد المشركون أن يدللوا على قوة عزيمتهم على الخير لو جاءهم رسول، فقالوا: لن نكون فقط خير الأمم بمجموع خصال الخير فينا، بل سنكون في كل صفة أفضل من كل الأمم فقولهم: ﴿أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾، يعنون أنه لو قارن مقارن بين أمة متفوقة في شيء ما فقارنها بكفار قريش لتفوقوا، وهذا مبالغة منهم في التعبير عن عزمهم بعكس ما لو قالوا: «أهدى الأمم»، فإنها لا تعني تفوقهم في كل صفة فربما فاقوا الأمم في مجموع الصفات ولكن تفوقت عليهم بعض الأمم في بعض صفات الخير.

١٤ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (البقرة: ١١٦)، وفيه دقة لفظ إذ يدل على ضلال مجرد القول فكيف بمن اعتقد ذلك، وكذلك قوله: ﴿اتَّخَذَ﴾، يدل على ضلال من زعم أن الله اصطفى واختار ولدًا، فكيف بمن زعم أن الله ولد كما يلد البشر؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

١٥ ـ قال تعالى في سورة البقرة عن دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل مكة: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

﴿الحكيم﴾ (البقرة ١٢٩)، فقوله: ﴿ابعث فيهم﴾، ولم يقل: «إليهم» فيه دقة إذ المرء ربما كان من القوم فيغادر بلده قبل الرسالة لظرف ما ثم يعود إليهم بالرسالة، فإذا عاد إليهم ربما كذبوه وقالوا ما نعرف أخلاقك فقد تربيت بعيدًا عنا، ولذا كان الرسول فيهم يتربى في بلدهم ليعرفوا أخلاقه وطباعه، فكان قوله تعالى: ﴿فيهم﴾، أدل على هذا المعنى - نعم - قد بعث إليهم ولكن تربى فيهم ونشأ فيهم فأكرم بكلام ربي العظيم.

* وكذلك قوله: ﴿رسولاً منهم﴾ فيه دقة، فالمرء قد يعيش مع قوم في بلد وليس منهم، فربما ولد في بلد ثم هاجر إلى آخر، وربما هاجر آباؤه وأجداده من بلدهم ليعيشوا في بلد آخر، فيكون في أهل البلد ولكنه من قبيلة أو عائلة أخرى، ولكن رسولنا كان من أصول العرب القاطنة في قريش، وذلك لأن العرب كانوا أصحاب نعرات قومية، فلو بعث الرسول من غيرهم لما اتبعوه تعصبًا، فجاء الرسول ﷺ منهم لئلا يتركوا اتباعه، ولذا قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾ (الأنبياء: ١٠)، أي شرفكم ومجدكم في اتباعه فلم تتركون اتباعه؟

* وأما قوله: ﴿يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾، ففيه تقديم التعليم على التزكية، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (آل عمران: ١٦٤)، فلما دعا إبراهيم قدم العلم، ولما تمن الله على المؤمنين قدم التزكية، وذلك لأن العلم سبب التزكية؛ فلا زكاة لجاهل، والتزكية ثمرة العلم المقصودة منه، فمن الدقيق أن ذكر إبراهيم السبب أولاً لأنه يدعوا قبل وجود الأمة المحمدية، والسبب يتقدم النتيجة، ومن المناسب كذلك أن يؤخر الله ذكر العلم لأنه إخبار بعد وجود الأمة المحمدية، فالتعليم موجود فعلاً بوجود رسولنا، فكان من المناسب أن يقدم ذكر التزكية ليعلمهم كون التزكية هي المقصود من التعليم، فسبحان من هذا كلامه.

تنبيه: قال بعض الزهاد أخطأ إبراهيم فقدم طلب العلم فبين الله كون تقديم طلب التزكية أولى، وهذا القول غلط إذ فيه اتهام للخليل سيد العارفين بعد رسولنا بأنه لم يحسن الدعاء، فنسأل الله أن يغفر الله لقائله.

١٦ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥)، ولم يقل: «أمام مقام إبراهيم مصلى»، وذلك والله أعلم لحكمة بالغة إذ لو قام (أمام) لما صحت الصلاة إلا خلف المقام فلما قال: ﴿مِن مَّقَامِ﴾، دل على أن بداية المكان أمام المقام ولا حد لها فيجوز للمرء أن يصليها حيث شاء فلفظ: ﴿مِن﴾، لبيان البداية، وأما عدم بيان النهاية فليدل على اتساع الأمر وهذا من بديع اللفظ القرآني.

١٧ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء:٢٢)، ولم يقل: «فتكون مذمومًا مخذولاً» وذلك لسر بديع وهو أن الذي يشرك بالله إنما يفعل ذلك طلبًا للدنيا ولرئاستها وللتمتع فيها بالشهوات، فقيل له: لو أشركت بالله فلن توفق لسعي بل ستكون قاعدًا؛ إذ يضيق الله عليك الأمور، ولو سعيت فسعيك قعود في الحقيقة؛ إذ هو وبال عليك يوم القيامة.

١٨ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء:١٢)، وفي هذا دقة بالغة، إذ المحو يقتضي الوجود السابق ويقتضي كذلك الظهور لشيء آخر كما يقول القائل: «محوت الكتاب» فإنه يقتضي إزالة الكلام شيئًا فشيئًا وظهور بياض الورق بعد خلوه من الكلام، وكذلك الحال فالليل كما صوره أهل الفضاء طبقة تحيط بالكرة الأرضية، فإذا طلعت الشمس على نصف من الأرض فإن أشعة النور تأتي على هذه الطبقة فتمحوها شيئًا فشيئًا ليظهر بياض النهار مبصرًا.

١٩ـ قال تعالى في سورة يس: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس:٣٧)، وفي هذه الآية كنوز من الدقة والبهاء والعظمة، فالحمد لله ولا إله إلا الله ولاحول ولا قوة إلا بالله، فقوله تعالى: ﴿نَسْلَخُ﴾، يدل على أن الليل هو الأصل والنهار طبقة تزال عنه، كما أن جسد الشاة هو الأصل وجلدها الذي يسلخ إنما هو طبقة حولها، وهذا ما ثبت علميًا؛ إذ ظهرت الأرض في الفضاء ككرة مظلمة حولها طبقة من نور النهار، ثم تأمل قوله: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ﴾ ولم يقل: «نسلخ عنه»، فهو يدل على أن النهار محاط بظلام يسلخ من داخله، وهذا ما ظهر فى الفضاء إذ ظهر الفضاء كظلام دامس فيه الأرض المظلمة وحولها طبقة النهار، فالنهار محاط بظلمة الأرض وظلمة الفضاء هكذا:

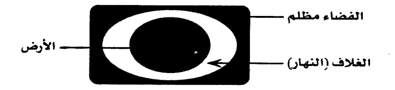

ثم تأمل قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾، ولم يقل: «فإذا الكون مظلم»، فكأن البشر أنفسهم ينورون ويظلمون، وهذا ما ثبت حديثًا؛ إذ ثبت علميًا كون الذرات التي يتكون منها الجسم البشري وغيره تسقط عليها أشعة الشمس فيخرج منها الضوء، فالجسم نفسه هو الذي يضيء فيرى أو يظلم فلا يرى، فسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم.

٢٠ـ قال تعالى في سورة مريم عن عيسى عليه السلام: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:٣٢)، وقال عن يحيى عليه السلام: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم:١٤)، وفي هذا دقة متناهية، وذلك لأن يحيى هو ولد ذكريا الوحيد وجاء على كبر، فالمخوف أن يكون مرفهًا عاصيًا لأبويه متكبرًا على الناس بترفه فنفى سبحانه عنه ذلك فقال:

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، وأما عيسى فهو ولد أمه الوحيد وقد رأى كيف تعبت في تربيته وخدمته فلا يتصور منه عصيانها وإنما المخوف أن يشقى بالعمل ويكدح لينفق على نفسه وربما لو رأى من المجتمع تقصيرًا في مساعدته لربما حقد على المجتمع وصار جبارًا مفسدًا في الأرض، فنفى سبحانه عنه هذا بقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، وعيسى ويحيى - عليهما السلام - منزهان عن هذه الأخلاق المذمومة ولا يتصور منهما هذا، ولكنه تنبيه للمجتمع؛ فأما وحيد أبويه فاللازم لأبويه أن يربياه على الرجولة وألا يبالغا في ترفيهه لئلا يشقى ويشقى به المجتمع، وأما من فقد أباه فعلى المجتمع أن يساعد أمه في تربيته والنفقة عليه لئلا يتضرر بحاجته، وربما احتاج أن يتفرغ لعلم ديني شرعي ينفع المسلمين، أو لعلم دنيوي يخدم الدين، وهذا يحتاج إلى راحة بال ومزيد تفرغ فعلى المسلمين أن يساعدوه.

٢١ - قال تعالى في سورة مريم عن زكريا: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم:٢-٣)، فقال: ﴿نَادَىٰ﴾، ولم يقل: «دعا» لأن النداء يدل على بعد المنادي نوعًا ما، وقد سأل الصحابة رسولنا فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة:١٨٦)، فلما كان طلب زكريا بعيد المنال في ظن زكريا بل أقرب إلى المستحيل عنده قال: ﴿نَادَىٰ﴾.

٢٢ - قال تعالى في سورة مريم نقلاً لدعاء زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ (مريم:٥)، ولم يقل: «من عندك»، إذ ولادة الولد قد انعدمت أسبابها البشرية لكبر سن زكريا ولكون امرأته عاقرًا، فوجود الولد هاهنا سيكون محض هبة بلا أسباب فناسب أن يقول: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾، التي تدل على مزيد الاختصاص.

٢٣ - قال تعالى في سورة مريم رداً على زكريا لما استغرب وجود الولد: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم:٩)، ولم يقل: «ولم تكن» فحذف النون يدل على انعدام الكينونة بالكلية كأنه يقول له: «خلقتك ولم يكن لك أي وجود ولو حتى نطفة» بخلاف «تكن» فقد تدل على وجود كينونة نطفة.

٢٤ - قال تعالى في سورة آل عمران عن اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران:٢١)، وقال في نفس السورة عنهم: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران:١١٢)، وقال في البقرة عنهم: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (البقرة:٦١)، فكلمتي ﴿النَّبِيِّينَ﴾، ﴿الأَنبِيَاءَ﴾ جمع كلمة «نبي» فاشتقاق كلمة «نبي» من النبو والارتفاع وهو كذلك مرتفع المنزلة عند الله وقيل: النبي لغة هو الطريق والنبي كذلك إذ هو طريق هداية الناس، وجمع كلمة «نبي» على هذين المعنيين «نبيين» وقيل اشتقاق الكلمة من «النبأ» فالنبي هو الذي يبلغ خبر ونبأ السماء ولذا تقرأ كلمة «نبي» في أحد الوجوه لغة «النبئ» بالهمز وجمعها على هذا المعنى «أنبياء»، فكأن اليهود لعنهم الله قتلوا بعض الأنبياء لكونهم أخبروهم بشرائع تخالف هواهم وشهواتهم فهنا يقول الله: «ويقتلون الأنبياء» وقتلوا بعض النبيين حقداً وحسداً أن كانوا هم الفضلاء عند الله دونهم فهنا يقول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾.

* وأما قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، أي بدون أي مبرر جائز لقتلهم، وأما قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فيحتمل أن يكون معناه بغير الطريقة الحق فكأن اليهود قبحهم الله قتلوا بعض الأنبياء بطريقة غير جائزة في دينهم مبالغة في النكاية والتعذيب بأشرف خلق الله فقبحهم الله من قوم بهت.

تنبيه: لم يقل تعالى في أي موطن: «يقتلون الأنبياء بغير الحق» بل قال: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فهل يقال لم يقتل اليهود نبيًا من أجل ما جاء به مما يخالف هواهم

بطريقة غير جائزة، بل قتلوه بطريقة جائزة أم يكون في الآيات سر آخر؟ الله أعلم ولكن حسبي أن ألفت أنظار العلماء ليفتشوا عن السبب، والله المستعان.

٢٥ - قال تعالى في سورة آل عمران عن الكفار وحقدهم على المسلمين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، وفيه بيان لحال الكفار بدقة إذ مجرد مس المؤمن بحسنة يحزنهم ويفرحون بالمصيبة الكبيرة التي تحل بالمؤمن.

٢٦ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، وقال فيها أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠)، وقال في سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النور: ٥٦)، وفي هذا دقة بديعة إذ الفلاح هو الحصول على الثمرة ولذا قيل للزارع فلاحًا لكونه يحصل على ثمرة زرعه فلما نهى الرب عن الربا وعد المؤمنين بالفلاح الذي يشمل فلاح الآخرة وفلاح الدنيا بكثرة المال ونمائه، إذ الحرام يمحق البركة ولما أمرهم بطاعة الله ورسوله وإقامة الصلاة والزكاة، وعدهم الرحمة ليعلمهم بأن ما ينبغي أن يطلبوه بطاعتهم هو قبول الله لهم ورحمته إياهم فطاعتهم كلها تقصير ونقص فلا ينبغي العجب بالطاعة والاغترار بها والإدلال بها، فالمؤمن يطيع الله ويرجوا رحمته وفضله.

٢٧ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، ولم يقل: «عند السراء والضراء» فكأن هؤلاء المتقين ﷺ ينفقون وهم في خضم الضراء لا ينسون الصدقة وكذا وهم في خضم النعم لا يتلهون بها عن حقوق الله فاستحقوا مدح الله، فكلمة ﴿في﴾ تدل على نفقتهم ولو كانوا في خضم البلاء أو

خصم النعم بخلاف كلمة «عند» فهي لا تدل على هذا فأكرم بكلام الله العظيم، اللهم أدخلنا الجنة بمحبة كلامك العظيم، اللهم آمين.

٢٨ـ قال تعالى في سورة آل عمران عن المجاهدين في سبيله: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ (آل عمران:١٤٨)، فزاد في ثواب الآخرة: ﴿حُسْنَ﴾، وذلك لتفاوت المنازل في الآخرة فالمجاهدون والشهداء في منزلة رفيعة وعليا وأيضًا لأن المرء قد ينال ثواب الآخرة ـ أي الجنة ـ ولكن بعد دخوله النار، والعياذ بالله أما هؤلاء فينالون الثواب الحسن الذي لا يسبقه عذاب.

٢٩ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٦٢)، فقال: ﴿اتَّبَعَ﴾، ولم يقل: «تبع» إذ زيادة همزة الوصل وتشديد التاء تثقيل وهكذا الجهاد فيه مشقة وثقل على النفس فناسب أن يأتي معها اللفظ المثقل فالآيات تتكلم عن المجاهدين وعدم استواءهم مع من تخلف عن الجهاد وهذا من حلاوة اللغة العربية.

* وتأمل قوله ﴿رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، ولم يقل: «ما ينال به رضوان الله»، ليدل على أن الجهاد ينبغي أن يسعى العباد لنيله كما يسعون لنيل رضوان الله، فكأن الجهاد هو رضوان الله نفسه فكما يسعى المؤمن بكل ممكن لنيل رضوان الله فليسع بكل ممكن مستطاع لنيل شرف منزلة الجهاد في سبيل الله، فلا إله إلا الله كم في القرآن من كنوز ومعارف!!

٣٠ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران:١٧٦-١٧٨)، وفي هذا

دقة متناهية إذ الآية الأولى تتحدث عن الكفار الذين يسارعون في الكفر وينتقلون من كفر إلى كفر ومن فساد إلى فساد، فلما كان كفرهم عظيمًا ناسب أن يكون عذابهم عظيمًا، وأما الآية الثانية فهي تتحدث عن شراء الكفار للدنيا وشهواتهم وتركهم للآخرة، فلما كان الكفار لا يفعلون هذا إلا ليتمتعوا بنعيم الدنيا الفاني ناسب أن يهددهم الله بالعذاب المؤلم الموجع فهم قد أوقعوا أنفسهم في أعظم مما فروا منه، وأما الثالثة فتتحدث عن إملاء الله وإمهاله للكفار ولما كان الكفار إذا سلطوا عذبوا المؤمنين وأهانوهم واستذلوهم فناسب أن يهددهم الله بالعذاب المهين جزاءً وفاقًا، وسبحان من هذا كلامه.

٣١ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، فقال: ﴿زُحْزِحَ﴾، ولم يقل: «أبعد» ليدل على أن مجرد البعد اليسير ـ ولو كان مجرد زحزحة ـ فلاح ونجاح ثم تأمل قوله: ﴿عَنِ﴾، ولم يقل: «من» ليدل على أن الفوز لمن أبعد عن النار لا لمن دخلها ثم زحزح منها ـ نعم ـ هو أحسن حالاً من المشرك الخالد، ولكن من له طاقة بعذاب الله ولو لحظة واحدة؟؟ فليحذر البعض الذين يسول لهم الشيطان المعصية بزعم أن مآلهم إلى الجنة بسبب توحيدهم.

٣٢ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (آل عمران: ١٨٨)، ولم يقل: «فلا تحسبنهم فائزين من العذاب» فكلمة: ﴿مَفَازَةٍ﴾ هو المكان الذي يأمن فيه المرء من الهلاك ولذا سمت العرب الصحراء مفازة تفاءلاً بنجاة من يسلكها فيكون المعنى: «لا تظنن أيها الناظر أن هؤلاء في مكان آمن من العذاب، بل هم مهددون به في مكانهم الذي ظنوه آمنًا، وهذا ما ينتظرهم في الدنيا، وأما في الآخرة فلهم

عذاب أليم»، بينما لو قال: «فائزين» لكان فيه تهديدًا لهم بنزول العذاب، ولكن ربما أتاهم في مكان ترقبوا فيه نزول العذاب أو ترقب الناس بهم ذلك فكانت كلمة ﴿مَفَازَةٍ﴾ دليلاً على تهديدهم بالعذاب، ولو كانوا في آمن مكان وأهنئ عيش ولو ظن الناس بهم أنهم آمنون ممكنون فكان التهديد بها أشد.

٣٣ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٩٥-١٩٨)، فختم آية بقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، وختم الأخرى بقوله: ﴿نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، وذلك لأن الآية الأولى تتكلم عمن جاهدوا وأذوا في سبيل دين الله، وفي هذا مشقة، فأخبرهم الله بأن الثواب من عند الله سيكون على قدر المشقة، بينما الآية الثانية تتكلم عن الكفار الذين يتقلبون في البلاد تمتعًا وإفسادًا بعكس المؤمنين الذين يتقون ربهم، فناسب أن يخبر سبحانه بأنه أعد لهم نزلاً على قدر أعمالهم، فمنازل المرء يوم القيامة على قدر منازل عمله في الدنيا، فالكفار ينزلون منزل سوء إذ كانوا يتقلبون في الأرض بالإفساد بينما المؤمنون ينزلون منزل الخير عند الله إذ كانوا يتقلبون في الأرض بطاعة الله.

٣٤ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١)، فقال: ﴿اتَّخَذَتْ﴾، وذلك لأن أنثى العنكبوت هي التي تبني البيت وليس الذكر.

٣٥ـ قال تعالى في سورة النمل مطمئنًا لموسى لما رأى العصى قد صارت حية فخاف: ﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠)، ولم يقل: «عندي»، لأن

كلمة «لدي» تدل على مزيد الاختصاص وموسى له عدة خصائص على سائر الرسل فهو رسول ومن أولي العزم وهو كذلك كليم الرحمن.

٣٦- قال تعالى في سورة الشعراء نقلاً لكلام إبراهيم ﷺ لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء: ٧٥-٨١)، فعند ذكر الهداية والإطعام والشفاء من المرضى قال: ﴿هُوَ﴾، وذلك لأن البعض قد يظن الداعية أو حتى الرسل هم الهداة للقلوب فزاد «هو» ليدل على أن الله هو وحده المنفرد بهداية القلوب، وأما الدعاة فهم مبلغون وكذلك الإطعام فربما ظن الولد كون أبيه هو الذي يطعمه ويسقيه، وكذا الشفاء فربما ظن المريض كون الطبيب أو الدواء هو الذي يشفيه فزاد «هو» ليدل على اختصاص الله بذلك، وأما الإماتة والإحياء فهي معلومة النسبة إلى الله ولا ينكر ذلك ولا يظن خلاف ذلك إلا مكابر معاند فلم يقل: «هو».

٣٧- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولم يقل: «على الدين» وذلك لأن المرء لا يكره في اختيار الدين فإن أسلم ثم ارتد أكره على الإسلام بأن يهدد بالقتل لو استمر على كفره فلا إكراه في اختيار الدين فإن قيل وهل يصح إكراه المرء على ترك الردة واعتناق الإسلام؟ قلت: في هذا مصلحة عظيمة؛ إذ المكره ربما باشر قلبه حلاوة الإيمان فيسلم حقًا حتى وإن ظلت كراهية الإسلام في قلبه، فإجباره على إظهار الإسلام يمنع غيره من الارتداد ويحافظ على هيبة الدين فمنعه من الاستمرار على الردة فيه مصالح عظيمة للدين.

٣٨- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ٢٦٢)، فقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾، ولم يقل:

«ولا يتبعون» لأن الكثير من المتصدقين لا يمن ولا يؤذي مع الصدقة أو بعدها مباشرة، ولكن إذا آذاه المتصدق عليه أو أخطأ في حقه منَّ المتصدق وآذى، فهنا يظهر نقصه، فالكامل هو الذي لا يمن ولا يؤذي ولو آذاه المتصدق عليه فما أجمل دقة القرآن!!

٣٩ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، وقال في سورة ثانية: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٨٩)، وقال في ثالثة: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: ٥٥)، بدون «في»، وفي رابعة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ (المائدة: ١٢٠)، وقال في خامسة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (طه: ٦)، وذلك أن السموات والأرض كالخزانة وهما ملك لله وما فيها أيضًا ملك لله ولكن لما كان المرء قد يملك الخزانة ولا يملك ما فيها كأن تكون أمانة لغيره عنده أخبر تعالى أنه يملك السموات والأرض وما فيهما، كما أن محتوى الخزانة في الغالب يكون أنفس من الخزانة نفسها، فكأن الحق سبحانه يلفت الأنظار إلى أن ما في السموات والأرض من نجوم وشموس وغيرهما أنفس، بل أخبر سبحانه بعموم ملكه حتى لما بين السماء والأرض، فقال: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (طه: ٦).

* فإن قيل: فلِمَ قال في بعض الآيات: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، بزيادة (في) وفي بعضها: ﴿ما في السموات والأرض﴾؟ قلت: إذا زاد «في» فإنها تدل على ملكيته لمن في الأرض من بشر فيحكم فيها بما يشاء ويشرع لهم ما يشاء كما في سورة البقرة في قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا...﴾، وليبين لهم أنه لا يجوز الاعتراض على حكم الله بل الواجب التسليم إذ لله ما في الأرض من بشر يملكهم ويسوسهم بما يشاء من أحكام، وكقوله في سورة

النساء بعد ذكر بعض الأحكام الخاصة بالنساء فقال بعدها: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ١٣١)، وقس على هذا.

٤٠ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أي للرجال على النساء درجة فهم أفضل وتأمل قوله: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ ولم يقل: «فوقهن» إذ كلمة «عليهن» تتضمن الشفقة عليهن والنفقة عليهن والحلم والصفح واحتمال الأذى وأما كلمة «فوقهن» فقد توحي بالتعالي والترفع، وليست هكذا العلاقة الزوجية.

٤١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٤)، وقال أيضًا فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٠)، وفي هذا دقة متناهية إذ قال في آية: ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾، أي من بداية ما يقال له معروف أي كل المباح، وقال في أخرى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، فهي توحي بوجود بعض المنع، وقال في آية: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وقال في أخرى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فيظهر والله أعلم أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، معناه فإذا قاربن بلوغ الأجل وانتهاء العدة فأرادت بعض المباح كأن توكل من يشتري لها بعض الزينة فلا جناح عليها، ولذا قال: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، ليدل على وجود بعض المنع فلا يجوز لها أن تشتريها هي ولا أن تستعملها ولذا قال في آخر هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فلربما ظن الأولياء أنها تشتريها لتستعملها في السر فقيل لهم: دعوها فإن الله خبير بها وبحالها وسيحاسبها، وأما الآية الثانية فقوله: ﴿فَإِنْ

خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف﴾، أي يحل لها بانتهاء العدة كل مباح ولو تزوجت لتوها، ولما كان أولياء الميت ربما ظنوها قد اتفقت أثناء العدة مع رجل لتتزوجه فور انتهائها قيل لهم: دعوها فالله عزيز سينتقم منها لو فعلت هذا، وهو كذلك حكيم يشرع ما يشاء، فربما تضررت المرأة برك الزواج أكثر من هذا فأبيح لها الزواج ولو فور انتهاء العدة، ولكن لتحذر من أي حرام فالله عزيز حكيم.

تنبيه: يلاحظ قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليكم﴾، ولم يقل: «عليها»، ولا «على أوليائها» ليدل على أن واجب المجتمع كله إزالة المنكر وتقويم العاصي.

٤٢ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم﴾ (البقرة:٢١٧)، فقال: ﴿يرتدد﴾، ولم يقل: «يرتد» فكأن المرتد ولو كانت ردته عن تكلف وكراهية وصعوبة كما يوحي لفظ ﴿يرتدد﴾، فعمله حابط ومأواه جهنم فكيف بمن سهلت عليه الردة؟!

٤٣ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ (البقرة:٢١٦)، أي مشقة عليكم، فالكره بضم الكاف هو المشقة فإن قيل لمَ قال: ﴿لكم﴾ ولم يقل: «عليكم»؟ قلت: ليبين أن الكراهية الطبيعية التي في النفوس لمشقة الجهاد لا تبرر القعود عنه إذ فيه نفع لكم فهو لكم ثواب وحفظ للدين من طمع الكفار فيه بل القتل فيه شهادة، فهو لكم وليس عليكم، وتأمل حال المسلمين اليوم لما تركوا الجهاد ذلوا وهانوا على كل الأمم واستبيحت بيضتهم والله المستعان!!

٤٤ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾ (البقرة:٦٠)، وقال في سورة الأعراف: ﴿فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾ (الأعراف:١٦٠)، وفي هذا دقة بالغة إذ الانفجار هو شدة خروج الماء

والانبجاس هو الخروج اليسير، فلما كانت الأعراف مكية وما ذكر من أخبار اليهود فيها يسير ناسب أن يقول: «انبجست» التي تدل على الماء اليسير بينما البقرة سورة مدنية وقد ذكرت فيها أخبار كثيرة لبني إسرائيل فناسب أن يقول: ﴿انفجرت﴾.

٤٥ ـ قال تعالى في سورة الأعراف مخبرًا عن حال اليهود الذين عبدوا العجل: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:١٤٩)، فقال: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾، ليدل على الحزن الشديد والندم الشديد فالمهموم الحزين يضع يده على رأسه حتى يقول الناظر إليه سقطت رأسه على يده، فإن قيل لم قال: ﴿في﴾، ولم يقل: «على»؟ قلت: لأن النادم شديد الندم تسقط رأسه بشدة حتى كأنها دخلت في يده كما قال تعالى نقلاً لقول فرعون: ﴿لأصلبنهم في جذوع النخل﴾، أي «على النخل» ولكن لشدة الربط ظهروا وكأن أجسامهم دخلت في الخشب المصلوب عليه.

٤٦ ـ قال تعالى في سورة الليل عن أبي بكر الصديق: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ (الليل:١٧-١٩)، ولم يقل: «وما لأحد عليه من نعمة»، بل قال: ﴿عِندَهُ﴾، وذلك لأن المرء قد يكون عليه لغيره حق ولكن لا يجد ما يسدد به، فمن قال لغيره: «لك عليَّ نعمة»، فإنه يثبت مجرد الدين، وأما من قال: «لك عندي نعمة»، فمعناه لك عندي جزاء نعمة، فيفيد وجود الجزاء وحضوره بالفعل، فلما قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾، فكأنه قال: لو كان لأحد على أبي بكر دين لكان جزاؤه حاضرًا ولكن ليس لأحد عليه من دين.

٤٧ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لقول يعقوب لبنيه لما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين إلى مصر: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (يوسف:٦٦)، ولم يقل: «شهيد» لأن

الشاهد إنما يحضر ما قيل ليدلي به عند الطلب منه، وأما الرب فهو شهيد على ما قيل ووكيل للمظلوم ليأخذ منه الحق فهو شهيد وحكم في نفس الوقت سبحانه وتعالى.

٤٨ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لكلام يعقوب لبنيه لما سألوه أن يرسل معهم أخاهم بنيامين إلى مصر: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤)، ولم يقل: «خيرُ حافظٍ»، وذلك لأنه لما قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، دل على أن الله خير حافظ وخير متوكل عليه وخير نصير وغيرها من صفات الكمال إذ (خيرٌ) خبر يكمل المعنى عنده فلو قال: «الله خيرٌ» لاكتمل المعنى لدلالته على العموم ولكن قال هاهنا: «حافظًا» كتمييز لأحد صفات الكمال وأما لو قال: «خيرُ حافظ» لما دلت إلا على كماله في الحفظ دون أن تدل على غيره إذ كلمتي «خير حافظ» معًا خبر لا يكتمل المعنى بأحدهما فلا يصح أن يقال «فالله خيرُ» بل لابد أن يضاف إليها «حافظ».

٤٩ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ⑪ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١١-١٢)، فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾، ولم يقولوا: «أرسله غدًا يرتع ويلعب معنا»، كأن الأهم عندهم أن ينفردوا به ولذا قدموا ﴿مَعَنَا﴾، فهم لا يريدون متعة يوسف بل يريدون الانفراد به ليتخلصوا منه.

٥٠ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ⑤⓪ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: ٥٠-٥١)، فتأمل قولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، ولم يقلن: «ما علمنا منه من سوء»، كأنهن يقلن ليس يوسف مبرءًا

فقط من رؤيتنا للسوء منه بل هو صاحب سيرة شريفة نظيفة لدرجة أننا لم نسمع عليه من سوء، وهكذا المؤمن المظلوم يبيض الله سيرته ولو افترى عليه المفترون، فيكون المعنى: «ما سمعنا عليه من سوء وما علمنا منه من سوء»، فحذف فعل «سمعنا» ودل عليه بحرف الجر «عليه».

٥١ ـ قال تعالى في سورة هود نقلاً لكلام قوم هود له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٥٣)، ولم يقل: «لقولك» بل قال: ﴿عَن قَوْلِكَ﴾، ليضمن معنى الاستكبار والإعراض كأن المعنى: «وما نحن بتاركي آلهتنا استكبارًا عن قولك وإعراضًا عنه».

٥٢ ـ قال تعالى في سورة النازعات: ﴿السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧-٢٩)، ﴿أَغْطَشَ﴾، أي جعله مظلمًا وأخرج الضحى أي جعله ظاهرًا بإضاءة الشمس فيه وفي قوله: ﴿أَخْرَجَ﴾، دقة متناهية وذلك للآتي:

(أ) إذ يدل على أن الضوء كان موجودًا أصلاً ولكنه غير ظاهر حتى يخرجه الله ويظهره، وهذا ما علم حديثًا؛ إذ الضوء لا ينعدم بل يختفي ليظهر على النصف الآخر من الكرة الأرضية.

(ب) أن لفظ: ﴿أَخْرَجَ﴾، يصف كيفية ظهور النهار بدقة؛ إذ لفظ الخروج يشبه النهار كأنه محبوس ثم ينفرج عنه الحبس ليخرج، وهذا ما يظهر فالفجر الصادق ينتشر في الأفق عرضيًا ويزداد الضوء شيئًا فشيئًا فيظهر للناظر كأنما تنفتح السماء ليخرج الضوء.

٥٣ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣)، ولم يقل:

«فيتولى» التي تدل على سرعة التولي كأن الذي يدعى إلى كتاب الله فيوافق فإذا وجد حكم الشرع منافيًا لهواه أعرض عن الشرع كأن هذا مجرم آثم فكيف بمن يعرض ابتداءً عن تحكيم الشرع؟ فهذا أشد جرمًا وإثمًا، إذًا فقوله: ﴿ثُمَّ﴾، يدل على أنه يتولى بعد معارضة الشرع لهواه وليس ابتداءً.

٥٤ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء: ١٣-١٤)، فأفرد في العذاب ﴿خَالِدًا﴾، وجمع في النعيم ﴿خَالِدِينَ﴾، وذلك لأن المؤمن يتمتع بصحبة المؤمنين في الجنة، وأما الكافر فلا ينعم بصحبة الكفار بل يلعن بعضهم بعضًا، ولما كان المتوقع أن يخفف عن أهل النار اشتراكهم ووجود من يعذب مثلهم إذ المصيبة إذا عمت خفت نفى سبحانه ذلك فقال: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف: ٣٩).

٥٥ـ قال تعالى في سورة النساء مخاطبًا كل الناس: ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٧٠)، ثم قال في الآية التي تليها مخاطبًا النصارى: ﴿وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١)، وفي هذا دقة متناهية فسبحان من هذا كلامه، ففي الآية الأولى قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وقال في الثانية: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، زاد: ﴿مَا﴾، وذلك لأن الآية الأولى أمر بالتوحيد لكل الناس فناسب أن يقول: ﴿الأَرْضِ﴾، إذ ليس كل أهل الأرض على التوحيد، فكفرة الجن وبني آدم ليسوا كذلك، فكأنه يقول: وإن كفر بعض من في الأرض فالأرض نفسها تسبح وتتعبد لله، وأما ما في السموات فكلهم متعبدون لله، وأما الآية الثانية

فهي أمر للنصارى بالتوحيد فلما كان النصارى ينازعون في عبودية عيسى لله قال سبحانه: ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، أي بما فيهم عيسى عليه السلام ردًا على النصارى فأكرم بدقة القرآن.

٥٦ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٦٧)، فزاد: ﴿بَعِيدًا﴾، لأن التائه عن مكان ما إذا كان قريبًا من المكان لربما وصل إليه ولو بعد حين بعكس التائه عن المكان الذي يبتغيه وكان بعيدًا عنه فإن احتمال وصوله إلى مكانه صعب، وهكذا هؤلاء الكفار لما زادوا مع كفرهم الصد عن سبيل الله كان من الصعب جدًا في الغالب هداية أحدهم إلى الإسلام، بعكس من كفر ولم يصد فإن احتمال إسلامه أكبر.

٥٧ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٢)، فقال عن الخطيئة والإثم: ﴿يَكْسِبْ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠)، فقال عن السوء: ﴿يَعْمَلْ﴾، والسوء هاهنا كما قال بعض المفسرين: هو ما يسوء به المرء غيره أي المعصية التي تتعلق بحق الغير، وأما ظلم النفس فهي معصية لا تتعلق بالغير فلما ذكر الاستغفار ناسب أن يقول: ﴿يَعْمَلْ﴾، وألا يقول: «يكسب» إذ «يكسب» تدل على أن فاعل المعصية يفرح بها ويعدها مكسبًا، ومثل هذا يندر أن يتوب، ولذا لم يذكر التوبة في آية «يكسب» بل ذكر العذاب والإثم بعكس من يعمل المعصية ويحزن لفعلها فيتوقع منه أن يتوب، ولذا ذكر التوبة في آية «يعمل».

٥٨ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: ١٠١)، وقال في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ

فمن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٤)، فسمى السفر في سورة النساء ضربًا في الأرض ليدل على أنه أراد السفر الشاق المتعب إذ الضرب في الأرض عمل شاق ولذا سألت الصحابة رسول الله ﷺ عن القصر إذا أمنوا من الكفار إذ لا يفهم من الآية إلا إباحة القصر عند المشقة فقال: **«صدقة تصدق الله بها عليكم - أي ولو أمنتم ولو كان السفر سهلاً - فاقبلوا صدقته»**، وأما في سورة البقرة فهي تشريع لجواز الفطر في السفر، فلما كانت الرخصة شاملة لكل سفر ولو كان سهلاً قال: ﴿على سفر﴾، التي تدل على وجود مركوب يركب عليه المسافر فيسهل عليه سفره، فإذا جاز الفطر في هذه الحال فجوازه عند السفر الشاق أولى وعليه فحمل البعض لقوله: ﴿على سفر﴾، على أنه يجوز لمن عزم على السفر أن يفطر وإن لم يسافر حمل غير صحيح بل هذا مذهب كما قال عنه ابن عبد البر والشيخ ياسر برهامي مذهب شاذ.

٥٩ - قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٩)، فقال: ﴿مَتَّعْتُ﴾، وقال في سورة الأنبياء: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (الأنبياء: ٤٣-٤٤)، فقال: ﴿مَتَّعْنَا﴾. ، فيحتمل أن سورة الأنبياء متأخرة عن سورة الزخرف، إذ زيادة «نا» التي تدل على العظمة والاستغناء تناسب تأخر السورة، فكأنه يقول للكفار: زيادة كفركم لا تضر الله شيئًا لكمال عزته واستغنائه عن جميع المخلوقات، فكأنهم لما زاد كفرهم وطالت مدته خاطبهم بصيغة الاستغناء، والله أعلم.

٦٠ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)، وقال في طه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٣)، فقال في

البقرة: ﴿تبع﴾، وزاد الهمز والتاء في سورة طه فقال: ﴿اتَّبع﴾، وفي ذلك دقة بالغة إذ سورة طه مكية في أوائل العهد الإسلامي حيث كان الاستضعاف والشدة وكان الناس يؤمرون بمعاداة الآباء والأهل إن استمروا على غير منهج الإسلام فكان هذا شاقًا على النفوس خاصةً في البداية فقال: ﴿اتَّبَع﴾، التي تدل على وجود مشقة بينما سورة البقرة مدنية نزلت وقد استقر الإيمان في نفوس الكثير حتى أصبحت الطاعة سهلة لذيذة لا مشقة فيها فقال: ﴿تبع﴾، التي تدل على زوال الشدة فأكرم بهذا القرآن.

٦١ - قال تعالى لآدم في سورة طه: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه:١١٧)، ولم يقل: «فتشقيا» فدل على أن الرجل هو الذي يشقى ويعمل ويكدح خارج البيت لينفق على زوجته أفاده الشعراوي - رحمه الله - قلتُ: وقد أدى التهاون في خروج المرأة للعمل، وتبذلها للرجال إلى مفاسد لا حسر لها من تبرج النساء، وفساد أخلاق الشباب، واختلاط الرجال بالنساء وغيرها من المفاسد، - نعم - يجوز العمل للمرأة عند الضرورة والحاجة الملحة ولكن بضوابط وآداب.

٦٢ - قال تعالى في سورة مريم: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ (مريم:٦١)، ولم يقل: «آتيًا» ليدل على أنهم سيدخلونها إذ أن نعيم المؤمن في دخوله وتنعمه بها لا في مجرد وجودها فقوله: ﴿مَأْتِيًّا﴾، يفيد أن الجنة وعد صادق يأتيها المؤمنون فيدخلونها.

٦٣ - قال تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ (طه ١٩-٢١)، ولم يقل: «سنعيدها كما كانت» إذ لو قال هذا لربما ظن موسى أنها ستعود عصًا كما كانت ولكن لا تعمل عملها الأول فلما قال: ﴿سِيرَتَهَا الأُولَى﴾، أي ستكون بكل الكفاءات السابقة وستكون صالحة لكل استعمال سابق.

٦٤ـ قال تعالى في سورة طه لموسى عليه السلام في معرض ذكر نعمه عليه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه:٣٩)، وفي ذلك دقة بالغة فتأمل قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه:٣٩)، فكأن إلقاء المحبة من الله على موسى كان مع إلقاءه في البحر ولذا قال: ﴿أَلْقَيْتُ﴾، ولم يقل: «جعلت» وتأمل قوله: ﴿عَلَيْكَ﴾، ليدل على أن المحبة تنشيء في قلوب الناس إذا رأوه فهي عليه فضلاً من الله إذ المرء لا يحب إلا لجمال ظاهره أو جمال باطنه وجمال الباطن لا يعلم إلا بالمعاشرة والمخالطة، وأما موسى فهو صغير لا يتصور أن يعلم منه جمال باطن، وأما جمال الظاهر فقد كان أسمر على ما قيل في وصفه لذا كانت المحبة التي نشأت في قلوب الناس لموسى من عند الله لا لسبب آخر.

٦٥ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ (فاطر:١٩-٢١)، فتأمل قوله: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾، ولم يقل: «وما تستوي الظلمات والنور» ولم يقل: «وما يستوي الظل والحرور»، ليدل على أن الظلمات نفسها لا تستوي، كما أن النور ليس مستويًا؛ فظلمات كفر الصاد عن سبيل الله أشد من ظلمة الكافر الذي لا يصد الناس عن الدين، وظلمة الكافر المفسد بالسرقة والزنا أشد من ظلمة الكافر الذي لا يفعل هذا، كما أن النور لا يستوي؛ فأنوار الشريعة المحمدية أشد من أنوار شريعة موسى وعيسى.

* وكذا الظل لا يستوي والحر لا يستوي فالنعيم في الجنة متفاوت، وكذلك العذاب في الآخرة متفاوت، فالظل والحرور رمزان لنعيم الجنة وعذاب النار، أو رمزان لبرد الطاعات وحلاوتها ومشقة المعاصي ومرارتها، فالطاعات لا تستوي

في ثوابها وأثرها في تنوير القلوب، وكذا المعاصي لا تستوي في إفسادها للقلب وحرقها له.

٦٦- قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ (المؤمنون:٦٣)، وفي هذا دقة بالغة إذ القلب من لحم واللحم إذا غمر في سائل تشربته أنسجة اللحم فالقلب المغمور في الباطل تتشربه أنسجة القلب مع امتلاء فراغ القلب به فحتى يدخل الحق فلابد من تفريغ القلب من الباطل وكذا تخليص الأنسجة من هذا الباطل ولما كانت الأنسجة المتشربة للماء لا تخلص منه إلا بعرضها على النار أو تقطيع هذه الأنسجة ، فكذا هؤلاء الذين تشربوا الباطل لابد من عرضهم على النار لتخلص قلوبهم من الباطل إلا لو تقطعت قلوبهم بالتوبة والندم، قال تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ (التوبة: ١١٠)، وقال سبحانه عن اليهود الذين عبدوا العجل: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة:٩٣)، أي خالط حب العجل قلوبهم حتى ملأها وتشربتها أنسجة قلوبهم.

٦٧- قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ (النساء:٤٧)، وفي هذا التعبير دقة متناهية إذ طمس الوجه هو إلغاء العين والأنف ومعالم الوجه فيصير كالقفا لا حواس فيه فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾، ولم يقل: «كأدبارها»؟ قلت: كأن المعنى: «فنردها على شاكلة أدبارها» فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿نَرُدَّهَا﴾، ولم يقل: «نجعلها»؟، قلت: لأن الجنين في بطن أمه في بداية مراحل تكونه لم يكن لوجهه معالم كالقفا إلا أن الحواس كان لها بداية تشكل فكانت كالمطموسة، فقال: ﴿نَرُدَّهَا﴾، ليدل على أنها كانت هكذا ولو طمست لعادت إلى ما كانت عليه.

٦٨. قال تعالى في سورة النساء فيما يتعلق بالزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥)، ولم يقل: «وإن خاف أولياء الزوجين شقاق بينهما»، ليدل على أن المجتمع المسلم كله مأمور بالإصلاح بين الزوجين فإن خافوا النشوز سعوا في إرسال حكمين: حكم من أهل المرأة وحكم من أهل الرجل.

٦٩. قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٣٦)، وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، فأمر المسلمين ووصاهم بذي القربى، وقال: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، بينما وصى بني إسرائيل فقال: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾، وذلك ليدل على أن ذوي القربى لهم وصية خاصة عند المسلمين تزيد على الوصاية باليتامى والمساكين وغيرهم فلهم وصاية قريبة من تلك التي للوالدين، ولذا زاد الباء، وأما عند اليهود ذوي القلوب القاسية فلم تكن عندهم وصاية مثل التي وصي بها المسلمون.

٧٠. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، وقال في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء: ٣٦-٣٨)، فزاد في سورة النساء الباء فقال: ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، بينما قال في سورة البقرة: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وذلك لأن السياق في سورة البقرة عن مسلم مراءٍ فهو يؤمن بالله واليوم الآخر ولكن ليس

إيمانًا حقًا فلو آمن حقًا لأخلص لله ولأنفق ابتغاء ثوابه في الدار الآخرة فقال في سورة البقرة: ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، إذ وجه عدم إيمانه بالله واليوم الآخر وجه واحد ومن ناحية واحدة فلم يفصل بينهما، وأما آيات النساء فهي تتكلم عن الكفار ولذا قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، ولما كان الكفار لا يؤمنون بالله أصلاً ولا باليوم الآخر أصلاً قال: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، والله أعلم.

٧١ ـ قال تعالى في سورة آل عمران نقلاً لكلام اليهود: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران: ٢٤)، وقال نقلاً لكلامهم في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، فذكر المفرد ﴿مَّعْدُودَةً﴾، والفارق بينهما كما قال أهل اللغة أن كلمة ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ بالجمع تدل على القلة كأنها ساعات قلائل فكأنهم صبروا أنفسهم بأن النار ستكون مجرد ساعات، ولذا أتى التعبير القرآني الدقيق في سورة البقرة عن رمضان بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، أي هو مجرد أيام قلائل سرعان ما تنقضي ويبقى ثوابها فاصبروا على مشقة الصيام وأحسنوا استغلاله فهو سريع الانقضاء لا يكاد يبدأ حتى ينتهي سريعًا فإن قيل: فلِمَ قال في سورة البقرة: ﴿مَّعْدُودَةً﴾؟ قلت: كأن اليهود لما قالوا سندخل النار أيامًا معدودة ربما ذكرهم الناس أو ذكرتهم أنفسهم بأن العذاب شديد فكيف تطاق الأيام فقالوا هي معدودات سرعان ما تمر.

٧٢ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٢٦)، فقوله: ﴿تَنزِعُ﴾ يدل على الشدة في الإزالة فلو كان الملك ممسكًا بملكه بكل قوة أو كان المُلْك قويًا متينًا فإنه سبحانه ينزعه منه لو أراد فلا يغترن ملك ولا ييأسن مستضعفون لقوة ملك الظالمين.

٧٣ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران: ٣٥-٣٧)، ولم يقل: «قبولاً حسنًا»، ليدل على أن الله قبل نذر أم مريم وأثابها عليه وليس القبول المجرد فقط، مجرد القبول فيقال: «أهداني فلان فقبلتها قبولاً حسنًا»، أي كان الاستلام بأدب ودون أن يعقب الهدية حقد ولا حسد بل قبلتها قبول من يعرف جميل المهدي فإن قيل: «فقبلتها بقبول حسن» أي بجانب حسن التقبل أثبته عليها إثابة حسنة وهذا هو الكمال.

٧٤ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ (الأعراف: ١٠٠)، ولم يقل: «أولم يهد الذين يرثون» فزاد اللام وذلك لدقة بالغة إذ ضمن فعل «يهد» فعل «يتبين» ليدل على أن الهداية والعظة قد تبينها الكفار وظهرت لهم ولكن كفروا عنادًا، فيكون المعنى: «أولم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها ما يهتدون به».

٧٥ - قال تعالى في سورة الأعراف نقلاً لكلام صالح لقومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩)، بينما قال شعيب: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ (الأعراف: ٩٣)، وقال نوح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ (الأعراف: ٦٢)، فأتت الرسالات بالجمع وذلك لأن شعيبًا دعا قومه إلى ترك الشرك وترك قطع الطريق، وترك تطفيف الميزان، وغيرها من الآفات التي تستدعي كل واحدة بعثة رسول فكأنها رسالات، وأما نوح فقد طالت دعوته جدًا فأسر وجهر وشدد ولان ونصح على الملأ ومنفردًا فكأنها رسالات ولأن الفترة التي دعا فيها

يتصور أن يكون فيها عدة رسالات، وأما صالح فلعل آفة قومه الوحيدة شركهم بالله ولذا جعلها رسالة واحدة، والله أعلم.

٧٦ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، ولم يقل: «قريبة» ليدل على أن رحمة الله قريبة والله أيضًا قريب من المحسنين قربًا يليق به لا يقتضي حلولاً ولا اتحادًا ولا يشبه قرب المخلوقين، فكأن المعنى «إن الله قريب ورحمته قريبة من المحسنين» فحذف الجملة الأولى ودل عليها بحذف التأنيث من كلمة «قريبة».

٧٧ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١)، ولم يقل: «عند الذهاب إلى المسجد» ليدل على أن الزينة مأمور بها عند كل صلاة فيها سجود، ولو كانت في البيت لعذر، والزينة: زينة واجبة وهي ما غطت العورة بالنسبة للمرأة إلا الوجه والكفين، وما غطت عورة الرجل وكتفيه. وزينة مستحبة وهي الطيب ولبس الثياب الحسنة فإن قيل: لِمَ قال: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ولم يقل: «عند كل صلاة»؟ قلت: لعله والله أعلم لأن المرء قد يذهب إلى المسجد لصلاة الجنازة ولا يشرع فيها التطيب ولا لبس الثياب الحسنة كما قال كثير من الفقهاء لكون المقام لا يليق بذلك فلما قال: ﴿مَسْجِدٍ﴾، خرجت صلاة الجنازة لكونها لا سجود فيها، فأكرم بحلاوة القرآن!!

٧٨ـ قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، ولم يقل: «جاءتكم»، مع أن البينة مؤنثة وهذا من بدائع كتاب ربي إذ البينة هي كتاب الله المبين فيكون المعنى: «فقد جاءتكم بينة من ربكم وهي كتاب الله» فحذف لفظ الكتاب ودل عليه بحذف تاء التأنيث من الفعل ﴿جَاءَكُم﴾.

٧٩ـ قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨)، ولم يقل: «تأتي بعض آيات»

وذلك لأن الآية المقصودة كما ورد بذلك الحديث هي طلوع الشمس من مغربها فلما كان لفظ الطلوع مذكرًا قال: ﴿يأتي﴾، فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿بعض آيات﴾ ولم يقل: «آية»؟ قلت: ليدل على أن طلوع الشمس من مغربها يصاحبه آيات أخرى قريبة الزمن منها لا تنفع معها التوبة أيضًا كخروج الدابة التي تسم الناس على وجوههم ولكن أول هذه الآيات طلوع الشمس من مغربها فما أحلى كلام الله وما أدقه!! كم فيه من الكنوز والله!!، والحمد لله رب العالمين.

٨٠- قال تعالى في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٣-٥)، ولم يقل: «وربك الكريم»، لئلا يهضم المعلم البشري حقه، فإذا علم بشري بشريًا القراءة والكتابة فهو كريم لما في تعلمهما من نفع عظيم ولكن الله أكرم منه إذ هو الذي علم المعلم وأقدر الإنسان على التعلم أصلاً.

٨١- قال تعالى في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: ١-٢)، مع أن الإنسان خلق من نطفة وعلقة ومضغة، فلِمَ اختص ذكر العلقة هاهنا؟ قلت: هاهنا مناسبة لطيفة، وهي أن سورة العلق أول سورة نزلت على رسولنا فناسب أن يذكر خلق الإنسان من علق لأن العلقة هي أول مراحل استقرار الإنسان في بطن أمه، فكأنه قيل لرسولنا لتكن هذه السورة هي أولى مراحل استقرار نفسك واطمئنانها بأنك رسول حقًا، وبأن الرسالة من عند الله، إذ كان رسولنا في أوائل أمره يرى جبريل دون أن يبلغه بشيء فكان يخشى على نفسه حتى أنَّه همَّ بإلقاء نفسه من فوق الجبل ﷺ.

٨٢- قال تعالى في سورة الأعلى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ (الأعلى ٩-١١)، وفي هذا دقة عظيمة إذ أتى عند الكلام عن المتعظ

بالموعظة بحرف السين ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ ولم يقل: «سوف» ليدل على سرعة تذكر الذي يخشى الله، وأمـا في المعرض فـقال: ﴿يَتَجَنَّبُهَا﴾ ولم يقل: «سيـتجنبـها»، لأن المعرض يتجنب الخـير والعمل به ابتداءً سواء وعظ أم لا فحـاله ترك الخير وترك العمل به فأعظم بدقة القرآن.

٨٣ـ قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٤-١٦)، ولم يقل: «بغـائبين عنها» ليدل عـلى مزيد التأكيد فلو قدر أنهم يغيبـون عن كل شيء إلا شيئًا واحدًا فقط لكانت النار هي التي لا يغيـبون عنهـا ثم تأمل قوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾، ولم يقل: «وما هي عنهم بغائبة»، فالمتـصور أنهم قد يغيبون عنها، أمـا أن تغيب هي عنهم فلا، وفي هذا دليل لأهل السنة والجماعة على بقاء النار والجنة بإبقاء الله لهما فلا تفنيان؛ فالنار لا تنقطع ولا تغيب حتى نار أهل التوحيـد، ولكن البعض قد يغيب عن العذاب وينجو وهم الموحدون وأما الكفار فلا.

٨٤ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٥-١٦٦)، فلم يقل: «عنهم الأسباب» ليفيد أن أسباب التواصل تقطعت مع تضررهم وعذابهم بعكس ما لو قال: «عنهم» لأفادت انقطاع المحبة بينهم فقط.

٨٥ـ قال تعالى في سورة محـمـد: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ (محمد: ٢٠-٢١)، وفي ذلك دقـة إذ قال: ﴿نُزِّلَتْ

سورة﴾، عند ذكر مقولتهم وفعل «نزل» يدل على التدرج ولما ذكر ما فعله سبحانه قال: ﴿أنزلت﴾، التي تدل على النزول مرة واحدة وكأنهم طلبوا نزول آيات الجهاد شيئًا فشيئًا لصعوبة الأمر على نفوسهم إلا أن الله أنزل آيات الجهاد مرة واحدة.

٨٦- قال تعالى في سورة محمد: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد:٣١)، فصل المجاهدين عن الصابرين ولم يقل: «حتى نعلم المجاهدين والصابرين منكم»، إذ ابتلاء المجاهد أشد وثوابه أعظم من الصابر غير المجاهد.

٨٧- قال تعالى في سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد:٤)، فشبه الحرب بدابة يوضع ما عليها من أثقال بعد انتهاء رحلتها وذلك لأسباب:

(أ) أن الحرب كالدابة وسيلة موصلة إلى هدف وهو إقامة دين الله في الأرض وليست الحرب مقصودة لذاتها.

(ب) أن الحرب تقود سائقها كالدابة فإما إلى الجنة لو كانت حربه في سبيل الله وإما إلى النار لو كان قد خرج في سبيل الشيطان.

٨٨- قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧)، فقال: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، كأن كل واحد من الأخلاء الفجرة عدو لصاحبه فهي عداوة من الطرفين، بل زادت العداوة إلى أقصى حد حتى كأن العداوة انتقلت إلى أعضاءهم ولذا قال: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فكل جزء منهم عدو لكل جزء من الآخر.

٨٩- قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت:٣٤)، فقال: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، ليدل على أن السيئة لا تستوي مع الحسنة كما

أن السيئات والحسنات تتفاوت، فالواجب أحب إلى الله من المستحب والمستحب المؤكد أحب من غير المؤكد وكذا السيئات فالكفر أشد من الكبائر والكبائر أشد من الصغائر أو تكون الحسنة هنا هي الأخلاق الحسنة وهي متفاوتة كذلك وتكون السيئة هي الأخلاق السيئة وهي متفاوتة كذلك.

٩٠ - قال تعالى في سورة غافر: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر: ٥٢)، ولم يقل: «عليهم اللعنة» وذلك لأنهم أرادوا المجد في الدنيا والبقاء فيها فكان نصيبهم اللعنة وليس ما أرادوا فاللعنة مكسبهم ومغنمهم من الدنيا وبئس المكسب.

٩١ - قال تعالى في سورة يس: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٣١-٣٢)، ولم يقل: «وإن كل إلا جميع» ليضمن معنى المشيئة فيكون المعنى: «وإن كل لما نشاء ونريد إلا جميع لدينا حاضرون» فحذف فعل المشيئة ودل عليه بقوله: ﴿لَّمَّا﴾، فسبحان من هذا كلامه.

٩٢ - قال تعالى في سورة يس: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣)، ولم يقل: «جاءهم» ليدل على أن الرسل جاءوا الناس في قريتهم وليس في خارجها فلم كفروا مع أن الخير جاءهم وهم في دارهم دون أن يتكلفوا الهجرة إليه أو البحث عنه؟ ويحتمل أن تدل كذلك على حاجة القرية إلى الرسل فكأنها اشتكت كفر قومها إلى ربها، فجاء المرسلون إليها ليزيلوا شكواها.

٩٣ - قال تعالى في سورة الروم: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٣٥)، فقال: ﴿فَهُوَ﴾، ولم يقل: «سلطانًا يتكلم» ليدل على أنه لا يوجد في الكتب السابقة دليل على الشرك أبدًا ولو تصور وجود كتاب يبيح الشرك لكان فقط ما نسألكم عنه أيها المشركون ولن تجدوا دليلاً فدل على انعدام

أي كتاب منزل من السماء فيه دليل على الشرك ولو قال: «سلطانًا يتكلم» لكان الممنوع منه هو الكتاب المنزل على هؤلاء المشركين فقط ولكن ليس فيه دلالة على انعدام أي كتاب منزل فيه الشرك فكان اللفظ الذي أتت به الآية أدق.

٩٤ - قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ (العنكبوت: ١٠)، فقال: ﴿وَلَئِن﴾، التي تدل على الشك ولم يقل «إذا» لأنه غالبًا ما يتأخر التمكين فترةً ما ليكتمل تمييز الصفوف وتمحيص المؤمنين ونشأة الأجيال القوية الصلبة فلا داعي للعجلة والاستعجال فنصر الله آت في الوقت الذي حدده الله لا محالة والله المستعان.

٩٥ - قال تعالى في سورة هود نقلاً لكلام هود لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ (هود: ٥٧)، ولم يقل: «بلغتكم» بل لم تأت في رسالة رسول قط «بلغتكم» فكل ما ذكر في القرآن ﴿أَبْلَغْتُكُم﴾، ليدل على أن الرسل قد بلغوا وأبلغوا في أداء ما عليهم كما يقال: «أبلغ فلان في الموعظة» أي أداها أداءً متميزاً يزيل كل إشكال وينبه كل غافل وهكذا كان بلاغ الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

٩٦ - قال تعالى في سورة هود نقلاً لكلام نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ (هود: ٣٤)، فقال: ﴿أَنصَحَ لَكُمْ﴾، ولم يقل: «أنصحكم» ليضمن فعل النصح معنى الإخلاص، فكأنه قال: «أخلص لكم وأنصحكم» فكم من ناصح غير مخلص!! وأما الرسل فهم ناصحون مخلصون.

٩٧ - قال تعالى في سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥)، ولم يقل: «نوف لهم»، بل قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾،

ليضمن فعل (نوف) فعل «نسوق» فكأنه قال: «نسوق إليهم الدنيا توفية لأعمالهم فيها»، وذلك مبالغة في الدلالة على حقارة الدنيا عند الله إذ يسوقها للكفار ولو كانت تعدل عنده جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء.

٩٨ - قال تعالى في سورة هود عن الإنسان: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ⑨ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود: ١٠)، ولم يقل: «ذهبت السيئات» ليدل على أن السيئات هنا هي السوء أي ما يسوء من أقدار، وليست السيئات التي هي الذنوب والمعاصي فكأنه قال: «ذهب السوء عني».

٩٩ - قال تعالى في سورة التوبة عن الكفار: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢)، وقال في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨)، وفي هذه دقة بالغة إذ قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾، يدل على وجود سعي مع الإرادة فكأنه قال: «يريدون أن يطفأوا ويسعون لأن يطفأوا نور الله»، فلما ذكر إرادتهم وفعلهم وسعيهم قال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، فذكر فعله سبحانه، وأما قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا﴾، فهو إخبار عن إرادتهم المجردة، فلما ذكر إرادتهم ذكر إرادته سبحانه لخلاف ذلك فقال: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾، فما أحلى القرآن وما أدقه!! فإن قيل: فلِمَ ذكر في التوبة إرادتهم وذكر في سورة الصف إرادتهم وسعيهم؟ قلت: لأن سورة الصف نزلت في بداية العهد المدني وقتما كان للكفار قوة وطمع أكبر وسعي أعظم للقضاء على الدين، بينما نزلت سورة التوبة بعدما انتصر المسلمون على الكفار في أكثر من غزوة وسرية فضعف سعي المشركين، ولكن بقت إرادتهم الخبيثة للقضاء على الدين.

١٠٠ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ٥)، فقال: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، ولم يقل: «فأطلقوا سراحهم» إذ ربما أطلقوا سراحهم وسلطوا عليهم من يتعرض لهم في طريقهم فلما قال: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، دل على لزوم تخلية الطريق من كل مانع.

١٠١ـ قال تعالى في سورة المعارج: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (المعارج: ١١-١٢)، ولم يقل: «وزوجته» ليدل على أنه لا تتصور مصاحبة بين رجل وامرأة إلا لو كانت زوجته خلافًا لما يدعوا إليه أهل الفساد والإفساد.

١٠٢ـ قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ (الحاقة: ٩)، خص فرعون وقوم لوط ﴿الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ بالذكر لأن خطأهم جاء على خلاف الفطرة والمشاهد ففرعون ادعى لنفسه الربوبية وقوم لوط استغنوا بالذكور عن النساء.

١٠٣ـ قال تعالى في سورة القلم عن أصحاب الحديقة: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ (القلم: ٢٣-٢٤)، فقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾، يدل على أن أباهم اعتاد الفقراء أن يأتوه عند الجذاذ ليأخذوا من الثمر فأرادوا هم بدايةً من اليوم ألا يعطوا فقيرًا شيئًا.

١٠٤ـ قال تعالى في سورة الحديد لصحابة رسوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: ٧)، فقال: ﴿مِنكُمْ﴾، إذ الأجر الكبير الذي لصحابة رسولنا لا يشاركهم فيه أحد ـ نعم ـ لكل من آمن من الثواب ولكن الثواب الأكبر لصحابة رسولنا ﷺ ثم تأمل الدقة القرآنية البالغة حيث قال: ﴿آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، ولم يقل: «آمنوا وأنفقوا منكم» ليدل على أن سبب التفاضل في النفقة ـ إنما هو أساسًا بسبب ما قام في القلب من إيمان فالتفاضل ليس بكمِّ العمل، ولكن بما في القلوب من إيمان.

١٠٥ - قال تعالى في سورة الطور: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الطور: ٢٤)، فقال: «لهم» ليدل على أنهم غلمان مخصصون لهم لا يخدمون غيرهم.

١٠٦ - قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (الحجرات: ٢-٣)، فلما نهى عن رفع الصوت فوق صوت رسولنا قال: ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، ولما ذكر غض الصوت قال: ﴿عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، وذلك لدقة بالغة، إذ كلمة ﴿النَّبِيِّ﴾، تقتضي النبوة والرفعة فاستلزم ذلك عدم رفع الصوت فوق صوته لعلو مكانته وأما غض الصوت فقد قال: ﴿عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، وذلك لأن مجلسه مجلس تنزل الوحي والشريعة والرسالة، فالواجب غض الصوت عنده ﷺ تعظيمًا للشرع الذي يتلى عنده.

١٠٧ - قال تعالى في سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١)، وقال في سورة آل عمران عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٧)، وفي ذلك دقة بالغة إذ المتخلفون من الأعراب ليسوا منافقين بل هم جفاة جهال بسطاء فتكلموا بألسنتهم ما لا رصيد له في قلوبهم لعدم علمهم بمعاني الإيمان وحقيقتها وأما المنافقون فهم أهل خداع وتكلف يزوقون الكلام ويتشدقون فيه حتى كأن أفواههم كلها تتكلم وليست ألسنتهم، ولذا قال: ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾، مع المنافقين، وقال: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾، مع الأعراب.

١٠٨ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧)، وقال في سورة النمل: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾

(النمل: ٧٠)، وفي هذا دقة بالغة، إذ العرب تزيد في الكلمة حروفًا وتنقص حروفًا لتدل على معاني أكثر فقوله: ﴿وَلَا تَكُ﴾، أي لا يكن عندك أي مقدار من الضيق ولو كان صغيرًا وأما قوله: ﴿لا تكن﴾، أي لا تضق ضيقًا كبيرًا، فلعل السر في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَا تَكُ﴾، أنه هذه الآيات مدنية كما في صحيح البخاري إذ نزلت لمقتل حمزة بينما سورة النمل مكية فقال: ﴿تَكُن﴾، إذ الرسول في بداية الدعوة كان على أمل كبير من إسلام الكفار وكان يرى الصد فكان ذلك يحزنه جدًا فناسب أن يقال له: ﴿لا تكن﴾، إذ يصعب جدًا أن ينعدم الحزن بالكلية فزاد النون ﴿تَكُن﴾، ليدل على أن المنهي عنه هو الحزن الشديد الذي يمنع الداعية ويصده عن دعوته، وأما آيات النحل فقد نزلت في المدينة بعدما زاد كمال تعلق رسولنا بربه وكمال معرفته به، بل وتعودت نفسه على صد المشركين وكيدهم فقيل له ﴿وَلَا تَكُ﴾، أي لا يكن عندك أدنى حزن ثم نزول الآيات في مقتل حمزة مناسب للنهي عن أي حزن إذ الشهيد يتنعم عند ربه فلا ينبغي الحزن على فواته ولو بأدنى مقدار.

* قوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾، ولم يقل: «ولا يك بك ضيق» كأن المنهي عنه هو الضيق الذي يحبس الداعية نفسه فيه فلا يخرج منه فييأس ويترك الدعوة ولو لمقدار قليل من الزمن وأما وجود بعض الضيق والحزن على حال الناس وغفلتهم فهذا أمر طبيعي لا ينهى عنه الداعية.

١٠٩. قال تعالى في سورة الأعلى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الأعلى: ٦-٨)، ولم يقل: «وسنيسرك» لئلا يفهم فاهم كون رسولنا وقت نزول الآية غير ميسر لليسرى بل لم يزل ومازال ميسرًا لليسرى ﷺ، ولكن تزداد معارفه وعلومه الشرعية مع زيادة الوحي فيزداد

تيسير اليسرى، فأتى القرآن بالفعل المضارع الذي يدل على تيسيره وقت نزول الآية لليسرى وإنما وعده ربه بزيادة ذلك.

١١٠ ـ قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان: ١-٢)، فكرر ذكر لفظ الإنسان ليدل على أنه لنسيانه احتاج للتذكير بهذه الحقائق وإلا فهي مما لا يحتاج إلى تذكير لوضوحه وظهوره.

١١١ ـ قال تعالى في سورة القيامة: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ١٤-١٥)، ولم يقل: «ولو أدلى بمعاذيره» إذ الإلقاء يدل على القوة أي لو أدلى بحججه وأعذاره بقوة فلن ينفعه ذلك إذ ستكذبه أعضاؤه وكتبه التي سطرت بأعماله.

١٢٢ ـ قال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ (العنكبوت: ٨)، وفي ذلك دقة بالغة إذ الأبوان ربما كانا يحثان ابنهما على الشرك ظانين أن الخير له في شركه، ولكن لا يتعدى حثهما النصح ـ نعم ـ يلحان بشدة ويجاهدان لإقناع ولدهما ولكن بحنان وشفقة فمثل هذا يقال له لا تترك برهما بل عاملهما بمعروف، فربما دعتهما محبتهما لك على أن يسلما، ولكن لا تترك مصاحبة من أناب إلى الله لتثبت على الدين إذ الشيطان قريب من الواحد بعيد عن الجماعة خاصة وأنه سيخالط والديه بعض الشيء فيحتاج إلى مزيد قوة للثبات على دينه وعدم الزعزعة، فنزلت آية لقمان لمثل هذه الحالة، وربما كان الوالدان قد حملهما كفرهما على معاداة الابن ومخاصمته وعدم السماح له حتى ببرهما فمثل هذا قيل له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، واصبر على أذاهما لك، فإلى الله

مرجعكم للحكم بينكم، فقوله ﴿جاهداك على﴾ يتضمن الحث على الكفر والنصح به، وأما قوله: ﴿جَاهَدَاكَ لِـ﴾ فيتضمن المحاربة والمعاداة والمخاصمة من أجل الكفر، والله أعلم.

١١٣ - قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم:٣٦)، فلما ذكر سبحانه النعم قال: ﴿إِذَا﴾، التي تفيد التحقيق ليدل على كثرة حدوث النعم على العباد بينما ذكر المصائب بقوله: ﴿وَإِن﴾، التي تفيد الشك ليدل على أن المصائب قليلة في جانب النعم.

* وقال عن النعم: ﴿أَذَقْنَا﴾ ليدل على شمولها وبركة آثارها إذ الطعام أو الشراب المذاق تصل فائدته إلى الجسم كله بعد الهضم، وقال عن المصائب: ﴿تُصِبْهُمْ﴾ ليدل على أنها محددة ومحدودة كما يقال: «أصبت الهدف» ليدل على إصابة مكان محدد بعينه لا كل المرمى مع أن النعم فضل من الله ورحمة، والمصائب بسبب ذنوب العباد ومعاصيهم.

١١٤ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:١١)، وهي الآية الوحيدة التي قال فيها: ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾، وأما غيرها من الآيات فقد قال: ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾، وفي ذلك دقة بالغة، إذ ربما سار الإنسان ليتعظ فهذا غرضه الأساسي فيكون قوله: ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾، خاصًا به وربما سار في الأرض ليتكسب أو لغرض آخر غير الاعتبار فقيل له: اقضِ مشاغلك ولا تنس الاعتبار فقال: ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾، أفاده الشعراوي ـ رحمه الله ـ.

١١٥ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة:٥٤)، فقوله: ﴿فَسَوْفَ﴾، يدل على البعد الزمني،

فالراجح أنها ليست في ردة العرب في عهد أبي بكر - نعم - أبو بكر وصحبه هم أشد الناس حبًا لله ولكن لم تنزل الآية فيهم، والله أعلم، خاصة لقوله: ﴿يَرْتَدَّ﴾، التي تدل على سهولة الردة، ولم يقل: «يرتدد»، التي تدل على صعوبة الردة ومشقتها فالردة أيام أبي بكر كانت صعبة وشاقة لوجود الطائفة المؤمنة التي تحمي الدين وتردع المرتدين، فلعل الآية في قوم يرتدون في زمن تسهل فيه الردة كزماننا فيبعث الله قومًا يحبون الله ويحبهم الله فيحافظون على الدين ويقاتلون عليه، خاصة من أهل اليمن ففي الحديث لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : **«هم هذا وقومه وأشار إلى أبي موسى الأشعري»** (حسنه الألباني).

١١٦ - قال تعالى في سورة المائدة عن اليهود: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة:٦٤)، ولم يقل: «نار الحرب» لأن اليهود أجبن خلق الله فهم لا ينشأون حربًا في الغالب وإنما يشعلون الفتنة ويثيرون القلاقل لتنشأ الحرب بين الأمم بعيدًا عنهم فهم يشعلون النيران للحرب ولا يشعلون نار الحرب.

١١٧ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، ولم يقل: «حَكَمًا»، وفي ذلك دقة بالغة إذ الحاكم ربما كان أحسن الناس وأقدرهم على الحكم الصائب، ولكن ربما كان حكمه خطأ - لا - لتقصيره ولكن لكذب الشهود وربما كان الناس كلهم جهلة فكان هو على جهله أحسن الناس وأعلمهم بالحكم، فلما قال سبحانه: ﴿حُكْمًا﴾، دل على أنه هو سبحانه الحكم العدل وكذا حكمه أحسن حكم إذ يصدر عن علم تام وخبرة واسعة فلا يستطيع أحد خداع الله ولا التعمية عليه سبحانه وتعالى.

١١٨ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (المائدة: ٥١-٥٢)، فقال: ﴿يُسَارِعُونَ

فيهم﴾، ولم يقل: «إليهم» لأن «إلى» تدل على بعدهم عن اليهود والنصارى، وأما «في» فهي تدل على أنهم تبعًا لهم فهم غارقون في محبتهم وهواهم.

١١٩ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة:٦)، ولم يقل: «ما يريد أن يجعل» وذلك لأن الإرادة إما كونية قدرية وقد لا يحبها الله كإرادته سبحانه لكفر الكافر ومعصية العاصي ولابد من تحقق هذه الإرادة، وإما إرادة شرعية وهي ما شرعه الله لعباده وأراد منهم فعله ومتعلقها يحبه الله، ولكن قد لا يطيع العباد فيتخلف مراد الله الشرعي فقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ﴾ أي: «ما شرع ليجعل» فتكون الإرادة هنا الشرعية.

١٢٠ - قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٦-٧)، فاليهود هم المغضوب عليهم، والضالون هم النصارى كما ورد في الحديث الصحيح وفي هذا دقة بالغة، إذ ذكر فعل النصارى وهو ضلالهم، وذكر عقاب اليهود وهو الغضب عليهم، ولم يقل: «غير الذين استحقوا غضب الله ولا المضللين» وذلك لأن اليهود أدعياء فساد وفتنة في الأرض، فلو أخبر سبحانه أنه غضب عليهم لما قال أحد لِمَ؟ بل الكل يعلم استحقاقهم للغضب، وأما النصارى فكثير منهم أدعياء سلام ومحبة كاذبين فلو أخبر أنه أضلهم لربما ظن البعض ظلمهم فأخبر سبحانه بفعلهم ومعصيتهم وضلالهم ليعرف الجميع أنهم ضلال ضالون فلا ينخدع أحد بهم.

١٢١ - قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم:٣٤)، ولم يقل: «كل ما سألتموه» فكأن الله الكريم آتاكم كل شيء حتى بدايات الأشياء وأصولها فقوله: «من كل»، أي من بداية ما يقال له شيء، ويحتمل أن يكون المعنى: «آتاكم الله الشيء وما يكون منه وما يتولد منه» إذ الفرع من عطاء الله أيضًا، فلولا تقديره لوجوده من أصله لما وجد.

١٢٢. قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣)، وقال في سورة النحل: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨)، إذ أن سورة النحل سورة النعم لما ذكر فيها سبحانه من نعم على عباده، فناسب أن يذكر مغفرته لعباده مع تقصيرهم في شكر النعم إذ مغفرته نعمة كبرى، فقال فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وأما سورة إبراهيم فقد ذكر فيها تكذيب الأمم لرسلهم فناسب أن يذكر كفران الإنسان وظلمه لنفسه، فقال فيها: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، وقد فقه الصحابة ﷺ كل الفقه فجعلوا سورة إبراهيم في المصحف قبل سورة النحل لتكون السورة الأولى (إبراهيم) مبينة لظلم الإنسان وكفرانه لنعم الله ولتكون السورة الثانية (النحل) مبينة لمغفرة الله لعباده.

١٢٣ - قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، ولم يقل: «تأتي إليهم» ليدل على سرعة الإتيان والاشتياق والحب كما يقال: «هويت الناقة إلى البئر» أي أسرعت إليه إسراعًا شديدًا ثم تأمل قوله: ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾، ليدل على أن قلوبهم من شدة شوقها كأنها هي التي تأتي فكم من مكان زاره العبد ببدنه وقلبه لاهٍ لا يجد شوقًا إليه، وأما الحرم المكي فالقلوب تأتيه قبل الأبدان.

١٢٤ - قال تعالى في سورة الحجر عن أهل الجنة: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨)، ولم يقل: «بخارجين» إذ المخوف أن يخرجهم الله منها، أما أن يخرجوا بأنفسهم مع ما هم فيه من نعيم فلا يتصور هذا فأمنهم الله بعدم إخراجه لهم منها.

١٢٥ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(النحل:١٤)، أي ترى السفن تشق البحر وتمخر فيه، وقال في فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر:١٢)، فقدم قوله: ﴿فِيهِ﴾، وحذف الواو، فأما قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾، بالعطف ففيها دليل على أن إمكانية سير الفلك في البحر نعمة في حد ذاتها، وأما استخدامها من أجل طلب الرزق فهي نعمة أخرى، فناسب أن يذكر هذا في سورة النحل إذ هي سورة النعم (أي عددت فيها النعم)، وأما قوله في سورة النحل: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾، فإخبار عن السفن التي تسير البحر ويمكن سيرها في النهر وهي السفن غير العملاقة، وأما قوله في سورة فاطر: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾، فإخبار عن السفن التي لا يمكن سيرها إلا في البحر، وهي السفن العملاقة جدًا ولذا قال: ﴿فِيهِ﴾ أي في البحر ولم يقل فيهما، فإن قيل قد ذكر في سورة فاطر البحرين العذب الفرات والملح الأجاج فلِمَ خصصت الضمير بالبحر المالح؟ قلت: قال أهل اللغة: «الضمير يعود على أقرب مذكور وقد قال تعالى: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾.

* وفي هذا إعجاز علمي عظيم؛ إذ لم تعرف هذه السفن العملاقة جدًا التي لا تسير إلا في البحر إلا في القرون المتأخرة جدًا، فضلاً عن أن تكون في عهد رسولنا فقوله تعالى: ﴿تَرَى﴾، أي تعلم فإخبار الله لك أوثق عندك من رؤية عينك.

١٢٦ . قال تعالى في سورة غافر نقلاً لقول مؤمن آل فرعون لهم: ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر:٢٨)، فقال: ﴿يَكُ﴾ ولم يقل: «يكن»، ليدل على أن موسى لو صدق ولو في خبر يسير فقومه مهددون بعذاب الله، وإن لم يكن صادقًا ولو في خبر واحد فإن وبال كذبه يعود عليه فليحذر

الدعاة إلى الله من أن يقـولوا على الله ما لا يعلمـون، ولو في شيء يسيـر لئلا يبوءوا بإثم ذلك، وكذلك فليحذر المدعون وليؤمنوا خشية أن يصيبهم ما حذرهم الرسول ﷺ منه.

١٢٧ ـ قال تعالى في سورة الأحزاب فيما يتعلق بنساء رسولنا ﷺ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٥)، وقال عن عموم النساء في سورة النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ (النور: ٣١)، فقال: ﴿بَنِي﴾، ولم يقل: «أبناء» كما قال في نساء النبي ﷺ إلا في قوله في سورة النور: ﴿أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾، وذلك لسر بديع، إذ جمع (ابن) أبناء وكذلك (بني)، ولكن لما كان الكلام عن نساء رسولنا شديد الأهمية لتعلق ذلك بحرم رسولنا قال: ﴿أَبْنَاءِ﴾، التي فيها [illegible] يدل على ثقل الأمر فعلى هؤلاء أن يحتاطوا جيدًا عند الكلام والنظر إليهن ـ نعم ـ أبناء الأخ وأبناء الأخت محارم لزوجات النبي ﷺ ولكن لابد من المبالغة في حفظ النفس عند الكلام أو النظر إليهن، وأما عموم نساء المؤمنات فقال: ﴿بَنِي﴾، فهي كلمة خفيفة؛ إذ حرمة نساء النبي أشد إلا أنه خص ﴿أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾، بالتثقيل لأنه كثيرًا ما تنشئ المفاسد من أبناء الزوج مع زوجة أبيهم خاصة لو كانت الزوجة شابة وكان الأب عجوزًا ـ نعم ـ هو كابنها وهي كأمه ولكن لابد من الاحتياط خاصة مع فساد الزمان ولذا قال مالك ـ رحمه الله ـ: «لا يسافر الابن بزوجة أبيه»، وذلك خشية المفاسد، فما أعظم القرآن!!

١٢٨ ـ قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، فقوله: ﴿تَبْدِيلًا﴾، يدل على أنهم ما بدلوا ولو تبديلاً صغيرًا فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعلنا منهم وألحقنا بهم آمين.

١٢٩ . قال تعالى في سورة الممتحنة عن إبراهيم وقومه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الممتحنة: ٤-٦)، وقال في سورة الأحزاب عن رسولنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

* فيلاحظ أنه لما تكلم عن إبراهيم وقومه قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، ولما تكلم عن رسولنا زاد ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وذلك لأن إبراهيم وقومه لم يؤمروا بقتال الكفار من قومهم فاحتاجوا في الثبات على دينهم إيمانًا بالله الذي سينصرهم وإيمانًا باليوم الآخر الذي فيه يجتمع الخصوم وينتقم الله للمؤمن من المجرم وقريبًا ما سيأتي هذا اليوم مهما طالت الدنيا، فليصبر المؤمنون على أذى الكفار لهم وأما أمة رسولنا فقد أمروا بجهاد الكفار فاحتاجوا للثبات بجانب الإيمان بالله واليوم الآخر إلى ذكر الله ليثبت قلوبهم عند ملاقاة العدو ولتطمأن نفوسهم بالله فلا يجزعوا إذا رأوا كثرة عدوهم، فالحمد لله على نعمة القرآن.

* وأما قوله في أول آية: ﴿قَدْ كَانَتْ﴾، وفي الآية الثانية: ﴿لَقَدْ كَانَ﴾، فلأن نزول الآيات بسبب إرسال بعض الصحابة لكفار قريش يخبرهم بخروج رسول الله إليهم فقال أولاً: ﴿قَدْ كَانَتْ﴾، تنبيهًا على الأسوة نفسها ثم قال ثانيًا: ﴿لَقَدْ كَانَ﴾، تنبيهًا على التأسي بإبراهيم ﷺ نفسه فكأنه قال: «لقد كان لكم إبراهيم أسوة»، ولذا قال في سورة الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾

(الأحزاب: ٢١)، أي في شخصه وذاته، فمن لبس أو أكل كما كان رسول الله ﷺ يفعل ناويًا التأسي فله ثوابه.

١٣٠ - قال تعالى في سورة الأحزاب عن المنافقين: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ١٨-٢٠)، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، ولم يقل: «أشحة بالخير»، ليضمن معنى الحرص فكأنه قال: «حريصين على جمع المال (الخير) وبخلاء به»، فجمعوا الحرص مع البخل والشح.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾، ولم يقل: «معكم»، ليدل على أنهم لو خرجوا إلى الجهاد مع المؤمنين لكانوا فقط معهم في الظاهر بأجسادهم أما أن يكونوا معهم في الباطن على قلب رجل واحد - فلا - ولذا قال: ﴿فِيكُم﴾، أي هم مجرد متواجدون لا أكثر من ذلك.

١٣١ - قال تعالى في سورة الأحزاب آمرًا رسوله بإلغاء تبنيه لزيد بن حارثة: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥)، ولم يقل: «هو القسط عند الله»، بل قال: ﴿أَقْسَطُ﴾، ليدل على أن تبني رسول الله لزيد لَمَّا اختاره على أبويه وفضله عليهما قسط ولكن حكم الله بإلغاء التبني أقسط وأقوم وأعدل فهو أحكم الحاكمين والعليم بمصالح البشر.

١٣٢ - قال تعالى في سورة الطور: ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (الطور: ١٤)، وقال في سورة السجدة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠)، وذلك

لأن المرء قد يكون مكذبًا بوجود النار أصلاً فيقال له في النار: ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وقد يصدق بوجود النار ولكن لا يرى نفسه أهلاً للعذاب فهو مكذب بتعذيبه فيقال له: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، أي كنتم تكذبون بالعذاب نفسه.

١٣٣ - قال تعالى في سورة لقمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان: ٣٣)، فتأمل الدقة العظيمة!! لما تكلم عن نفع الوالد لولده قال: ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾، إذ النفع المتصور من الوالد إنما هو لمن بلغ، وأما غير البالغ فهو من أهل الجنة ولذا قال: «ولده»، ولما تكلم عن نفع الولد لوالده قال: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، فذكر المولود بالذات إذ هو أعظم من يتصور نفعه لوالده إذ قد مات قبل البلوغ فلا إثم عليه ثم إن مصاب والده بفقده قد يرجى منه الثواب، فنفى ذلك كله إذ الكافر لا ينفعه عمل ولا شفاعة تنجيه من النار، وأما المسلم فينتفع بعمل ولده الصالح وبشفاعة المولود له كما صحت بذلك الأحاديث.

* وتأمل قوله: ﴿شَيْئًا﴾ فهي نكرة في سياق النفي فتدل على العموم فلا ينتفع الكافر ولو بشيء يسير ويحتمل أن تعم الآية المؤمن والكافر ويكون هذا عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند جواز الصراط.

١٣٤. قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، فتأمل قوله: ﴿انشُزُوا﴾ ولم يقل: «قوموا» ليدل على أن قيام القائم من مكانه ليجلس فيه أهل العلم والفضل إنما هو ارتفاع وعلو مكانة في الحقيقة، فالنشوز هو الارتفاع والعلو فإذا طلب الإمام أو الشيخ من

البعض ترك أماكنهم ليجلس فيها من هو أفضل منهم فليستحيبوا فإنما قيامهم رفعة لهم.

١٣٥ - قال تعالى في سورة الحج مخاطبًا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج:٢٦)، وقال في سورة البقرة مخاطبًا إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥)، والفارق أن الأمر في سورة الحج لإبراهيم وحده قبل أن يخبر إبراهيم إسماعيل بهذا، وأما في سورة البقرة فقد كان بعد أن أخبر إبراهيم ابنه بأمر الله، فتأمل الدقة القرآنية حيث ذكر أول أمر في السورة التي نزلت أولاً (سورة الحج إذ هي مكية)، وذكر الأمر الثاني في السورة التي نزلت ثانيًا (سورة البقرة إذ هي مدنية).

* فإن قيل: فلِمَ قال في سورة الحج: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾، وقال في سورة البقرة: ﴿والعاكفين﴾؟ قلت: يحتمل احتمالين:

(أ) أن أحكام الاعتكاف الشرعي لم تعرف إلا في المدينة، فناسب أن يذكر في السورة المدنية لا المكية.

(ب) لأن إسماعيل كان مقيمًا بمكة فناسب أن يذكر الاعتكاف بالحرم إذ هو قاطن هناك بعكس إبراهيم فقد كان يسكن الشام، فناسب أن يذكر لفظ القيام بالصلاة لا الاعتكاف.

١٣٦ - قال تعالى في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج:١-٢)، فتأمل قوله: ﴿مرضعة﴾، ولم يقل: «مرضع»، إذ المرضع هي المرأة التي من شأنها أن ترضع، وأما المرضعة فهي التي ترضع بالفعل أي عندها رضيع ترضعه، ثم تأمل قوله: ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، ولم يقل: «عمن يرضع» كأن ولدها أرضعته قليلاً ثم مات قبل أن

يكمل رضاعه ومع ذلك إذا رأته يوم القيامة تذهل عنه وهذا أدل ما يكون على شدة هول يوم القيامة، إذ هذا الوليد الذي مات قبل إكمال رضاعه يكون قلب أمه متعلقًا به جدًا ومشفقًا عليه جدًا وفي غاية الشوق إليه فإذا ذهلت عنه يوم القيامة دل ذلك على هول الموقف الشديد.

١٣٧ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٢-٩٣)، وقال في سورة المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون: ٥٢-٥٣)، فقال في آية: ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾، وقال في أخرى: ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾، والفارق أن قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾، يدل على أن التقطع لم يكن ممن أمر فيكون الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، أمرًا للرسل ثم تقطعت أممهم واختلفت إلى فرق فقال: ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾، أي أممهم، وأما الأمر في سورة المؤمنون فهو أمر لأتباع الرسل بدليل قوله بعدها: ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾، فدل على أن الذين تقطعوا هم الذين أمروا بالوحدة فلم يستجيبوا.

* فإن قيل: فلِمَ قال للرسل: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾، وقال لأتباعهم: ﴿فَاتَّقُونِ﴾؟ قلت: يحتمل لأن الرسل مظنة التعظيم لكمال تقواهم وتدينهم فربما أنزلهم البعض فوق منزلتهم فأمروا بالعبادة كأنه قيل للناس هم عباد الله مثلكم أمروا بالعبادة مثلكم، وأما أتباع الرسل فإنهم خوفوا من غائلة التفرق فقيل لهم اتقوا الله واتقوا عذابه فلا تتفرقوا خشية أن يعاقبكم الله بسببه في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فعاقبته مشاهدة من تسلط الأعداء وانتهاك الأعداء للبلاد ولحرمات العباد، وأما في الآخرة فالعذاب الأليم.

١٣٨ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (الأنبياء: ٨١)، ولم يقل: «الرياح» وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (الذاريات: ٤١-٤٢)، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ (الحجر: ٢٢)، فجمعها وفي هذه دقة بالغة إذ جعل الريح مجموعة عند ذكر خيرها فقال: ﴿الرِّيَاحَ﴾، وجعلها مفردة عند ذكر شرها فقال: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾، وهذا ما أثبته العلم إذ عرف أن ثبات المباني إنما هو لوجود الرياح من كل جانب فإذا جاءت الريح من جانب واحد سقط المبنى، ولذا أفردها عند ذكر الشر، وجمعها عند ذكر الخير فإن قيل فما باله قال: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، بالمفرد؟ قلت: ليدل على أنه سخر له بعض الريح وليست كلها.

١٣٩ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨)، فقال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾، ولم يقل: «فنجيناه» فدل على أن الدعاء بالخروج من بطن الحوت لم يكن مقصوده النجاة بالدرجة الأولى، بل قصد يونس عليه السلام رضا الله عنه في المقام الأول فكانت الاستجابة أولاً بالرضا ثم بالنجاة من الغم.

١٤٠ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٥٩-٦٠)، ولم يقولوا: «اسمه إبراهيم» لأن كلمة «إبراهيم» غير عربية في الأصل وتعني باللغة العربية أب راحم، فكأنهم قالوا اسمه على غير مسماه فلو كان رحيمًا لما كسر آلهتنا ولما فعل هذا بها.

١٤١ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ (الأنبياء: ٣٦)، ولم يقل: «مهزوءًا به» كأنهم لشدة استهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوه هو الهزء نفسه كما يقال: «فلان عدل» كأنه من شدة العدل هو العدل نفسه.

١٤٢ ـ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (الأنبياء:١٩-٢٠)، ولم يقل: «بالليل وبالنهار» ليدل على أنهم يسبحون الليل كله والنهار كله لا ينقطعون ولو قال: «بالليل وبالنهار» لربما فهم أنهم يسبحون ساعات منهما فقط.

١٤٣ ـ قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ (القصص: ٢٠)، وقال في سورة يس عن مؤمن يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠)، والعجيب أن لهما نفس رقم الآية التي في القصص ولكن قدم ذكر الرجولة في سورة القصص لأن النصح للمؤمنين من رجل من آل فرعون الطاغية الجبار المريد يحتاج إلى رجولة عظيمة جدًا فهي أعجب من رجولة صاحب يس، وقدم في يس ذكر البعد ﴿مِنْ أَقْصَا﴾، لأن هذا الرجل أسلم منذ قليل فكونه يتحمل المشاق ويأتي لقومه من أقصى المدينة مع حداثة إسلامه أعجب من فعل مؤمن آل فرعون إذ مؤمن آل فرعون لم يكن حديث الإسلام كهذا الرجل.

١٤٤ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ (النور: ٦٠)، ولم يقل: «يتعففن» بل قال: ﴿يَسْتَعْفِفْنَ﴾، فزاد حرف السين ليدل على أن احتجاب القواعد يحتاج إلى مزيد عفة وحياء ويدل كذلك على مزيد إيمان المتعففة.

١٤٥ ـ قال تعالى في سورة الحج: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥)، ولم يقل: «يصطفي من الملائكة والناس رسلاً»، ليدل على أن المصطفين من الملائكة هم الرسل، وأما البشر فاصطفى الله الرسل واصطفى كذلك المسلمين على الكفار بل اصطفى أمة رسولنا محمد ﷺ

على بقية الأمم، بل وفاضل بين أهل الإيمان ما بين مقرب سابق أو مقتصد صاحب يمين، فلما كان اصطفاء البشر غير اصطفاء الملائكة فصل الله بينهما فما أجمل دقة القرآن!!

١٤٦ - قال تعالى في سورة طه: ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه:٨١)، فقال: ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾، ولم يقل: «ومن يَحُل»، كما قال في سورة الرعد: ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ (الرعد:٣١)، ليدل على أن من نزل به الغضب فإنه يستحق ذلك، ولذا استعمل كلمة «يحل»، التي تدل على الجواز الشرعي وتطلق أيضًا على الوقوع، وأما السياق في سورة الرعد فهو إخبار عن عقاب الله للكفار المرتابين، فالعقاب إما أن يصيبهم مباشرة وإما أن يصيب من حولهم ليكون قرعًا لهم وتخويفًا، فلما ذكر أن العقاب قد يصيب من بجوار الكفار المرتابين وليسوا هم ناسب أن يقول: ﴿يَحْلِلْ﴾، التي تدل على النزول لا أن يقول: «يحل» التي تدل على الاستحقاق.

١٤٧ - قال تعالى في سورة الإسراء عن المشركين: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء:٧٦)، ولم يقل: «خلفك» لأن المرء قد يتخلف عن أمر الرسول لعذر ولكن قلبه على السنة متى استطاع عمل بها، وأما هؤلاء فهم على خلاف السنة ينوون المخالفة ويعزمون عليها ويصرون عليها ويعادون من عمل بها.

١٤٨ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً﴾ (النحل:١٥)، ولم يقل: «لئلا تميد بكم»، وقال في سورة هود لنوح: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:٤٦)، ولم يقل: «ألا» ولعل السر في ذلك أن الأرض أحيانًا ما تميد وتهتز ابتلاءً من الله للعباد فلو قال

«لئلا تميد» لما مادت أبدًا، وأما ما يقصد من أنه سبحانه ثبت الجبال لئلا تتحرك الأرض على الدوام بل لتستقر فهو مفهوم من السياق - نعم - يستعمل في اللغة «أن» بمعنى «أن»، «ألا»، ولكن اختيار الله لأحدهما لابد له من مراد وحكمة، وكذا لو قال لنوح: «ألا تكون من الجاهلين»، لكان الأمر لنوح عليه السلام بأن يعلم كل شيء وليس هذا في مقدور أي بشر فهناك غيبيات مطلقة ونسبية لا يعلمها البشر فقال: ﴿أَن تَكُونَ﴾، لوجود أشياء لا يعلمها بمقتضى بشريته وأما المراد من نهيه لنوح عن الخوض فيما لا علم له به حتى لا يتشبه الجاهلين بالشرع فمعلوم من سياق الآية، سواء قال: «أن» أو «ألاَّ» ولكن لما كانت «أن» تدل على معنى زائد اختارها الله، والله أعلم.

١٤٩ - قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ (غافر:٥٨)، ولم يقل: «والمسيء» بل زاد ﴿لا﴾، ليدل على تفاوت المسيئين، فالكافر الداعية المحارب للحق أشد إساءة من الكافر الذي على غير ذلك الوصف، ثم الكافر أشد من الفاسق، وصاحب الكبائر أشد من صاحب الصغائر.

١٥٠ - قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر:٤٩-٥٠)، فقال: ﴿تَكُ﴾ ولم يقل: «تكن»، وفي ذلك دقة إذ حذف النون يدل على أن مجرد المجيء لأي بينة ولو صغرت كافٍ في إقامة الحجة طالما انتفت الموانع، فكيف وقد أتت الرسل ببينات كثيرة.

١٥١ - قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:٣٤-٣٥)، وقال في القصص: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا

إلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠)، وفي ذلك دقة بالغة إذ لما ذكر الصبر على عداوة الغير قال: **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾**، بينما لما ذكر الصبر على طاعة الله بإتيان الطاعة وترك المنهيات قال: **﴿إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾**، إذ اسم الفاعل «الصابر» يدل على قوة وعزم من صبر أكثر من الفعل **﴿صَبَرُوا﴾**، وفي ذلك دليل لقول من قال: «أعظم الصبر الصبر على الطاعة» يقصد أن الصبر على الطاعة أعظم من الصبر على الأقدار المؤلمة.

١٥٢ - قال تعالى في سورة فصلت: ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (فصلت: ٤٩-٥٠)، فقال: **﴿لَئِن رُّجِعْتُ﴾**، وقال في الكهف: **﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾** (الكهف: ٣٥-٣٦)، فقال: **﴿لَئِن رُّدِدتُّ﴾**، وذلك لأن صاحب الجنة ابتلاه الله بالسراء فاغتر بجنته وقال: **﴿لَئِن رُّدِدتُّ﴾**، ليضمن الفعل الرجوع والعودة إلى ما كان فيه من نعيم فكأنه قال: «ولئن رجعت لأردن إلى ما كنت فيه من خير»، وأما من ذكر الله حاله في سورة فصلت فقد ذاق البلاء بالضراء كما ذاقه بالسراء ولذا لم يقل: «رددت» بل قال: «رجعت» إذ لم تكن حياته كلها في سراء حتى يقول كصاحب الجنة لأردن إلى ما كنت فيه في الدنيا فأكرم بدقة القرآن!!

١٥٣ - قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ (المؤمنون: ٦٦-٦٧)، أي تعرضون وعبر عن الإعراض بهذا الأسلوب الدقيق إذ الجالس لاستماع موعظة تؤثر في الحاضرين ويستمعون لها وينصتون بشدة لها إذا أراد الانصراف استحيى أن يقوم أمامهم، فإذا به يخرج حياءً وتخفيًا فيستدير على عقبه أولاً حتى إذا شعر بغفلة الناس عنه وعدم

إحساسهم به قام وهرب، ومـا يصنع هذا إلا المتكبرين عن قبول الحق، ولذا قال سبحانه: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾.

١٥٤ - قال تعالى في سورة النور للنساء المؤمنات: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣١)، ولم يقل: «إلا مـا أظهـرن» فليس في الآية دليل على عـدم وجـوب النقاب، إذ مـا ظهر هو ما ظهر رغـمًا عن المرأة كانكشـاف ثوب بريح ونحوه، فالاستثناء هاهنا منقطع بمعنى «لكن ما ظهر رغمًا عنها فلا إثم عليها فيه».

١٥٥ - قال تعالى في سورة الشوري: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى: ٤٨)، وفي ذلك دقة بالغة إذ قال عن النعمة: ﴿أَذَقْنَا﴾، وقال عن السيئة «الأقدار المؤلمة»: ﴿تُصِبْهُم﴾، ووجه الدقة:

(أ) أن الشيء حلو المذاق يتمـتع به المرء أولاً ولكن حتى ينفعـه مآلاً لابد من كونه نافعـًا لا ضرر فيه فلو أكل المرء أو شرب ما يضـره لحلاوة مذاقه لكان كمن أكل العسل الذي فيه سم لحلاوة طعـمه، فعبر الحق عن التنعم بالتذوق لأن نعم الله الدنيوية يتمتع بها المرء أولاً ولكن حتى يستمر تنعمه بها فلابد من طيبها بأن تكون حلالاً وأما المحرم فإنه يضر في المآل.

(ب) كذلك الشيء حلو المذاق لا يزال المرء يأخـذ منه ويأخذ، فإذا لم يكن قنوعًا اسـتمر أخذه حتى إذا شـبع وبقي الشيء خاف أن يأخذه غـيره، فلا يزال يحرص على حفـظه لنفسه وربما كذب وخادع وحـارب ليوفره لنفســه، فهو وإن شبعت معـدته إلا أن نفسه لم تشبع، وكذلك نعم الدنيا من مـال وغيره فإنه من كان قنوعًا أخذ ما يشبعه ويكفـيه وترك لغيره لينال حظه منها، وإلا كان حريصًا شحيحًا فقير النفس والقلب.

(جـ) أن نعم الدنيا مهما نال العبد منها فإنها بالنسبة لنعيم الآخرة كنقطة في بحر أو كمن تذوق من مطعوم فلو قلنا هناك مجرد تذوق قليل وهناك أكل وشبع وامتلاك لكانت الدنيا التذوق، ولكانت الآخرة هي الأكل الحقيقي الكامل.

(د) وأما عن وجه التعبير عن الأقدار المؤلمة بقوله: ﴿تُصِبْهُمْ﴾، فسيأتي إن شاء الله في فصل المعاني الإيمانية عند ذكر قوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١).

١٥٦ - قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ١٠)، وقال في سورة طه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (طه: ٥٣)، فقوله: ﴿جَعَلَ﴾، تمنن بجعله طريق في الأرض غير الممهدة، وأما قوله: ﴿سَلَكَ﴾، فتمتن بجعله الطريق الممهد مسلوكًا فربما كان الطريق ممهدًا، ولكن هجره الناس فلا يسلكونه لخوف قطاع طريق أو حيوان أو غيره، فلله هاهنا منتان: منة بتمهيد الطريق التي لم تكن ممهدة، ومنة بجعل الطرق الممهدة مسلوكة يسير فيها الناس فإن قيل: فلِمَ ذكر تمهيد الطرق في سورة الزخرف وذكر سلوك الطريق في طه؟ قلت: لأن الخطاب في سورة الزخرف لكفار قريش فالمنة في جعل الطرق أساسًا أظهر إذ أرضهم صحراء جرداء يصعب السير فيها وقد كانت عندهم إغارات في طرقهم من بعض القبائل، وأما سورة طه فالخطاب فيها للفراعنة وهم يعيشون منذ القديم حول النيل فتكثر الكثافة السكانية عندهم في مكانهم ولذا يندر أن تكون طرق مهجورة يقطع فيها الطريق فطرقهم كلها مسلوكة، والله أعلم.

١٥٧ - قال تعالى في سورة الزخرف نقلاً لقول المشركين: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: ٢٢)، ولم يقل: «على ملة»، كأنهم قالوا: «وجدنا آباءنا جميعًا مجتمعين على ملة واحدة» فكلمة ﴿أُمَّةٍ﴾ تفيد التجمع.

١٥٨ - قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، قال: ﴿وَنَادَىٰ فِي قَوْمِهِ﴾، ولم يقل: «خطب في قومه» مع أن قوله: ﴿نَادَىٰ﴾، هاهنا بمعنى «خطب» ولذا عداه بحرف الجر «في» ولكنه قال: ﴿نَادَىٰ﴾، ليدل على قوة صوته وعلوه، وذلك لأنه قد ظهرت خيبته أمام قومه إذ فر من الثعبان الذي ظهر من عصا موسى وكذا ابتلوا بالضفادع والدم والطوفان والقمل فما استطاعوا صرفها بل طلبوا من موسى أن يدعوا ربه بصرفها فلما صرفها تكبروا وكفروا فأراد فرعون أن يظهر أمام قومه أنه مازال على قوته وبطشه وهيبته فخطبهم بقوة واستنطقهم ليقروا له بالقوة والسلطان ليرضي غرور نفسه وهكذا الفراعنة عندهم غرور وكبر وحب لتعظيم الناس لهم.

١٥٩ - قال تعالى في سورة الدخان لموسى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (الدخان: ٢٣)، فقال: ﴿لَيْلًا﴾ مع أن الإسراء هو السير أول الليل ليدل على أنه أمره بالسير في وقت يكون فيه ظلام الليل دامساً يمكنهم التخفي وليكون الفراعنة قد ناموا.

١٦٠ - قال تعالى في سورة الدخان: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (الدخان: ٥١)، ولم يقل: «آمن» لأن المرء ربما وعد غيره بأنه سيؤمنه ثم يخدعه بعد إدخاله فأخبر الحق سبحانه أن الجنة مكان آمن والقائمون عليها من ملائكة أمناء يحافظون على من بداخلها، وكذا الذي وعد بأمان الجنة هو الحق الذي لا يكذب وهو المؤمن الذي يؤمن عباده المؤمنين فالجنة مكان آمن عليها أمناء والكل ملك للحق المؤمن سبحانه.

١٦١ - قال تعالى في سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ (محمد: ٤)، ولم يقل: «لانتصر عليهم» وذلك لأن كمال القدرة أن ينزل

الهلاك بالكفار وينجو المؤمنون من بينهم ليكون أدل على قدرة الله وعلى أن العذاب قد قصد به الكفار بأعيانهم، فكأنه قال: «ذلك ولو يشاء الله لأهلك الكفار ونجاكم منها».

١٦٢ - قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: ١٥)، فقال: **﴿زَحْفًا﴾**، التي تدل على الضعف إذ الزاحف حركته بطيئة وهو في خاصة نفسه ضعيف، إذ الماشي والراكب أقوى منه ومع ذلك فلا يحل للمؤمن أن يفر من الكافر ولو كان المؤمن زاحفًا فكيف وهو راكب أو ماشٍ؟

١٦٣ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٤٨-٤٩)، فقال: **﴿لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾**، ولم يقل: «لا يرحمهم الله»، كأن الكفار اعتقدوا أن بعض المؤمنين هم أبعد الناس عن رحمة الله فقالوا: هم أبعد ما يكون عن رحمة الله بل ولن تنالهم رحمة الله، إذ كلمة **﴿لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾**، يدل على البعد، وما أصدق هذه الآيات على دعاة اتهمهم الناس بأنهم إرهابيون يريدون الملك والسيادة ولهم أغراض سياسية ولا يريدون وجه الله، فكأني بهؤلاء الدعاة وقد أسكنهم الله أعالي الجنات فاستغرب الظالمون لحالهم وقالوا كما أخبر الحق عنهم في سورة ص: **﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾** (ص: ٦٢-٦٤).

١٦٤ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٧١-١٧٢)، وفي ذلك دقة بالغة؛ إذ قال أولاً: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾، فنسبه إلى أمه ليبين ضلال النصارى إذ كيف زعموا أنه إله مع أنه ابن أنثى فهو بشر وأمه كذلك ولما ذكر عدم استنكافه عن العبادة قال: ﴿الْمَسِيحُ﴾، فقط ولم ينسبه إلى أمه فكأنه يقول: «لو لم يكن المسيح ابنًا لأحد من البشر فلن يستنكف عن عبادته لله فكيف وهو ابن أنثى؟»، ولم يقل: «لن يستنكف عيسى» بل قال: ﴿الْمَسِيحُ﴾، فكأنه يقول هو الذي ساح في الأرض عبادةً لله فكيف يستكبر عن العبادة؟.

١٦٥ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: ١٠١)، وقال أيضًا في نفس السورة: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (النساء: ١٠٢)، فلا إله إلا الله ما أدق القرآن وما أجمله!! هو والله كلام رب العالمين. وفيه الخير كله والله المستعان.. فتأمل قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا﴾، فأتى بلفظ: «ليس»، الثقيل ليدل على أن أمر الصلاة شديد فلا تتهاونوا بالقصر بل الواجب عليكم الإتمام متى انتهى السفر، وفيه كذلك دلالة لقول الفقهاء القدماء كافة بأن الأصل في الصلاة الإتمام، فالقصر له مدة ولابد أن ينتهي فيها على اختلاف بين العلماء في هذه المدة، وأما قول من قال: يقصر كل مسافر ولو أقام شهورًا فهذا قول مخالف للإجماع كما قال الشيخ ياسر برهامي ولو قال به من قال من المعاصرين.

* وأما عند الكلام على حمل السلاح فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فأتى بـ «لا» الخفيفة ليدل على أن الأمر واسع فيجوز ترك حمل السلاح للعذر ولكن المهم هو الاحتياط والحذر.

١٦٦ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢)، وفي هذا دقة بالغة إذ قال: ﴿طَّائِفَةٌ﴾ ولم يقل: «جماعة» ليدل على أنهم قالوا هذا وطافوا يحثون الناس عليه ويدعونهم إليه، فبدلاً من قوله: «وقالت جماعة ودعت الناس إلى ذلك»، قال: ﴿طَّائِفَةٌ﴾، ثم تأمل قوله: ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾، ولم يقل: «أول النهار» ليدل على أنهم أرادوا أن يؤمنوا في الظاهر فقط، فكلمة «وجه» تدل على الظاهر فبدلاً من أن يقول: «آمنوا أول النهار ظاهرًا» قال: ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾، لتشمل الأمرين معًا فسبحان من هذا كلامه.

١٦٧ - قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ (المرسلات: ٤١)، ولم يقل: «في جنات وعيون» كما في آية أخرى، لأنه قال عن الكفار في سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ (المرسلات: ٢٨-٣١)، فلما ذكر ظل الكفار الذي لا يغني عنهم شيئًا ناسب أن يذكر ظل المؤمنين الذي يتنعمون به.

١٦٨ - قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان: ٢٧)، أي «أمامهم» إذ يوم القيامة آت ولم يأت بعد، ولكنه قال: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾، ليفيد أنهم أهملوا العمل لهذا اليوم ونسوه كمن خلف شيئًا وراءه إهمالاً ونسيانًا.

١٦٩ - قال تعالى في سورة النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور:٤١)، ولم يقل: «ومن في الأرض» إذ ليس كل من في الأرض يسبح لله، فكفرة الإنس والجن لا يسبحون ولذا قال: ﴿وَالأَرْضِ﴾، أي الأرض نفسها تسبح وأما من فيها فليس جميعهم هكذا.

١٧٠ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ (البقرة:١٥٤)، ولم يقل: «عمن قتل» كأن النهي يشمل أيضًا من يحذر من خرج يقاتل في سبيل الله، ويخوفه من الشهادة لئلا يخرج، كما أنه نهي لمن يقول عمن قتل في سبيل الله أنه ميت فكلمة ﴿لمن﴾ تأتي بمعنى «عمن» أيضًا والفعل المضارع يأتي بمعنى المستقبل.

* قوله: ﴿في سبيل الله﴾، أي في سبيل الله نصرة دين الله أو في الجهاد الذي جعله الله سبيلاً وطريقًا لإعلاء كلمة الله.

١٧١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (البقرة:١٥٩)، فعطف ﴿الهدى﴾ على ﴿البينات﴾ ليدل على أنه يجوز كتم بعض العلم إذا لم يترتب عليه هدى إذا خيفت المفسدة كما كتم معاذ حديث فضل الشهادة خشية أن يتكل الناس.

* قوله: ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ فإن قيل: البينة هي الدليل الواضح الذي لا لبس فيه فهل تحتاج إلى بيان؟ قلت: إنما قال الله هذا ليبين فضله على عباده في توضيحها وتسهيلها لهم فليحمدوا ربهم على ذلك أو لأن الدليل ربما لم يعلم به أحد مع كونه بيِّن الدلالة فليحمد العباد ربهم على أن بيَّن الأدلة ووضحها وأنزلها في كتبه.

١٧٢ - قال تعالى في سورة آل عمران تذكيرًا للأنصار بنعمة الإسلام: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ (آل عمران:١٠٣)، ولم يقل: «فأبعدكم عنها» مع أنهم لم يقعوا فيها أصلاً وذلك لأن الراعي حول الحمى يوشك أن يقع واقتراب العاصي من المعصية تجعله كالواقع فيها.

* ويلاحظ أنه جعل الدنيا كلها كالمسافة بين الواقف على شفا الحفرة والحفرة نفسها فما أقل مدة الدنيا.

١٧٣ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة:٢٥٦)، فجعل المسلم كالممسك بالعروة الوثقى وهي الحبل النازل من عروة موثقة جيدًا كحبل موثق على حديدة قوية ينزل منها طرف إلى أسفل، فكما أن الذي في أسفل البئر أو أسفل الجبل لا يصعد إلى الأعلى إلا بالعروة الوثقى، فكذلك لا ينجوا العبد من سفل المعاصي والإشراك إلا بلا إله إلا الله فهي العروة الوثقى، ولما كان الخوف أن تكون العروة غير قوية فيقع الممسك بها أخبر سبحانه أن العروة وثقى لا تنفصم ولا تنقطع بمن أمسك بها ولكن ليحذر من أمسك بها أن يتركها ويرتد فإنه مقتول لو فعل ذلك كما أنه من ترك العروة بعد إمساكها وقع وهلك.

١٧٤ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران:٤٤)، وقال في سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف:١٠٢)، وأما في سورة هود فقال بعد ذكر قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ (هود:٤٩)، فقال: ﴿نُوحِيهَا﴾، والفارق أن قوله: ﴿نُوحِيهِ﴾، إعادة للضمير المذكر على الغيب نفسه، وأما قوله: ﴿نُوحِيهَا﴾، فإعادة للضمير

المؤنث على الأنباء نفسها وفي ذلك دقة بالغة إذ قصة مريم ويوسف ـ عليهما السلام ـ قد ذكر فيهما سبحانه من الدقائق والتفاصيل التي لا يعلمها إلا أهل الكتاب ويجهلها غيرهم فكان من المناسب أن يعيد الضمير في قصتهما على الغيب نفسه لأن ما ذكر غاب عن الكثير، وأما قصة نوح فقد ذكر مجملها مما يكون قد شاع علمه بين الكثير فأعاد الضمير على الأنباء نفسها.

١٧٥ ـ قال تعالى في سورة البقرة: **﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾** (البقرة: ١٥٠)، فزاد الياء وقال: **﴿وَاخْشَوْنِي﴾**، وقد أثبتها في هذا الموطن كل القراء، وأما بقية مواطن قوله تعالى: **﴿وَاخْشَوْنِ﴾**، فقرأها البعض بإثبات الياء، والبعض بحذفها كقوله تعالى: **﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾** (المائدة: ٤٤)، فإن قيل فلِمَ زاد الياء في هذا الموطن؟ قلت: لأن هذه الآية نزلت في أوائل العهد المدني وقد كان في المدينة يهود ومنافقون يكثرون من التشنيع على الإسلام والمسلمين فاحتاج المسلمون إلى تنبيههم والتأكيد عليهم في بداية الأمر إلى خشية الله وحده فزيادة الياء لزيادة تأكيد الخشية.

١٧٦ ـ قال تعالى في سورة البقرة: **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** (البقرة: ١٤٥)، وقال فيها أيضًا: **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾** (البقرة: ١٢٠)، وقال في سورة الرعد: **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾** (الرعد. ٣٧)، فقوله: **﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾**، يدل على التعظيم إذ كلمة **﴿مَا﴾**، تدل على التعظيم كقوله تعالى عن قوم فرعون: **﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾** (طه: ٧٨).

❊ فأما قوله: **﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾**، فهي تدل على تأخر الاتباع فكأنه نهاه عن اتباع أهواء أهل الكتاب في بداية مواجهتهم فقال: **﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾**، **﴿بَعْدَ الَّذِي

جَاءَكَ﴾، ونهاه كذلك عن اتباع أهواءهم ولو بعد حين فقال: ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ﴾، فإنه يقال: «جاء أحمد بعد علي»، أي لم يتأخر عنه فـإذا قيل: «من بعد علي» فإنها تدل على التأخر فكأن الله ينهى كل داعـية أن يتبع أهواء أهل الكتاب سواء كان عند الداعيـة علم قليل فقال: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أو كان عنده علم كبيـر فقال: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، ثم تأمل الدقة القرآنية العظيـمة؛ إذ الداعية ربما أراد في بداية دعوته أن يستـميل قلوب الكفار فيمـالئهم على بعض أهواءهم فقال الله مـحذرًا من ذلك: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، ويلاحظ في هاتين الآيتين أنه قـال: ﴿بَعْدَ مَا﴾، ﴿بَعْدَ الَّذِي﴾، ولم يقل: «من بعد» ليكون تحذيرًا للداعيـة في بداية دعوته، ولأنه في البداية قد يطلب باتباع أهواءهم نصرتهم وولايتهم، فأخـبر سبحانه أن الذي يفعل ذلك لن يجد لا الولاية ولا النصرة التي طلبها، ويلاحظ كذلك أنه لما قال: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، قال: ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، إذ ﴿مَا﴾، تدل على كثرة مـا بلغ الداعية من العلم فاتباع الأهواء بعد كثـرة هذا العلم أشد، ولذا هدد بالعذاب الذي لا وقاية منه بينمـا لما قـال: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، قال: ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، إذ ﴿الَّذِي﴾، لا تدل على كثـرة ما جاء من العـلم ككلمة ﴿مَا﴾، فاكتـفى بتهديده بانعدام الولاية والنصرة والله أعلم.

* وأمـا قوله تعـالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ففيه تحذير للداعية بعدما بلغه من العلم الكثير وبعد ما مكث في دعوته فترة، ولذا قال: ﴿مِّنْ بَعْدِ﴾، فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾؟ قلت: لأنه بعد طول فترة دعوته وكـثرة ما بلغه من العلم قد يصير متبـوعًا مقلدًا من غيره، فإذا مالئ الكفار صار فتنة لغيره فيكون ظالمًـا لنفسه بتحميلها أوزار من تبعه على هذا الضلال، والله أعلم.

١٧٧ - قال تعالى في سورة البقرة لليهود: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة:٦١)، ولم يقل: «الدنيء بالخير» ليدل على شدة دناءة مطلبهم وخسته كأنه قال: «أتستبدلون الذي ما هو إلا دنيء بالذي ما هو إلا خير».

١٧٨ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة:٢٠٧)، أي يبيع نفسه لله فإن قيل: ولمَ قال: ﴿يَشْرِي﴾ ولم يقل: «يبيع»؟ قلت: ليدل على أن بيع النفس لله شراء لها في الحقيقة إذ هو تخليص لها من أسر الشهوات والشيطان فمن باع نفسه لله فقد اشتراها من أسر الدنايا، فسبحان من هذا كلامه!!

١٧٩ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة:١٠٥)، ولم يقل: «أن ينزل عليكم من خير من إلهكم والرب يختص برحمته من يشاء» وذلك لحكم بديعة، فأما قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ليبين أن التفضيل ليس محاباة منه سبحانه بلا علم أو حكمة بل هو يفضل بمقتضى الربوبية فهو الذي خلق النفوس ويعلم الزكي منها والفاسد، وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾، ولم يقل: «الرب يختص» فليبين لضعاف الهمة والعقل أن الفضل الحقيقي لكمال الشرع المنزل من الإله، إذ خير الإله سبحانه في كمال تكاليفه وأوامره أكبر من خير الربوبية فلا إله إلا الله ما أعظم القرآن الكريم!!

١٨٠ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة:١٠٨)، فقال: ﴿يَتَبَدَّلِ﴾ ولم يقل: «يبدل» فزاد التاء ليدل على أن الكفر يحتاج إلى تكلف لمناقضته للفطرة السليمة بعكس الإيمان فإنه لا يحتاج إلى كلفة.

١٨١ - قال تعالى في سورة البقرة مخاطباً اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ (البقرة: ٩٤-٩٦).

* فقوله: ﴿حَيَاةٍ﴾ ولم يقل: «الحياة» يدل على أنهم يحرصون على أي حياة ولو كانت حقيرة أيما حقارة فالمهم أنها تسمى حياة وذلك لدناءة نفوسهم إذ عزيز النفس لا يرضى إلا بالحياة الكريمة ويفضل الموت على الحياة الذليلة.

* قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ولم يقل: «يودون» يدل على أن حب الحياة مركوز في كل واحدٍ منهم وليس في المجموع فقط.

* قوله: ﴿بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ﴾ ولم يقل: «عن» إذ «من» تفيد تضمين فعل «يخرج» و«عن» تفيد تضمين فعل «يبعد» واليهود قد زعموا أنهم يدخلون النار أياماً ثم يخرجون فكان الأدق أن يقول: «بمزحزه من» التي تتضمن فعل «يخرج» لأنهم أثبتوا لأنفسهم دخول النار.

١٨٢ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، ولم يقل: «ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة» وذلك لأنها نزلت لما قال الأنصار بعد بدر لو قعدنا نصلح أرضنا وأموالنا فأنزل الله هذه الآية كأنه يقول لهم: كيف تتركون الجهاد الذي لو كان فيه قتل وهلاك فهو بأيدي أعدائكم ولكم فيه الثواب، فكيف تتركونه وتقدمون على التخلف عنه الذي فيه هلاك لكم بأيديكم أنتم إذ ترككم للجهاد سيشجع أعدائكم عليكم وفي الحديث: «وما ترك قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم»، فيكون معنى الآية: «ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم وفعلكم إلى الهلاك».

• وقلت: وقد يستأنس من هذه الآية لمن قال من العلماء لا تجوز العمليات الاستشهادية لأن القتل فيها ليس بيد الأعداء وإنما هو بيد المقتول نفسه وفي المسألة خلاف سائغ ولكن على كلا القولين فالمتأول الذي فعل هذا لا يعد منتحرًا بل له أجره، وإنما الكلام في أجر الشهادة هل ينالها أم لا؟

١٨٣ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: ٥)، وقال تعالى أيضًا في سورة آل عمران: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٩)، وفي ذلك دقة بالغة إذ ثبت علميًا عظم السموات إذ الأرض في كون الله كذرة تسبح بل هي مع كل الكواكب الأخرى والشمس والنجوم جزء من نظام، والنظام جزء من مجرة، والمجرة معها بلايين المجرات وكل ذلك في الفضاء الواسع، فسبحان الله فلما كانت السموات أعظم بكثير من الأرض بدء في العلم بذكرها إذ العلم بما فيها أعظم ولما كان احتمال خفائها أكبر أخرها كأنه قال: «لا يخفى على الله شيء في أرضكم ولا حتى في السماء العظيمة الواسعة الكبيرة».

١٨٤ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وقال تعالى في سورة القيامة: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٤-٢٥)، وقال أيضًا في سورة القيامة: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة: ٢٦-٢٨)، وفي كل هذا يقول المفسرون الظن بعنى اليقين، إذ الظن يستعمل عند العرب بمعنى الشك واليقين معًا، وهذا كلام صحيح ولكن يبقى السؤال لماذا لم يقل الله: «يوقنون»، «أيقن»؟ فنقول: لذلك سر بديع إذ قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾، ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، ليوضح معنىً زائدًا وهو أن العبد لو شك فقط مجرد شك في رحيله عن الدنيا أو في ملاقاته لعذاب الله لتنغص عليه عيشه ولكان بقلبه من الهم

والحزن الشيء العظيم فكيف ولابد أن يوقن بالموت عند السكرات، وكذا سيوقن بدخوله النار يوم القيامة؟

* وأما قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾، فلسر أيضًا بديع فكأنه يقول: «لو أخبرتكم بأن القيامة قد تكون وقد لا تكون وكنتم على شك منها لكان الواجب على العاقل أن يستعد لها فإن كانت فاز وإلا لم يخسر احتياطًا لنفسه فكيف وقد أخبرتم بأدلة قاطعة يقينية تدل على أن يوم القيامة آت لا محالة ولا ريب فيه؟ فكيف ينكر عقل وقوع القيامة؟ بل من شك في وقوع القيامة كفر ولم ينفعه عمله ولو عمل الصالحات لوجود الأدلة القاطعة على وجودها، فكيف يكون حال من أنكر وقوعها أصلاً؟».

١٨٥ - قال تعالى في سورة الحاقة عن الكفار: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (الحاقة:٣٥)، ولم يقل: «ليس له اليوم حميم»، وفي ذلك دقة بالغة إذ لو قال: «ليس له اليوم حميم» لربما ظن ظان أنه كان في الدنيا لا حميم له فلما قال: ﴿لَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا﴾، دل على وجود المحبين في الدنيا ولكنهم يتركونه يوم القيامة ويتبرئون منه.

١٨٦ - قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم:١٢)، فأعاد الضمير على فرجها، وقال عنها في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ (الأنبياء:٩١)، فأعاد الضمير على نفسها لا على فرجها وفي ذلك دقة بالغة إذ نزول سورة التحريم لتحذير زوجات النبي ﷺ من إغضابه، فكان من المناسب أن يذكر تطهيره لفرج السيدة مريم ومباركته فيه، فكأنه يقول لهنَّ: «هلا اقتديتن بمريم إذ شكرت نعمة ربها بنفخه في فرجها بأن صدقت بكلمات ربها وكتبه وقنتت له فهلا شكرتن الله على أن

بارك لكنَّ وميزكن بوطء أشرف مخلوق لكنَّ فهذه مباركة لفرجكن أيما مباركة فهلا راعيتن ذلك ولم تغضبن رسول الله».

* وأما سورة الأنبياء فالحديث فيها عن شرف ذوات الأنبياء والرسل فكان من المناسب أن يذكر الله مباركته في ذات مريم ونفسها.

فائدة: قد فهم البعض من قوله تعالى في سورة التحريم عن فرج مريم: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم: ١٢)، أن الله سيزوجها لرسولنا في الجنة إذ النفخ فيه يقتضي المباركة، وهذه بركة أيما بركة، واستدل على ذلك بآثار لا تصح مرفوعة وهو استدلال طيب ومناسب لسياق السورة، ولكن نتوقف لعدم صحة الآثار، والله أعلم.

١٨٧ - قال تعالى في سورة الحشر عن اليهود: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٤)، وقال في سورة الأنفال عن مشركي قريش: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ١٣)، وفي هذا دقة بالغة إذ ذكر مع اليهود لفظ: ﴿يُشَاقِّ﴾ الثقيل لعظم وكبر مشاقتهم لشرع الله ولكثرة عنادهم وجحودهم أكثر من غيرهم من الكفار، ولذا قال مع بقية الكفار ﴿يُشَاقِقِ﴾ إذ هي أخف من كلمة ﴿يُشَاقِّ﴾.

* ويلاحظ أنه قال مع اليهود: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾، وقال مع غيرهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وذلك والله أعلم، لأن غالب الكفار إنما يحاربون دعوة الرسل ولا يظنون أنهم يحاربون الله، فأخبر سبحانه أنهم يحاربون في الحقيقة الله بجانب محاربتهم لرسله، وأما اليهود فلكفرهم الشديد وعنادهم الأكيد يحاربون الرسل ويعلمون أنهم بذلك يحاربون الله ويعلمون أنهم مخطئون.

١٨٨ - قال تعالى في سورة الحشر: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (الحشر: ٢)، وفي هذا دقة إذ القذف يقتضي القوة والمفاجئة حيث أن الكفار يظلون يعدون لحرب المسلمين حتى إذا سمعوا بخروج المسلمين لهم أو جابهوهم وجدوا الرعب يدخل فجأة إلى قلوبهم، وفي الحديث: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»، فانظر إلى حكمة الله حيث ألقى في قلوبهم القوة أولاً ليجمعوا ما يقدرون عليه ولينفقوا أكثر وأكثر حتى إذا أتت الحرب خاروا ووجدوا الرعب في قلوبهم فتكون الحسرة عليهم بضياع أموالهم وما بذلوه من جهد أشد.

١٨٩ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة: ١٠٩)، ولم يقل: «من أنفسهم» ليدل على أن هذا الحسد إنما ابتدعوه من عندهم ولا دليل لهم عليه في شرعهم، وليدل كذلك على أن هذا الحسد نابع من أنفسهم غير متكلف.

١٩٠ - قال تعالى في سورة الكهف عن أصحاب الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠-١١)، فقال: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ ليبين أنها معلومة العدد غير مجهولة لديه سبحانه.

١٩١ - قال تعالى في سورة الكهف نقلاً لكلام الخضر لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٧٠)، فقال: ﴿مِنْهُ﴾ ليدل على أن ما سيذكره الخضر من حكم لأفعاله إنما هو بعض الحكم وإلا فلله حكم أخرى لا يعلمها الخضر ولا موسى - عليهما السلام -.

١٩٢ ـ قال تعالى في سورة الكهف نقلاً لكلام موسى للخضر: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ (الكهف: ٧٦)، فقال: ﴿قَدْ بَلَغْتَ﴾ ليدل على أن العذر كان بعيد المنال إذ أن موسى عليه السلام رأى منكرات ظاهرة لا تحتمل تأويلاً فصعب صبره عليها.

* وقال: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ ليدل على أنه عذر صادر من خاصة نفسه إذ قد أخبره الخضر في البداية أنه سيرى ما لا صبر له عليه وقد وعد موسى بالصبر فلا لوم على الخضر ولذا قال: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ التي تدل على الاختصاص ولم يقل: «من عندي».

١٩٣ ـ قال تعالى في سورة الكهف إخباراً عن عجز يأجوج ومأجوج عن نقب السور الذي بني حولهم: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٧)، وهنا دقة تعبيرية إذ الظهور على السور والعلو عليه أسهل من نقبه وفتحه، ولذا قال مع الظهور ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء ليدل على أنه أيسر، ومع ذلك لم يستطيعوه وقال في النقب ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ فزاد التاء ليدل على أنه أصعب.

* وقد اعتادت العرب زيادة الحروف ونقصها لتدل على معانٍ زائدة، ولذا قال تعالى نقلاً لكلام الخضر لموسى قبل أن يفسر له ما رآه من منكرات وغرائب: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٨)، فزاد التاء الدالة على وجود صعوبة في تقبل ما فعله الخضر، فلما فسرها له قال: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٨٢)، فحذف التاء ليدل على سهولة الأمر بعد تبينه.

١٩٤ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧١)، ما أجمل تعبيرات القرآن وما أدق ألفاظه:

* فقال في إبـداء الصدقة: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ولم يقل: «فنعمـا هو» إذ الصدقة نفسها خير فنعم هي، وأمـا الإبداء فليس في حد ذاته خير، وإنما يكون خيرًا إذا كان فيه مصلحـة كأن تكون لدفع ذم أو تشجيع بخيل، وأما الإخفـاء نفسه فهو الأصل والأفضل غالبًا، ولذا قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أي الإخفاء ولم يقل: «فهي خير لكم» أي الصدقة.

* وتأمل قوله: ﴿تُخْفُوهَا﴾، ﴿تُبْدُوا﴾، ففي ذلك دلالة عظيمـة إذ الإخفاء يكون للشيء الظاهر والإبداء يكون لـلشيء الباطن فـإذا جاز إبداء خـروج زكاة المال الباطن من ذهب وفضة، فـالمال الظاهر من زرع وبقر وأغنام أولى وإذا جاز إخفاء خروج زكاة المال الظاهر فالمال الباطن أولى فسبحان من هذا كلامه.

* وتأمل قـوله: ﴿تُؤْتُوهَا﴾ ولم يقل: «تعطوها» إذ الإخـفـاء الكامل بإتيـان المتصـدق إلى بيت الفقير وإعطاءها له لا أن يحـوج الفقير إلى المجيء إليـه فربما تحرج من زوجة وأولاد المتصدق.

١٩٥ - قال تعالى في سورة البقرة ناهيًا الكاتب والشاهد على العقود أن يضارا: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ (البقرة:٢٨٢)، ولم يقل: «فسوق منكم» إذ قد يفعل العبد ما يوجب الفـسق جاهلاً أو متأولاً فلا يوصف بالفسق، ولذا قال هاهنا: ﴿فُسُوقٌ بِكُمْ﴾، كأنه قال فيكم وتتصفون به.

١٩٦ - قال تعالى في سورة البقرة نقلاً لدعاء الصحابة - رضوان الله عليهم -: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة:٢٨٦)، ولم يقولوا: «مـا لا طاقة بنا له» وذلك لكمال علمهم بـأن العبد لا طاقة لـه ولا قوة له إلا التي جـعلها الله به فـهم يسألون ربهم ألا يحـملهم من التكاليف ما ليس في طاقتهم التي وهبها الله لهم فالمؤمن الحق هو الذي يوقن أنه لا طاقة له إلا ما وهبها الله له فالطاقة في الحقيقة موهوبة له لا به.

* فإن قيل: ولِمَ قالوا: ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، ولم يقولوا: «ما لا طاقة لنا عليه»؟ قلت: لعلمهم بأن النفس كالدابة والتكاليف كالحمل عليها فكأنهم قالوا: «لا تحملنا ما لا طاقة لنا بحمله»، وسأذكر إن شاء الله في فصل المعارف والإشارات الإيمانية أوجه التشابه بين النفس والدابة.

١٩٧ ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (العنكبوت:١٧)، ولم يقل: «ابتغوا من الله» لأن المقصود هو ابتغاء المنزلة الصالحة عند الله ولا يكون ذلك إلا بطلب الرزق الحلال الذي لا يلهي عن طاعة الله.

* وقال: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾، ولم يقل: «فاعبدوه» كأنه يقول لا تجعلوا همكم من العبادة نيل الرزق بل اجعلوا الهم الأكبر هو نيل الثواب والهرب من العقاب، ولا بأس بجعل الرزق من ضمن النوايا، وأما لو قال: «فاعبدوه» لكان الأمر بالعبادة أساسًا من أجل الحصول على الرزق.

١٩٨ ـ قال تعالى في سورة يوسف عن يوسف ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤)، ولم يقل: «لنصرفه عن السوء»، فدل على براءة ساحة يوسف من كل سوء بل امرأة العزيز هي التي أتته بالسوء فصرفه الله عنه لا أنه هو الذي طلب السوء أو اختاره.

١٩٩ ـ قال تعالى في سورة هود نقلاً لكلام شعيب لقومه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود:٩٠)، ولم يقل: «إن ربنا» وقال نقلاً لكلام صالح لقومه: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١)، ولم يقل كذلك: «إن ربنا» إذ لا يشعر بقرب الله وإجابته لمن عبده ودعاه ولا يشعر بمحبة الله قوم شعيب ولا قوم صالح وإنما صالح وشعيب ـ عليهما السلام ـ هما اللذان يشعران بهذا ويعرفانه، وكذا كل مؤمن محسن.

٢٠٠ - قال تعالى في سورة يونس عن موسى ومن آمن معه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس: ٩٠)، وقال في سورة طه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨)، والفارق بينهما أن الواو تدل على المعية، والباء تدل على التبعية فقد كان الفراعنة تبعًا لفرعون يساقون كالبهائم.

٢٠١ - قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: ١٩-٢١)، ولم يقل: «عيشة مرضية» كأن الجنة نفسها راضية سعيدة بنعيم المؤمن لأنها تحبه كما أن النار تسعد بعذاب الكافر انتقامًا لله منه.

٢٠٢ - قال تعالى في سورة الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك: ١٥)، وقال في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، فعند طلب الرزق أمر بالمشي ليدل على أن المطلوب من الدنيا هو تحصيل ما يكفي، وأما في أمر الآخرة فأمر بالمسارعة إذ المطلوب نيل أعلى الدرجات والمسارعة في الخيرات.

٢٠٣ - قال تعالى في سورة المنافقون عن المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (المنافقون: ٦)، فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: «سواء عليك» لأن رسولنا لحبه الخير لجميع الناس يتمنى إسلام المنافقين وتوبتهم، ولذا كان يستغفر لهم لتشعر نفسه الكريمة بأنه قد أدى ما عليه فليس الاستغفار وعدمه سواء بالنسبة لرسولنا ﷺ، إذ الاستغفار للكفار الأحياء (أي طلب هداهم) يريح نفسه وضميره، وإنما الاستغفار وعدمه سواء على المنافقين لعدم اهتمامهم بأمر الدين أصلاً.

٢٠٤ـ **قال تعالى في سورة الحشر:** ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الحشر:٢٤)، ولم يقل: «وما في الأرض» لأن الأرض يوجد فيها من يصور الصور ويضاهي خلق الله ولذا قال: ﴿وَالأَرْضِ﴾، أي الأرض نفسها تسبح الله وتتنزه عن مشابهة المخلوق.

٢٠٥ـ **قال تعالى في سورة الممتحنة:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة:١)، ولم يقل: «تسرون إليهم المودة» ليضمن معنى الإدلاء بالأخبار، فكأنه قال: «تدلون إليهم بالأخبار ولا تدرون أن ذلك دليل على مودتكم للكفار».

٢٠٦ـ **قال تعالى في سورة الحشر نقلاً لكلام المنافقين لليهود:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ (الحشر:١١)، فقالوا في الإخراج ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، وقالوا في المقاتلة: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾، بدون اللام وذلك لأن اليهود أجبن خلق الله فأراد المنافقون أن يطمئنوهم بأنه لا قتال أصلاً، ولذا قالوا: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾، دون ذكر لام التوكيد فكأنهم قالوا لهم: «لن يقاتلكم المسلمون أصلاً، وإن فرض وحدث فسوف ننصركم ونساعدكم».

٢٠٧ـ **قال تعالى في سورة الأعراف لليهود:** ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:١٦١)، وقال في سورة البقرة: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:٥٨)، فالخطيئات جمع خطيئة، والخطايا جمع خطيئة أيضًا، ولكن خطيئات جمع فيه ثقل، وأما خطايا فجمع فيه خفة وسهولة فلعله عنى بقوله: ﴿خَطَايَا﴾ الصغائر؛ إذ هي أخف، وعني بقوله: ﴿خَطِيئَات﴾ الكبائر؛ إذ هي أثقل، ولذا قال مع الخطايا ﴿ وَسَنَزِيدُ

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ إذ الواو تقتضي وجود زيادة على مغفـرة الخطايا، فلعله مغفرة الكبائر وذلك لمن أحسن التوبة وصدق بينما قال مع الخطيئات: ﴿سَنَزِيدُ﴾ بدون الواو، إذ مغفرة الكبائر تشـمل معها مغفرة الصغائر فلم يبق ما يحـتاج إلى مغفرة ولذا لم يعطف، والله أعلم.

٢٠٨ ـ قال تعالى في سورة الأنفال عن مدد الملائكة للمؤمنين: ﴿وما جعله الله إلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ١٠)، وقال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٦)، وذلك لأن سورة آل عمران تتـحدث عن معركة أُحد فقال الله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، ولم يفصل صـفتي العزة والحكمة عن لفظ الجلالة لظهور عزة الله وحكمته في معركة أُحد حيث مكن الله الكفار من المسـلمين لما عصوا أمـر رسول الله عـزة من الله ولحكم عظيمـة منها معرفة أهمية المتابعة للأوامر الشرعية ومغبة المخالفة، وأما سورة الأنفال فتتحدث عن معركة بدر وقد انتصر فيها المسلمون فقال الله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، أي فلا تغتروا بنصر الله لكم فـتتركوا الطاعة فإن الله عزيز يخذل من عصاه، وهو كذلك حكيم فلا يبعد على حكمته أن يخذلكم ولو كان فيكم رسول الله إذا عصيتم.

* وأمـا قوله تعـالى في سورة الأنفـال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾؛ فلأن معركـة بدر كان المسلمون فيهـا قلة وعلى خوف شديد فلم يكن لهم سبب أرضي يطمئنون به غير الملائكة فقال: ﴿لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾، فقدم الجار والمجرور (به) التي تفيد الاختصاص، وأما في مـعركة أُحد فقد كانت لهم بعض قوة يطمـئنون بها مع مدد الملائكة فـقال: ﴿لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾، ولم يقدم الجار والمجرور لوجود اطمئنان بعض الشيء بغير الملائكة ـ ولا يظنَنَّ ظان أن اطمئنانهم

كان بالسبب من ملائكة وغيرهم دون الله بل كانت ثقتهم كلها في الله ولكن المقصود ما يطمئن القلوب من أسباب بشرية.

* وأما قوله عن معركة بدر: ﴿بُشْرَىٰ﴾، بينما قال عن معركة أحد: ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، فلاحتمالين:

(أ) أن المؤمنين لما خذلوا في معركة أحد احتاجوا إلى التخفيف عنهم لئلا يحزن الأفاضل من الصحابة فقال لهم سبحانه: ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، أي أنتم صحب رسول الله، وأنتم أفضل من صحب الأنبياء ومازالت لكم عند الله المكانة الخاصة والبشارة الخاصة، وأما في معركة بدر فقد انتصروا فيها فلم يحتاجوا إلى مثل هذا فقال: ﴿بُشْرَىٰ﴾ فقط.

(ب) أن الإمداد في معركة بدر كان بألف كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ (الأنفال: ٩-١٠)، فقال: ﴿بُشْرَىٰ﴾، بالعموم إذ لا يبعد أن يمد الله غير الصحابة ممن يأتي بعدهم بهذا العدد إذا كمل إيمانهم وأما في معركة أحد فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٢٤-١٢٦)، فخصهم بالبشارة فلعله لأنه لن يمد الله بهذا العدد الغفير غيرهم، والله أعلم.

٢٠٩. قال تعالى في سورة التوبة عن المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٦٧)، وأما الكفار فقال عنهم في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة: ٥١)، وقال عن المؤمنين في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا

﴿وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال: ٧٢)، فالكفار يتولى بعضهم بعضًا، والمؤمنون يتولى بعضهم بعضًا، وأما المنافقون فلا ملة لهم ولادين لهم بل يسيرون على حسب الهوى والمصلحة، فكل واحد على أتم الاستعداد للتضحية بصاحبه من أجل مصلحته فلا رابطة تجمعهم، ولذا قال عنهم بالذات «بعضهم من بعض».

٢١٠ - قال تعالى في سورة التوبة في رفع اللوم عمن تخلف عن الجهاد لعذر طالما صدق: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)، فشبه العين بنهر زاد ماؤه حتى خرج الماء عن حافتي النهر فكذلك زادت دموعهم من الحزن جدًا حتى فاضت عن العين فإن قيل: فلمَ قال: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ مع أن العين تفيض بالدمع لا من الدمع؟ قلت: ليدل على أن الدمع خرج من العين حتى ظهر أثره في غيرهم، كما أن النهر ربما فاض بالماء ولكن لم يتعد مجراه كثيرًا، وربما فاض بالماء حتى خرج منه وأثر فيما حوله فكأن دموع هؤلاء الصادقين أثرت في قلب رسول الله ﷺ والصحابة حتى رقوا لحالهم.

٢١١ - قال تعالى في سورة التوبة: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وقال في غيرها: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾، ليفيد أن الماء ينبع من تحت الجنة، وليس من نبع بعيد وهذا أكمل.

٢١٢ - قال تعالى في سورة التوبة عن المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة: ٩٤)، وقال تعالى في سورة التوبة كذلك عن العصاة التائبين من المؤمنين: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (التوبة:١٠٣-١٠٥)، وفي ذلك دقة بالغة إذ المنافق يظهر الطاعة ويبطن المعصية، فقال تعالى لهم: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، ولم يذكر المؤمنين لأن حقيقة ما في قلوبهم من نفاق لا يعلمها إلا الله وسيعلِم بها رسوله، وأما المؤمنون فلا يرون إلا الظاهر، بينما لما خاطب التائبين من المؤمنين قال: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، إذ يرى المؤمنون أعمالهم الصالحة التي تدل على ما في قلوبهم، فإن قيل: فلِمَ قال للمنافقين: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾، وللمؤمنين: ﴿سَتُرَدُّونَ﴾؟ قلت: تخفيفًا عن المؤمن وتصبيرًا له فكأنه قال: الدنيا عن قريب ستزول وستلقى ربك بعملك الصالح فيجازيك أحسن الجزاء ولذا أتى بالسين التي تدل على المستقبل القريب فقال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾، وأما المنافقون فقد أخبرهم في أول الآية أنه لن يقبل عذرهم في التخلف عن الجهاد فأخبرهم أنهم فوق عذاب فضيحتهم في الدنيا ينتظرهم العذاب في الآخرة بالفضيحة الكبرى أمام كل الخلائق فكأنه قال لهم: «ها قد فضحكم الله في الدنيا ثم لكم الفضيحة الأكبر أمام كل الناس يوم القيامة»، ولذا قال: ﴿ثُمَّ﴾.

٢١٣ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣)، ولم يقل: «وليعفَّ» بل زاد السين والتاء ليدل على احتياج العفة إلى مزيد قوة إيمان وليتضمن كذلك معنى الطلب، فكأنه قال: «فليطلبوا من الله أن يعفهم فلا قوة لهم عليها ولا على طاعة إلا بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ».

٢١٤ ـ قال تعالى في سورة النور لائمًا المؤمنين على التحدث دون تروٍ بما أشاعه المنافقون في حادثة الإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾

(النور:١٥)، فقال: ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، ليدل على أنهم لم يفكروا ولو لقليل فيما يتكلمون به بل كانوا يلقونه من لسان إلى لسان، وفيه كذلك لوم لأسماعهم فهي التي تتلقى الكلام، فكيف لم تستهجن ما سمعته من اتهام الصديقة عائشة بالفاحشة، فكأن السمع وقتها كان أصم فكان اللسان هو الذي يتلقى الكلام، إذ لو كان السمع حيًا لما قبل سماع هذا الكلام فضلاً عن التحدث به.

٢١٥ ـ قال تعالى في سورة النور مدللاً على براءة عائشة رضي الله عنها مما اتهمت به من الفاحشة: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النور:١٣)، وفي ذلك دقة بالغة إذ القاذف ربما كان صادقًا، ولكن لعدم اكتمال نصاب الشهداء على الزنا يجلد فهو يعامل في الدنيا معاملة الكاذب احتياطًا لأعراض الناس، ولكن الله يعلم أنه صادق فلما برئ سبحانه عائشة قال عن قذفتها: ﴿فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، أي هم كذبة في الدنيا ظاهرًا وكذبة أيضًا في الباطن، ولم يقل: «فأولئك هم الكاذبون» التي قد تحتمل الكذب الظاهري في الدنيا دون الباطن فأكرم بالقرآن!!

٢١٦ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ (النور:٦)، وقال أيضًا فيها: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ﴾ (النور:٤)، فقال مع قاذف المحصنة: ﴿ثُمَّ﴾، لأنه ربما لم يأت بشهود معه عند القذف، فإذا سأل المهلة ليأتي بهم أعطي المهلة المناسبة، وأما قاذف زوجته فيندر أن يكون معه من يشهد زنا زوجته ففي الغالب لا يأتي بشهود ولا يطلب المهلة للمجئ بالشهود بل يكتفي بالملاعنة.

٢١٧ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ (النور:٣٤)، وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ (النور:٤٦)، دون أن

يقول: «إليكم»، وذلك لأن الآية الأولى ساقها سبحانه بعد الكلام على أحكام شرعها الله للأمة فقال: ﴿إِلَيْكُمْ﴾، إذ الأمة هي المخاطبة والمأمورة بهذه الأحكام - نعم - يحاسب الكافر على فروع الشرع كما يحاسب على أصول العقيدة ولكنه لا يؤمر بالفروع حتى يسلم، وأما الآية الثانية فسيقت بعد الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وهذا يؤمر به كل الناس حتى الكافر فعمم فقال: ﴿أَنزَلْنَا﴾، ولم يقل: «إليكم» لئلا يفهم اختصاص المسلمين بالأمر بالتوحيد، فما أدق كلام الله!

٢١٨ - قال تعالى في سورة النساء مرغبًا الزوج في الصبر على زوجته وعدم طلاقها ولو كرهها: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، فقال: ﴿فِيهِ خَيْرًا﴾ ولم يقل: «منه» ليدل على أن الله قد يصلح الزوجة ويجعل فيها نفسها الخير بخلاف ما لو قال: «منها» لربما فهم أن الخير يأتي بسبب ثواب الصبر عليها، وأما هي فلا أمل في إصلاحها.

٢١٩ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (النساء: ٢)، ولم يقل: «ولا تبدلوا» ليدل على أن أخذ مال اليتيم جريمة تحتاج إلى كلفة ومشقة على النفس السوية إذ اليتيم قد بلي بفقد أبيه فكيف يسهل على النفس ظلمه وأخذ ماله ولا راعي له من البشر غير من ولي ماله في الغالب؟ وهو كذلك يدل على أن التكلف لأخذ مال اليتيم جريمة، فكيف بمن فسدت نفسه وانتكست فطرته فسهلت عليه معصية أكل مال اليتيم؟

٢٢٠ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء: ٥-٦)، فقال في الأولى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، ولم يقل: «اليتامى»، وقال في الثانية: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾، فإن قيل لم؟

قلت: هكذا دقة وعظمة القرآن إذ لو قال: «ولا تؤتوا اليتامى» لربما ظن ظان أن اليتم عيبٌ يمنع استحقاق المال، فلما قال: ﴿السُّفَهَاءَ﴾، دل على أن السبب في منعه ليس لكونه يتيمًا في حد ذاته ولكن للوصف الملازم له وهو عدم البلوغ وفيه فائدة أخرى إذ يعرف بذلك عموم هذا الحكم مع كل غير بالغ ولو كان غير يتيم كالصبي والمجنون وفيه كذلك أن اليتيم الذي عنده بعض عقل يجوز إعطاؤه ما يأخذه مثله في العادة ليشتري به حاجاته مما يأكله مثله أو يشتريه مثله كقلم أو كراسة أو حلوى وغيرها، أما الآية الأخرى فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾، ولم يقل: «السفهاء» إذ السفيه بعد بلوغه لا يختبر لظهور سفهه فلا حاجة إلى اختباره فسبحان من هذا كلامه!!

٢٢١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة: ٢٦٠).

* قال: ﴿اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ ولم يقل: «فاجعل على كل جبل منهن جزءًا فادعهن» وذلك لأنه ربما لو دعاهن فور ذبحهن لربما قال قائل حرارة الحياة مازالت فيهن بعكس الموتى ففيهم من مات من قديم الزمان فافترقا، فقال: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾، أي بعد فترة من موتهنَّ، أما قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ﴾ فلإنَّ الجعل ليس بعد الضم إليه مباشرة وإنما يكون هو بعد الذبح فقال: ﴿ثُمَّ﴾ ليتضمن وجود الذبح أو لإنَّ الحيوان إذا ذبح ظل فترةً ما يتحرك حركة المذبوح فالمستحب تركه حتى تخمد حركته ثم يقطعه ويضعه على الجبل.

* قوله: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ حكاية لما يحدث في البعث إذ ينفخ إسرافيل في الصور، ويُنادي على العظام فتجتمع، والنداء يوم القيامة إما من ملك فتجتمع

الأموات بإذن الله فكما استجابت الطيور لإبراهيم ستستجيب الأموات لهذا المخلوق بجامع أن كلاً منهما بإذن الله نادى عليها، فكأنه إشارة عظيمة إلى أنه لولا إرادة الله لبعثها ما استجابت للملك كما أنها كانت لن تستجيب لإبراهيم لو نادى عليها دون إرادة الله، أو يكون المنادي عليها يوم القيامة هو الرب العظيم سبحانه فكأنه يقول له إذا استجابت لك الطير يا إبراهيم وأنت مخلوق لإرادتي بعثها فكيف لو ناديتُ أنا عليها؟

٢٢٢ ـ قال تعالى في سورة البقرة عن تحويل القبلة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (البقرة:١٤٣)، وقال في سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ (الحج:١١)، وقال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران:١٤٤)، وفي هذا دقة بالغة فالانقلاب على الوجه أو العقب كناية عن الردة، والعياذ بالله، والمعنى أن المنقلب (الذي يقع) إما أن يقع على وجهه (أمامه) وإما أن يقع على عقبه من خلفه فأما الذي يقع على وجهه فهو من يسير في طريقه، ولكنه يجد الحواجز في طريقه فيتعرقل بها، وأما الذي يقع على عقبه فهو من يسير في طريقه ولكن قوة قوية تدفع في وجهه وتمنعه من السير فيقع على ظهره أو عقبه، فالذي يقع على وجهه إنما وقع لسوء سيره وعدم تبصره بالطريق، وأما الذي وقع على ظهره فلقوة ما يمنعه من السير، فإذا عرفت هذه المعاني ونظرت في مواقع هذه التعبيرات القرآنية عرفت أن هذا القرآن حقًا كلام الله لا يستطيعه البشر فسبحان ربي العظيم.. وذلك أن الكلام في سورة الحج عمن يعبد الله على حرف يريد الدنيا ظانًا أن طريق الدين لا شوك فيه ولا صعوبات فيه، فإذا بالأشواك والأحجار في طريقه تعرض له فيقع

على وجهه، ولو كان ابتداءً يعرف طبيعة الطريق لاحتاط من الشوك ولما وقع، بينما قال في البقرة: ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، وفي آل عمران: ﴿وما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، لأن الكلام هاهنا على فتنتين قويتين من شأنهما أن يزعزعا القلوب الضعيفة، أما الأولى فهي تحويل القبلة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، والثانية هي وفاة الرسول وهي والله أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون، ففي الحديث الصحيح: «من اصيب بمصاب فليتعزى بمصابه في فإنه لن يُصاب بأكبر منه»، أي لا يحزن من هذه المصيبة فما مصيبةٌ أصعب من مصيبة وفاة النبي ﷺ فكأن المؤمن يسير في طريق الطاعة، ولكن تأتيه رياح هذه الفتن سواء تحويل القبلة أو وفاة الرسول، فمن ثبت لهذه الريح بإذن الله وفضله واصل طريقه ومن لم يقو عليها بعدل الله انقلب على عقبه فسبحان الكريم.

٢٢٣ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:١٣)، ولم يقل: «ينصر» بل قال: ﴿يُؤَيِّدُ﴾، التي تدل على وجود سعي من المؤمنين فلابد من أخذ العبد بالأسباب المتاحة حتى يؤيده الله.

٢٢٤ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران:٥٩-٦٠)، ولم يقل كبقية مواطن القرآن: «فلا تكوننَّ» لأن العرب تزيد حروفًا وتنقصها، لتدل على معان زائدة فلما قال هاهنا: ﴿فلا تكن﴾، أي لا يكن عندك أي شك ولو قليل فعبودية عيسى لله واضحة لكل أحد وظاهرة لكل عقل فلم يحتج ذلك إلى مزيد توكيد فحذفت نون التوكيد التي في قوله تعالى في آيات أخرى: ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة:١٤٧).

٢٢٥ـ قال تعالى في سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤)، ولم يقل: «من أنصاري مع الله»، فكأنه قال: «من دعاتي إلى الله» أو «من سيدعوا مثلي وينسب نفسه إلي بالدعوة إلى الله وتبليغ كلمة الحق والصبر على الأذى».

•❋•

الفصل الخامس

حسن دلالة القرآن

وهي على أقسام:

(أ) دلائل علمية كونية. (ب) دلائل لمسائل التوحيد. (جـ) دلائل لمسائل الفقه.

أولاً - الدلائل العلمية الكونية:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ (النجم: ٤٥-٤٦)، وفيها إثبات ما قاله علماء العصر الحديث من كون ماء الرجل الذي منه النطفة، هو المؤثر بإذن الله في إنجاب الذكر والأنثى معًا، وأما المرأة فلا دخل لها في هذا، ولذا جعل سبحانه الذكر والأنثى كليهما من ماء الرجل، فإن قيل فما بال الحديث الصحيح: **«إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل آنثا بإذن الله»**؟ قلت: المسابقة لا تكون إلا من مكان واحد للمتسابقين، فيكون معنى الحديث: إن سبق عامل الذكورة (y) عامل الأنوثة (x) كان المولود ذكرًا، وإذا سبق عامل الأنوثة (x) عامل الذكور (y) كان المولود أنثى، وكلا العاملين (x,y) يخرجان من مكان واحد، وهو ماء الرجل، أفاد ذلك الشعراوي - رحمه الله -.

٢ - قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧)، وقال في سورة المعارج: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: ٤٠)، وقال في سورة الشعراء: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (الشعراء: ٢٨)، ولا تعارض بينها، بل في هذه الآيات إعجازات علمية باهرة، فقد ثبت علميًا وجود شمسين وقمرين لبعض

الكواكب في هذا الكون وعليه فلها مشرقان ومغربان، وبعض الكواكب الأخرى لها أكثر من شمسين وقمرين، فلها مشارق ومغارب، وكوكب الأرض له شمس واحدة وقمر واحد؛ فله مشرق واحد ومغرب واحد.

* ويصح أن يقال: المشرقان والمغربان باعتبار أن الشمس لا تشرق على مكان وإلا وقد غربت عن آخر والعكس، وأما المشارق والمغارب فاعتبار مجموع الأماكن إذ كل شروق على مكان غروب على آخر والعكس.

٣ - قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ (الزمر:٦)، وفيه دلالة علمية إذ ثبت علميًا كون الجنين في بطن أمه يحاط بثلاثة أغشية، فهذه هي الظلمات الثلاث.

٤ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (الأعراف:٥٤)، وقال في سورة الرعد: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:٣)، وفي هذا دقة علمية متناهية إذ آية سورة الأعراف تتكلم عن أول الخلق، ولذا قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ وزاد ﴿حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا، وهذا ما ثبت علميًا حديثًا حيث اكتشف العلماء بطرق يطول ذكرها أن الليل والنهار كانا قصيرين جدًا في أول الخلق لسرعة دوران الأرض فكان الليل يمضي سريعًا، وكذا النهار ثم تباطئت الأرض شيئًا فشيئًا حتى استقرت على وضعها الحالي وهو ما ذكره القرآن في سورة الرعد بقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾؛ فإن قيل: فلمَ ذكر في سورة الأعراف أول الأمر، وذكر في سورة الرعد ما استقر عليه الأمر؟ قلت: لأن الأعراف مكية والرعد مدنية تأخر نزولها فناسب أن يذكر في السورة الأولى أول الأمر، وفيما نزلت متأخرًا آخر الأمر ثم

الأعراف نزلت في مكة، وقد كان استضعاف المسلمين فيها شديدًا، فناسب أن يذكرهم بأن زمن الاستضعاف سيمضي سريعًا كما أن الزمن في أول الخلق كان مضيه سريعًا، فكأنه يقول لهم اصبروا هذه الأيام القلائل التي سريعًا ما تزول فسبحان من هذا كلامه.

٥ ـ قال تعالى في سورة العلق مهددًا أبا جهل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق: ١٥-١٦)، وقال في سورة هود: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود: ٥٦)، وفي هذا دقة بالغة إذ ثبت علميًا كون مركز التحكم في تصرفات الإنسان الاختيارية سواء إلى الخير أو إلى الشر وكذا الحيوان في الناصية (مقدم الرأس) فوصف الناصية بالكذب والخطأ والعصيان دقيق جدًا، ولذا نقول: أخذ الله بالنواصي وتحكمه فيها هو تحكم في الأفعال الاختيارية في الحقيقة . . فسبحان الله العظيم.

٦ ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦)، وفيه دلالة على أن الجلد هو مركز الإحساس في الجسم، إذ أخبر سبحانه أنه يبدل الجلد ليذوقوا العذاب، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث بعد قرون من نزول القرآن الكريم.

٧ ـ قال تعالى في الحج: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، ولم يقل: «من كل فج بعيد»، إذ أن العمق كما يقول علماء الهندسة الفراغية يدل على الاستدارة سواء بالشكل الكروي أو البيضاوي بينما البعد يدل على تسطح الشيء بالشكل المربع أو المستطيل أو المثلث، فقوله تعالى: ﴿عَمِيقٍ﴾، يدل على استدارة الأرض.

٨ - قال تعالى في سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ (الروم: ٣)، وقد ثبت علميًا كون الأرض التي وقعت فيها المعركة بين فارس والروم في هذه الجولة بجوار البحر الميت وهي أدنى بقعة في انخفاضها في مستواها على سطح الأرض.

٩ - قال تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩)، وقد سمعها رجل خبير بالأصوات الموسيقية من الغرب الكافر، فأسلم وقال: قد ثبت لدى خبراء الموسيقى كون صوت الحمير هو أشد الأصوات نشازًا، فانظر كيف جعل الهادي اشتغال هذا الرجل بصنعة محرمة (الموسيقى) سببًا لإسلامه فسبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

١٠ - قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥)، فتأمل قوله: ﴿يَعْرُجُونَ﴾، ولم يقل: «يصعدون» فقد ثبت علميًا بأن الخارج عن مجال الأرض لا يستطيع أن يسير في الفضاء إلا في خطوط متعرجة، ولذا قال سبحانه: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: ٤)، ثم تأمل قوله: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، قال الدكتور زغلول النجار: «أول عالم فضاء من الغرب خرج إلى الفضاء قال نفس العبارة التي ذكرها القرآن» ولكن بلغته»، فسبحان ربي العظيم.

١١ - قال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (الرعد: ٣)، فسمى الجبال بالرواسي وشبهها بالسفينة التي ترسو وتستقر في مرساها، وفي هذا دقة بالغة، إذ اكتشف علميًا أن الجبال يظهر منها جزء على سطح الأرض والجزء الأكبر منها تحت الأرض، ولذا قال تعالى في آية أخرى عن الجبال: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٧)، والوتد هو ما ينصب من عمد معظمها داخل الأرض وأقلها ما يظهر منها، والعجيب أن الجزء الأسفل من الجبل (الذي هو تحت سطح الأرض) مستقر في سائل فأشبهت الجبال السفينة حين تستقر على سطح الماء.

شكل توضيحي لهيئة الجبال كما ثبت حديثًا:

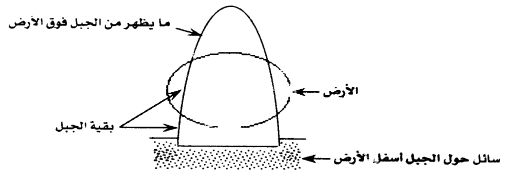

ثانيًا - دلائل مسائل التوحيد:

١ - قال تعالى في سورة غافر عن آل فرعون: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥-٤٦)، وهي أكبر دليل على وجود عذاب القبر، إذ أخبر سبحانه أنه يدخل يوم القيامة آل فرعون أشد العذاب، وأخبر كذلك أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا، فمتى هذا العرض إذا لم يكن في القبر (في حياة البرزخ)؟ وليس ذلك في الدنيا قطعًا إذ لم يعرض فرعون وآله على النار في الدنيا، وإنما أغرقوا.

٢ - قال تعالى في سورة الزمر: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر: ٣)، وفيها رد على عباد قبور الأولياء الذين اتخذوهم وسطاء بينهم وبين الله، وحجتهم في ذلك أن الأولياء يقربونهم إلى الله، فبين سبحانه أن هذه هي حجة عباد الأصنام والملائكة من مشركي قريش، ومع ذلك حكم عليهم سبحانه بالكذب والكفر؛ فإن قيل وهل عباد القبور الآن كفار كمشركي قريش؟ قلت: كان مشركوا قريش يعرفون أنهم يعبدون غير الله، ولذلك قالوا: «ما نعبدهم» فكفروا بأعيانهم، وأما عباد القبور الآن فيجهلون كون الدعاء

عبادة، ولذا إذا قيل لأحدهم أتعبد البدوي؟ أنكر وقال: بل أعبد الله وحده، ولذا لا يكفرون بأعيانهم ـ نعم ـ فعلهم كفر، ولكن لا يكفر المعين حتى تقام عليه الحجة.

٣ ـ قال تعالى في سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢)، وفيها دليل على حرمة حضور أعياد المشركين؛ إذ الزور هو الباطل وأعياد المشركين فيحرم كذلك حضور مجالس اللهو والباطل، ولا يقال معنى الآية: «لا يشهدون شهادة الزور»؛ لأنها لو كانت هكذا لقال: «لا يشهدون بالزور».

٤ ـ قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ (الفرقان: ١٥)، وفيها دلالة على مسألة هامة اعتاد أهل السنة أن يذكروها، فياليت العلماء يهتمون بكتاب الله حق الاهتمام ليزيلوا الإشكالات ـ والله المستعان ـ. فقوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ عطف وهو يقتضي التغاير كما قال أهل اللغة، فدل على أن المرء قد يهدد بعقوبة كجزاء له، ولكن يعفو الله عنه ولا تكون مصيرًا له؛ كقاتل النفس المؤمنة عمدًا جزاؤه جهنم خالدًا مخلدًا فيها، والمنتحر جزاؤه جهنم خالدًا مخلدًا فيها، كما ورد في الكتاب والسنة، ولكن لا يشترط أن يكون هذا مصيره، فقد يعفو الله عنه، وهذا ما اعتاد العلماء أن يقولوا عنه: «هذا جزاؤه إن جازاه» فهذه الآية تدل على صدق مقولتهم ـ والحمد لله ـ.

٥ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٨)، فجعل الراجين هم الطائعون وهو ما استدل به العلماء على أنَّ الرجاء يقتضي العمل الصالح، وأما من ترك الطاعة وقال: أرجو رحمة الله، فهو مغرور متمن للأماني الباطلة.

فائدة: تأمل قولـه تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾، ولم يقل: «ثواب عملهم» ليدل على أن المؤمن وإن عمل ما عمل فهو يرجوا رحمة الله وفضله، إذ يرى عمله ناقصًا ويرى نفسه أهل الشر والرب أهل الخير.

٦ ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (الأعراف: ١١-١٢)، هذا هو المنهج الرباني في معاملة تارك جنس العمل، فلا يقال له بمجرد الترك أنت: كافر كما يزعم مبتدعة زماننا ـ هداهم الله ـ، بل يقال له: لم تركت السجود، ولم تركت العمل الفلاني؟ فإن أبى واستكبر كإبليس وقال: لا تلزمني هذه الأحكام فقد كفر وإن أقر بخطأه وأقر بلزومها له لم يكفر ولو تركها.

فائدة: قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾، وقال في أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ (ص: ٧٥)، ولا تعارض؛ لأن الممتنع من فعل شيء قد يمتنع عن المحاولة أصلاً، وقد يريد ويحاول فيمنعه مانعٌ خارجي، فسئل إبليس مبالغة في إقامة الحجة عليه، هل تركت السجود من نفسك ابتداءً وإن كان كذلك فما الذي جعلك لا تسجد أم أردت فمنعك مانع خارجي فمنعك أن تسجد؟

٧ ـ قال تعالى في سورة الضحى لرسوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: ٥)، ولم يقل: «سيعطيك»، والفارق أن كلمة (سوف) للمستقبل البعيد، والسين للمستقبل القريب، فدل على أن هذا العطاء يكون في الآخرة، ولا يرضى رسولنا وواحد من أمته خالد في النار، فهي من أرجى آيات القرآن، ولكن لا يستدل بها على عدم دخول عصاة الموحدين في النار، فالرسول يرضيه ما يرضي ربه، وقد كتب الله دخول بعض عصاة الموحدين في النار ـ نعم ـ لا يخلدون فيها ولكن لابد من دخولهم كما صحت بذلك الأحاديث، فليحذر

الصوفية من التعلق بالمقبورين من أهل البيت وغيرهم، فهذا شرك ولا يرضى الله ولا رسوله ﷺ عن المشركين أبدًا.

٨ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة:١٨٧)، وفيها بيان حقيقة القدر، وهي أن المؤمن يأخذ الأسباب ويتوكل على الله لينال ما كتبه الله وقدره - نعم - ما كتبه الله لابد من وقوعه، ولكن على العبد أن يأخذ بالأسباب، فتأمل قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: الولد فهو مكتوب ومقدر ولكن على العبد أن يباشر أسباب وجوده وكذلك العمل الصالح أو الطالح مكتوب ومقدر، ولكن العبد هو الذي يباشر أسبابه، فلا يقال لم يعذبني الله على السيئات، وقد كتبها الله عليَّ إذ سيقال له: أنت الذي فعلت وعصيت بإرادتك ومشيئتك، فلا يصح المرء أن يتبرئ من عمله بحجة أنه مكتوب كما أنه لا يصح له أن يتبرئ من ولده مع أنه مكتوب، فأكرم بدلالات القرآن وإزالته للشبه.

٩ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (الأنبياء:١٩)، وفيها دليل على أن الملائكة لا تشرب ولا تأكل ولا تنام إذ لو حدث هذا لكانت قد فترت عن العبادة بالطعام والمنام.

١٠ - قال تعالى في سورة سبأ مخبرًا عن ملك سليمان: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سبأ:١٢)، فتأمل قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ فهو يدل على أن استخدام البشري للجني لا يجوز، بل هو ممنوع منه ومحرم إلا بإذن الله، فلم يجز لسليمان إلا بإذن ربه، وقد قال تعالى نقلاً لكلام سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾

(ص:٣٥)، فدل على أن هذا الاستخدام لم يجز ولن يجوز لغير سليمان، ألا فليعقل هؤلاء الذين يقرأون القرآن على الناس ويسخرون الجن لأعمال ويقولون نستخدمهم في الخير، وجهلوا أن الحرمة ليست متعلقة بغرض الاستخدام، بل يحرم الاستخدام مطلقًا ولو في الخير، وقد نقلت كلام الشيخ ياسر برهامي في تحريم ذلك بالتفصيل في كتاب (القضاء والقدر) والحمد لله.

١٠ ـ قال تعالى في سورة فاطر لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر:٢٢)، فدل على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون خطاب من يخاطبهم إلا ما ورد الشرع به؛ كسماع الميت لإلقاء الزائر له في المقابر السلام عليه، وكسماع المشركين لخطاب رسولنا يوم بدر، وكسماع الميت قرع نعال المشيعين له، وأما غير ذلك فالأصل أن الميت لا يسمع شيئًا، ولذا لا يجوز سؤاله ولا مخاطبته وهو في قبره ولو كان رسولنا ﷺ.

١١ ـ قال تعالى في سورة المائدة عن الكفار: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (المائدة:٣٧)، ولم يقل: «مقام فيه» فدل على أن العذاب نفسه مقيم، فهو كالصريح في بقاء النار وعدم فنائها، كما قال أهل السنة والجماعة خلافًا لمن أنكر ذلك وزعم أن النار يأتي عليها زمن وتفنى ويفنى أهلها.

١٢ ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:١١٩)، ولم يقل: «من بعدهما» ليدل على أن صلاح العمل لا يشترط لقبول التوبة فمن تاب من ذنب توبة صادقة؛ قبلت توبته ولو لم يعمل صالحًا، فقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد التوبة، فإن قيل فلم قال: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾؟ قلت: ليدل على أن كمال التوبة في

صلاح العمل بعدها، فلو قال: «بعـدهما» لظن ظان أن التوبة لا تقبل إلا بعمل الصالحات، ولو لم يقل: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ لربما ظان ظان أن مجرد الـتوبة من العمل الطالح هو الكمال ولو عصى بعدها، فأتى اللفظ القرآني البديع بالمعنى الصحيح الكامل، فلا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر.

١٣ ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ (فاطر: ١)، استدل بها علماء أهل السنة على عجز البشـر عن معرفة كـيفيـة صفات الله؛ إذ لا يستطيع عـقل أن يتخيل كـائنًا يطير بأربعة أجنحة، بل في الحديث: «رأى رسول الله جـبريل له ستمائة جناح»، فإذا عجز البـشر عن تخيل ذلك، فعجزه عن تخـيل صفات الله أولى وأولى ـ نعم ـ نعرف معنى صفات الله ولكن لا نعرف الكيفية.

١٤ ـ قال تعالى في سورة الحج: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحج: ٧٢)، ولم يقل: «أوعدها» من الإيعاد، بل قال: ﴿وَعَدَهَا﴾ من الوعد، فـفيـه دلالة لأهل السنة القائلين بوجـوب دخول الكفـار النار وخلودهم فيها، إذ هي وعد الله ووعد الكريم لا يتـخلف بعكس إيعاد الكريم وتهديده فقد يتخلف فإن قيل: وكيف تكون النار وعـدًا؟ قلت: هي وعد للمؤمنين بأن ينتقم الله لهم ممن ظلمهم واعتدى عليهم وعلى حرماتهم.

١٥ ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ﴾، ولم يقل: «تبين» فقط، ففيه دلالة لأهل السنة والجماعة على أن الحجة لا تقوم بمجرد ظهور الأدلة في نفسها وتبينها، بل لابد من ظهورها للعبد وتبينها له وإلا كان معذورًا في عدم ظهورها ولم يكن آثمًا، إلا لو أعرض عنها وكان لو نظر لعرف الحق وتبين له فلا عذر له.

١٦ ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس:٤٥)، قوله: ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: يدل على أن الكفار يرون ربهم، إذ اللقاء يقتضي الرؤية، فإن قيل فكيف تقول في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥)؟ قلت: لا دليل فيها على خلاف ما قلته، بل فيها دلالة لصحة ما قلته، إذ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يفيد أنهم قبل ذلك لم يكن محجوبين وهم قطعًا لم يروا ربهم في الدنيا، وقطعًا لن يروه وهم في النار، فبقي أنهم يرونه في العرصات ثم يحتجب عنهم سبحانه.

١٧ ـ قال تعالى في سورة البقرة مخاطبًا الصحابة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة:١٣٧)، وفيها دليل على أنه لابد من فهم النصوص والأدلة في الفقه والتوحيد في ضوء فهم صحابة رسول الله ﷺ، فالصوفية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم يدعون أنهم يتبعون الدليل، ولكن أهل السنة هم أسعد الناس بذلك، إذ اتباعهم للدليل مبني على فهم أعلم الناس به، وهم الصحب الكرام، وأما الصوفية وغيرها من أهل البدع فيتبعون فهم شيوخهم وأئمتهم المبنية على اتباع الهوى، وكل هؤلاء المبتدعة يرد عليهم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾، ولم يقل: «بما آمنتم به»، فلابد إذًا من الاتباع في الفهم للدليل كما أنه لابد من اتباع الدليل.

١٨ ـ قال تعالى في سورة البقرة عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة:٨٠)، فقال: ﴿وَقَالُوا﴾، ولم يقل: «اعتقدوا»، ففيه دليل على أن القول نفسه جريمة فكيف بالاعتقاد!!

وفي هذه الآية أكبر دليل لأهل السنة على أن الجهل بالعاقبة لا يعد عذرًا مقبولاً، فمن عمل بمعصية توجب الكفر وعلم أنها معصية ولكن لم يظن أنها

توجب الكفر؛ فإنه يكفر ولا يعذر بجهله، وهذا حال اليهود إذ ظنوا أن كفرهم برسولنا كبيرة يعذبون عليها في [١٠] ثم يخرجون، ومع ذلك لم يعذروا وكانوا خالدين في النار، وأما الجهل الناشئ عن عدم بلاغ الأدلة فهذا ما يعذر به صاحبه.

١٩ - قال تعالى في سورة البقرة عن اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ (البقرة: ٩٤-٩٥)، وفيها دليل على أن حرف ﴿لَن﴾ لا يدل على النفي المؤبد، إذ أخبر سبحانه في هذه الآية أن اليهود لن يتمنوا الموت أبدًا، وقال في آية أخرى عن جميع الكفار بما فيهم اليهود: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف: ٧٧)، فتمنوا الموت، فدل على أن ﴿لَن﴾ لا تدل على النفي المؤبد، ولذا فقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣)، لا ينفي رؤية المؤمنين بما فيهم موسى لربهم في الجنة، لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣).

٢٠ - قال تعالى في سورة البقرة لصحابة الرسول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ (البقرة: ١٠٤)، وفيها دليل على أن الكفار لو تكلموا بكلام بناءً عن عقيدة عندهم حرم على المسلم أن يتكلم به، ولو أراد به معنىً صحيحًا؛ فيحرم قول البعض: (التاريخ يعيد نفسه)، إذ يقولها الدورية الذين يزعمون تكرر الدهر، وأن الكون يعيد نفسه كل دورة من الزمن، وينكرون البعث، فيحرم قولها حتى لو أراد المرء تشابه الأحداث وتشابه أفعال الكفار، ودليل حرمة ذلك نهيه تعالى للمؤمنين أن يقولوا لرسولنا: ﴿رَاعِنَا﴾؛ لأن اليهود كانوا يقولونها له ويريدون بها الرعونة والهلاك، فمع أن المؤمنين قصدوا بها الرعاية ومع ذلك نهوا عنها لئلا يتشبهوا باليهود.

٢١ - قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (يونس: ١٣)، فبين سبحانه أن المؤاخذة للكفار لا تكون لمجرد ظلمهم

وكفرهم، بل لابد من مجيء الرسل وليس مجيئهم فقط بل مجيئهم إليهم ولذا قال: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ فمن سمع بدعوة التوحيد فقد جاءته الرسالة، ثم الذي لا يعذر المرء بمجرد جحده هو الآيات البينات التي لا شبهة فيها، وأما ما فيه تأويل فلابد من إزالة الشبه قبل تعذيب من جحده، وكذا من لم تبلغه دعوة الرسل؛ فإنه لا يعذب حتى يختبر يوم القيامة.

٢٢ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ (النساء:١٧)، ولم يقل: «عن قريب»، والفارق: أن قوله: «عن» أي بعد زمن قريب كقولك: «آتيك عن قريب» أي بعد قليل من الزمن، وأما قوله: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ أي من مكان قريب، كقولك: «آتيك من قريب» أي من مكان قريب، والمكان القريب هاهنا هو الدنيا طالما لم يغرغر العبد؛ لقوله تعالى في سورة سبأ عن الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ:٥١-٥٢)، فالمكان القريب أي الدنيا ويكون معنى الآية: أنَّ حالهم عند التوبة يوم القيامة أو عند غرغرة سكرات الموت كحال من يتناوش (يتناول) شيئًا بعيدًا عنه، فهل يستطيع تناوله؟ وعليه فالآية لا تدل على أن التوبة لا تقبل إلا لو كانت بعد زمن قليل من الذنب، ولكن تدل على أنه لابد من التوبة في الدنيا قبل غرغرة سكرة الموت.

٢٣ - قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (المجادلة:٢٢)، ولم يقل: «يحبون»، إذ المودة خالص الحب وأصفاه، وهذا لا يكون من مؤمن لكافر أبدًا، وأما مجرد الحب الناشئ عن الجبلة كمحبة الزوج لزوجته النصرانية أو الرجل لابنه الكافر؛ فهذا لا بأس به، قال تعالى لرسوله فيما يتعلق بأبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص:٥٦)، فالزوج يباح له أن يحب صورة زوجته الكافرة، ويحب

التمتع بها، أما أن يحبها لشخصها مع كفرها فهذا لا يجوز؛ إذ المحبة موالاة وموالاة الكافر حرام، ولذا يكره الزواج من كتابية لصعوبة الجمع بين كراهية شخصها لكفرها مع محبة صورتها.

والقريب يحب الخير لقريبه الكافر، وربما وجد في قلبه ميلاً بفطرته إليه كالأب لولده والعكس فلا يأمر الشرع بتغيير الجبلة، ولكن يجب إظهار العداوة والبغضاء كما قال تعالى في لفظ دقيق نقلاً لقول إبراهيم وأتباعه المؤمنين لأهلهم الكفار: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤)، فيكره المؤمن كفرهم ويكرههم كذلك لكفرهم، وأما ما يجده من ميل فطري أحيانًا فلا يحرم طالما لم يبن عليه مودة أو مؤاخاة أو مناصرة.

٢٤ ـ قال تعالى في سورة نوح إخبارًا عن إغراقه لقوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ (نوح: ٢٥)، وفيها دليل على عذاب القبر إذ الفاء تدل على السرعة، فكأنهم بعد غرقهم أدخلوا النار لتوهم، وهذا لا يكون إلا في حياة البرزخ، إذ القيامة لم تقم حتى الآن مع أن قوم نوح أهلكوا منذ آلاف السنين.

* قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي: من كثرة ذنوبهم كثرة فوق المعتاد، فأصلها: «من ما خطيئاتهم»، وكلمة (ما) تدل على التعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨)، وكقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (النجم: ١٦).

٢٥ ـ قال تعالى في سورة المزمل: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (المزمل: ٨)، أي انقطع إليه وحده دون غيره، ففيها دليل على حرمة تعلق المرء بغير الله بحيث يعشقه فلا يكاد يصبر على عدم رؤيته، بل يشغل بفوات رؤيته عن طاعة الله ـ نعم ـ لا يحرم عشق الزوج لزوجته والعكس؛ لقصة مغيث مع بريرة، ولم

ينكر عليه النبي ﷺ لكونها زوجته، ولكن الأولى عدم الوصول إلى درجة العشق تفريغًا للقلب من سوى الله.

* وتأمل قوله: ﴿تَبْتِيلًا﴾، ولم يقل: «تبتلاً»؛ لأن صيغة تفعيل تدل على التدرج - ذكره ابن القيم -، فكلما زادت الطاعة كلما تعلق المرء بالله أكثر وانقطع عن الخلق أكثر.

٢٦ - قال تعالى في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (هود:٨٤)، وهكذا قال عن بقية الرسل، وفيها دليل على جواز قول المسلم عن الكافر أنه أخوه بمعنى الإخوة من آدم أو الإخوة في البلد، ولكن لا ينبني على هذه الإخوة حبًا ولا موالاة ولا مناصرة إذ الموالاة للكافر لا تجوز إجماعًا، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة:٥١)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة:٥٥).

٢٧ - قال تعالى في سورة هود نقلاً لقول صالح لقومه: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ (هود:٦٣)، وفيها دليل لرجاحة القول بعدم وقوع الأنبياء والرسل في المعاصي، ولو كانت صغائر؛ إذ يقول صالح ﷺ: «لو عصيت الله ولو بصغيرة فلا ناصر لي من الله»، ومعلوم أن الله نصره وناصره، فلزم عدم وقوع الرسل في المعاصي، ثم إنَّ الأمر بالاقتداء بالرسل يقتضي عدم وقوعهم في المعاصي.

* وأما قوله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)، فالمقصود ما فعله الرسول ﷺ نسيانًا أو خطأ عن غير عمد، والخطأ والنسيان معفو عنهما، وكذا ما فعله خلاف الأولى، وهكذا ذنوب بقية الأنبياء والرسل، وأطلق عليها ذنوبًا لعلو منزلة الأنبياء والرسل، فكانت أخطاؤهم ذنوبًا مع أنها في حق غيرهم ليست ذنوبًا.

٢٨ - قال تعالى في سورة النساء: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾** (النساء:١٨)، وفيها دليلان:

(أ) أن الكافر إذا مات على كفره؛ فإن الله لا يغفر له أبدًا ولن يتوب عليه أبدًا، وهذا عام في كل كافر ولو كان يعمل الخير ويتصدق.

(ب) أن الذي بلغت روحه الحلقوم فلا توبة له؛ ففي الحديث الصحيح: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»، ولذا قال الحق سبحانه: **﴿حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾**، ولم يقل: «جاء»؛ ليدل على أن الآية في المحتضر الذي حضرته الملائكة لقبض روحه؛ فكأنه قال: «حتى إذا جاء أحدهم الموت وحضرته الملائكة».

ثالثًا - دلائل القرآن الفقهية:

١ - قال تعالى في سورة الإسراء بعد نهيه عن الزنا والشرك وقتل النفس وغيرها من المحرمات: **﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾** (الإسراء:٣٨)، مع أنها تشتمل على محرمات بل كبائر ومع ذلك قال: **﴿مَكْرُوهًا﴾**، فاستدل به بعض متورعة المذاهب وبعض الأئمة على إطلاق لفظ المكروه على المحرم خشية أن يتعود لسانهم على لفظ التحريم، وقد قال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾** (النحل:١١٦)، ولمعرفة هذا تزول كثير من الإشكالات فيما نقل عن الأئمة؛ كقول الإمام أحمد: «أكره الصلاة في المساجد التي بها قبور»، فهذه كراهة يعني بها التحريم كما هو في الآية، وكذلك ما نقل عن البعض من كراهة صلاة الرجل في البيت وتركه للجماعة، أو كراهة حلق اللحية، فإنهم يعنون بها كراهة التحريم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿سَيِّئُهُ﴾ فيه دقة بالغة، إذ الآيات قبلها تأمر بتوحيد الله وببر الوالدين، وبإعطاء ذي القربى حقه، وتنهى كذلك عن الشرك والزنا وقتل النفس، فلو قال: «كل ذلك كان مكروهًا» لربما شمل المأمورات، فلما قال: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾؛ دل على أنه قصد الأمور السيئة المنهي عنها فقط.

٢ ـ قال تعالى في سورة مريم نقلاً لقولها لما نفست بعيسى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (مريم:٢٣)، فتمنت الموت خوفًا أن تفتن في دينها إذ خافت أن يظن الناس بها السوء إذ أتت بولد بلا أب، وفيها دليل على جواز تمني الإنسان الموت عند خوف الفتنة في دينه، وفي الحديث الصحيح الوارد بدعاء نبينا: «**وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**».

٣ ـ قال تعالى في سورة آل عمران عن المنافقين الذين تخلفوا عن معركة أحد: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ (آل عمران:١٦٧)، فعطف القتال على الدفع فدل على وجود قتال في سبيل الله مأمور به غير الدفاع عن البلاد، وفي هذا إبطال لقول بعض الجهلة الذين زعموا كون الجهاد الواجب هو جهاد دفع الكفار عن بلاد المسلمين فقط، فلا يجب على قولهم طلب الكفار وقتالهم في بلادهم فخالفوا ظاهر الآية والإجماع ـ والله المستعان ـ.

٤ ـ قال تعالى في سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وفيها دليل على صحة قول جمهور الفقهاء بكون أمر رسولنا ﷺ يفيد الوجوب إلا بدليل، وذلك لأن الله هدد من خالف أمر رسولنا بالعذاب الأليم، والعذاب لا يكون إلا لمن ترك واجبًا أو فعل محرمًا، ولذا قال الجمهور بحرمة حلق اللحيه لوجود الأوامر بها.

٥ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:٢٣٦)، وقال أيضًا في نفس السورة: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:٤١ -٢٤٢).

ففيها دليل على وجوب المتعة لكل مطلقة لعموم الآيات، كما هو اختيار الشيخ ياسر برهامي ـ حفظه الله ـ، ولو كانت مدخولاً بها إذ قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يفيد الوجوب، بينما قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قد يدل على الاستحباب، ولذا قال سبحانه: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: فتعرفون من قولنا: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الوجوب ولا تظنوا أن قوله ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ يفيد الإحسان المستحب، بل يدل على أن الواجب هو إعطاء متعة المثل والكمال المستحب أن يحسن المطلق إلى زوجته ويعطيها فوق متاع المثل لتبقى بينهما الذكرى الحسنة خاصة لو كانا قد أنجبا؛ إذ سوء العلاقة بينهما سيجعل كلاً منهما يورِّث الأولاد بغض الآخر فيتضرر الأولاد أعظم الضرر، فما أجمل الإسلام وما أعظم أحكامه!!!

٦ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة:٢١٩)، وبها استدل العلماء على حرمة ما كان ضرره أكبر من نفعه، فليس المحرم فقط هو ما كان لا نفع فيه، بل ما غلب ضرره نفعه حرم كذلك، ولذا قال العلماء يحرم بيع التلفاز لمن غلب على الظن مشاهدة المحرمات فيه، ولوكانت فيه برامج نافعة لكون البرامج الخبيثة أكثر.

٧ ـ قال تعالى في سورة الأعلى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى:٩)، ففيها دليل على عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا غلب على ظن العبد عدم

استجابة المنصوح - نعم - يُستحب النصح مطلقًا ما لم يؤد إلى مفسدة أعظم، ولكن لا يجب حتى يغلب على الظن الاستجابة، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ في الحديث الذي صححه الألباني: «حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة»، أي فلا يجب عليك النصح لغلبة الظن بعدم استجابة المنصوح.

٨ - **قال تعالى في سورة عبس:** ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: ٢١)، فسبقت كلمة ﴿أَمَاتَهُ﴾ ﴿ثُمَّ﴾، التي تدل على التراخي، وسبقت كلمة ﴿أَقْبَرَهُ﴾ الفاء التي تدل على السرعة، ففيها دليل لصحة ما قاله الفقهاء من استحباب المسارعة بدفن الميت سواء كان صالحًا أو طالحًا، وفي الحديث الصحيح: «تعجلوا بالجنازة؛ فإنها إن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم».

٩ - **قال تعالى في سورة النساء:** ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥)، وفيها دليل على حرمة ترافع المحامي في قضية يعلم إجرام من يدافع عنه، وأنه يستحق العقاب، فالخائن والمجرم لا تحل المخاصمة عنهما.

١٠ - **قال تعالى في سورة النساء:** ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، وفيها دليل على حجية الإجماع وعلى حرمة مخالفته؛ إذ ما أجمع عليه المؤمنون كان سبيلهم.

١١ - **قال تعالى في سورة آل عمران:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، ولم يقل: «من استطاع منهم» بل قال: ﴿إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وذلك لأن العبد قد يستطيع الحج ببدنه وماله، ولكن لا يخرج لعدم أمن

الطريق فيكون هذا دليلاً لقول الجمهور بكون أمن الطريق إلى الحج شرطًا في الوجوب لا شرطًا في الأداء خلافًا للحنابلة.

تنبيه: شرط الوجوب: أي حتى يجب الحج على المرء فلابد من أمن الطريق، فمن مات وقد استطاع الحج ببدنه وماله ولكن لم يجد أمن الطريق فلم يحج فلا يجب على ورثته أن يخرجوا من ماله من يحج عنه، ولكن يُستحب.

شرط أداء: أي حتى يلزم الأداء فلابد من أمن الطريق، ولكن لا ينفي هذا وجوب الحج على من وجد المال والقدرة على الحج ولو كان الطريق غير آمن، فمتى مات هذا الشخص ولم يحج وجب على ورثته أن يخرجوا عنه من ماله من يحج عنه، وهذا أحوط ودلالة الآية تقوي القول الأول.

١٢ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٤-١٠٥)، ففيها دليل لمسألتين:

(أ) تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، متى قام به البعض بكفاية سقط عن الباقي؛ لقوله ﴿مِّنكُمْ﴾ فدل على وجوبه على البعض دون الكل.

(ب) تدل على أن الاختلاف في الآراء لا يعني دائمًا التفرق؛ لعطف: ﴿تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾، والعطف يقتضي المغايرة، فكم من مسألة فقهية اختلف فيها الأئمة وأهل السنة، وهم مجتمعون بقلوبهم وتوحيدهم وعقيدتهم على قلب رجل واحد، فطالما لم يصادم الخلاف البينات فالأمر واسع، وهذه البينات هي: (النص القاطع، القياس الجلي الواضح، الإجماع القديم المتفق عليه).

١٣ ـ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ (المائدة:٤٥)، فدل على أن القصاص لا يجرى بين المؤمن والكافر، إذ الكافر لو عفا لم يكن متصدقًا، إذ لا ثواب له، فلا يجب قصاص شرعي إلا لو كان لصاحبه فرصة للتصدق بالعفو، ولا يكون هذا والمطالب به كافر، فلو قطع المسلم يد الكافر لم يكن بينهما قصاص، وقس على هذا . . أفاد هذا العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ.

١٤ ـ قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (النحل:٧٢)، وبها استدل بعض الفقهاء على وجوب خدمة المرأة لزوجها، إذ ﴿حَفَدَةً﴾ جمع حفيد الذي هو الخادم، فإن قيل (الحفيد) هو ولد الولد؟ قلت ليس الحفيد من الزوجة، وإنما هو من زوجة الولد أو من الولد فلا يدخل في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ ـ نعم ـ هو لغة بمعنى الخادم وولد الولد، ولكنه هنا بمعنى الخادم ـ والله أعلم ـ.

* ويؤيده قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (التحريم: ١٠)، فقوله ﴿تَحْتَ﴾ يقتضي الخدمة.

١٥ ـ قال تعالى في سورة الطارق: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق:٥-٦)، وفيها دلالة على أن المني الذي يجب به الغسل هو ما خرج على وجه الشدة والدفق، فما خرج لبرد أو لمرض على غير هذه الصفة أوجب الوضوء دون الغسل.

١٦ ـ قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ (سبأ:٤٤)، وفيها دلالة لصحة قول فقهائنا: «لا تأخذ العلم من كتابي» أي أن وجود كتاب علم يقرأه البعض لا يكفي، بل لابد من دراسة العلم على

أيدي المشايخ حتى لا يفهم العلم على حسب الأهوية، ولذا قال سبحانه: ﴿كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾.

١٧ - قال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، ولم يقل: «من أناب إليَّ» فأمر باتباع سبيل وطريق أهل الحق، ولم يأمر باتباع الأشخاص، فاللازم اتباع طريق أهل الحق لا أعيانهم، فالكل قد يخطئ إلا الأنبياء والرسل، ففيه دلالة لصحة قول الفقهاء: «اعرف الحق تعرف أهله»، ولقولهم: «كل يؤخذ منه ويترك إلا رسول الله»، ولقول البعض: «دعوا قولي لقول رسول الله ﷺ»، ولقول البعض: «إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط».

١٨ - قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لقول يعقوب لبنيه لما أخبروه بحبس بنيامين في مصر لسرقته: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف: ٨٣)، فظن فيهم أنهم تآمروا على حبس أخي يوسف، لأنهم أخبروه بأن أخا يوسف حبس جزاء سرقته، وقد علم يعقوب بأنه لا يعلم هذا التشريع - أعني حبس السارق في مقابل ما سرق -، لا يعلمه في مصر أحد، فظن وغلب على ظنه أنهم تآمروا على حبس أخيهم، ففيه دلالة لجواز مثل هذا الظن إذا كانت أدلته قوية بشرط عدم بناء حكم أو تصرف على ذلك، ولذا لم يعاقبهم يعقوب لعدم تأكده، وإنما حزن في خاصة نفسه، وكذا لم يرسل أحدًا إلى مصر ليتأكد من ظنه، وقد قال بعض السلف: «لا يخلو أحدٌ من الظن، فإذا ظننت فلا تتكلم ولا تحقق»، يقصد لو غلب على ظنك شيء لأدلة قوية فلا إثم عليك، ولكن لا تبن على ذلك حكمًا ولا تحقق لتتأكد مما ظننت.

١٩ - قال تعالى في سورة التوبة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣)، يلوم الله رسوله على إذنه للمنافقين بالتخلف قبل

أن يعلم الكاذب من الصادق، ففيه دلالة لصحة قول جمهور علماء أصول الحديث بكون الأصل في مجهول الحال رد خبره حتى يتبين صدقه احتياطًا للشرع، وكذا دلالة لصحة قول الفقهاء إذ اشترطوا لقبول شهادة الشاهد عند القاضي أن يكون مستفيض العدالة أو معدل من عدلين آخرين، فإن كان مجهول الحال لم تقبل شهادته حتى يتبين عدله الظاهري.

٢٠ - قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال:٦٦)، ولم يقل: «فإن يكن منكم مائة صابرة فليثبتوا لمائتين»، وذلك لدقة بالغة، إذ الواجب الثبات إذا غلب على الظن إمكانية النصر، وأما لو غلب على الظن الهزيمة لقوة سلاح العدو فإنه يجوز الفرار حينئذ ولو كان المشركون أقل من ضعفي عدد المسلمين كما هو مذهب الإمام مالك واختيار الشيخ أحمد حطيبة والشيخ ياسر برهامي - حفظهما الله -، فلما قال: ﴿يَغْلِبُوا﴾ بصيغة الخبر ولم يذكر الأمر بالثبات دل على أن وجوب الثبات إذا أمكن الغلبة وإلا فلا فأكرم بدلالات القرآن!!

٢١ - قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)، وفيها دليل على كون الاهتزاز ينافي الخشوع وعليه فالأفضل لقارئ القرآن ألا يهتز أثناء قرآته، وكذلك المصلي لا يهتز في صلاته - نعم - من اهتز رأسه أثناء القراءة عن غير تعبد لم يكن مبتدعًا إنما المبتدع من تعمد ذلك وزعم استحبابه، ولكن يستحب ترك الاهتزاز لمنافاته لكمال الخشوع - والله أعلم -.

٢٢ - قال تعالى في سورة الأعراف لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (الأعراف:١٢)، فقوله: ﴿إِذْ﴾ يدل على أنه كان لابد أن يلتزم بالأمر على

النور ففيه دلالة لعلماء الأصول الذين قالوا بأن الأصل في الأمر أنه على الفور إلا لدليل خارجي يدل على خلاف ذلك.

٢٣ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥)، ولم يقل: «والجروح بالجروح»؛ لأنه ربما لم يمكن أخذ الحق إلا بالحيف والظلم - أي بالزيادة على الجرح الذي تسبب فيه الجارح - فلما قال: ﴿قِصَاصٌ﴾ دل على أن الجروح التي يجري بينها القصاص هي التي يمكن فيها العدل ويؤمن من الحيف كما قال الفقهاء - رحمهم الله -.

٢٤ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢)، ولم يقل: «إذا تراضوا بينهما» مع أن طرفي الزواج هما الزوج والزوجة، ليدل على أن هناك جماعة لها رأي في الزواج، وليس الأمر قولاً لاثنين، فلابد من الولي ولا يكفي الزوج والزوجة، ففيه تلميح لقول جمهور الفقهاء باشتراط الولي في صحة النكاح وكذا يدل على اشتراط رضا المرأة ولا يكفي رضا الزوج ووليها ولذا قال: ﴿تَرَاضَوْا بَيْنَهُم﴾ ولم يقل: «بينهما».

٢٥ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ولم يقل: «مثل ما اعتدى عليكم» بل زاد الباء ليدل على جواز القصاص بنفس الآلة التي جنى بها الجاني، وليس مجرد القصاص.

٢٦ - قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: ٤)، فقال: ﴿ثُمَّ﴾ ولم يقل: «فلم»، ليدل على أن القاذف لا يجلد بمجرد قذفه، بل يمهل ليأتي بالشهود، فإن لم يأت بشهود جلد الحد.

٢٧ - قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٥-٧)، وفيها دليل لقول الجمهور بحرمة نكاح اليد (العادة السرية) إذ أباح الله إتيان الرجل لزوجه أو لملك اليمين فقط.

٢٨ - قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (النور: ٣١)، وفيها دليل على حرمة لبس المرأة لحذاء ذي كعب مرتفع يظهر صوته إذا مشت به.

٢٩ - قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٥٩).

* فقوله: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ يدل على أنَّ الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء إلا بدليل، فإذن الله في هذه الآية هو الإذن الشرعي - أي الدليل الشرعي - وليس الإذن الكوني.

* وفيها كذلك التحذير من التحليل والتحريم بهوى النفس دون الرجوع إلى دليل شرعي.

* وفيها دليل كذلك على أن أصل في الرزق الذي خلقه الله للعباد وأنزله إليهم الأصل فيه الحل إلا ما دل الدليل على تحريمه كلحم الخنزير، أو كراهته كاللحم المنتن (الفسيخ) ولذا أنكر سبحانه على من حرم رزق الله بغير دليل عنده.

٣٠ - قال تعالى في سورة الكهف عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الكهف: ١٣-١٤)، فقوله: ﴿قَامُوا فَقَالُوا﴾ أي قاموا بطاعة الله فكثيراً ما يطلق القرآن القيام على لزوم الطاعة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر: ١-٢)، وكقوله تعالى:

﴿أعظكم بواحدة أن تقوموا لله﴾ (سبأ:٤٦)، وكذا يطلق على التخلف عن المعصية قعودًا كقوله تعالى: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ (التوبة:٤٦)، وعليه فقول النبي ﷺ عن ساعة الجمعة: «**لا يوافقها عبد مسلم قائمًا يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه الله ما سأل**» لا يصح أن يستدل به على مشروعية دعاء العبد قائمًا يوم الجمعة، إذ قد ثبت إطلاق لفظ القيام على القيام المعنوي وليس فقط الحسي، ولذا فإن القيام للدعاء بدعة كما قال الشيخ ياسر برهامي لعدم وروده عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته، وإن كان يعذر المتأول ولا يسمى مبتدعًا لتأوله.

٣١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ (البقرة:١٧٨)، فقوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ يدل على أن قاتل النفس مسلم إذ أثبت له إخوة الإسلام، وأما قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا﴾ (النساء:٩٣)، فهو في المستحل أو هذا جزاؤه إن جازاه الله.

وقوله: ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾، فيه دليل فقهي؛ إذ عطف التخفيف على الرحمة يدل على التغاير، فقد يكون تخفيف ولا يعد رحمة كعدم لزوم قضاء الصلاة على تاركها عمدًا وليس هذا تخفيف رحمة ولكن لا يلزمه القضاء، لأن جرمه عظيم لا يكفره القضاء، وكذا من حلف يمينًا غموسًا لم تلزمه كفارة وليس تخفيف رحمة أيضًا، ولكن لعظم جرمه.

٣٢ - قال تعالى في سورة البقرة نقلاً لمحاورات بني إسرائيل لموسى حول البقرة: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر

النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة:٦٩)، فقوله: ﴿تسرُّ النَّاظِرِين﴾ يدل على حرمة لبس المرأة لثياب صفراء فاقع لونها، ومثلها كل ثياب تسر الناظر وتجذب النظر إذ الحجاب لستر المرأة لا لجذب النظر إليها.

٣٣ ـ قال تعالى في سورة البقرة مخاطبًا اليهود: ﴿ولَقدْ علمْتمْ الَذين اعْتدوْا منكُمْ في السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة:٦٥)، وفيها دليل لما أجمع عليه العلماء ونقله ابن عبد البر من حرمة أكل لحم القرد ولو ذبح، إذ قد مسخ الله العصاة قردة والمسخ لا يكون إلا ىى حيوان خسيس وقد حرمت علينا الخبائث.

ـ ثم تأمل دقة قوله تعالى: ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: إذ القرد الحيوان العادي لا يعذب في الآخرة، إذ ليس بمكلف، فلو قال (قردة) فقط لربما ظن ظان أنهم تجري عليهم أحكام القردة في الدنيا والآخرة، فلما قال: ﴿خَاسِئِينَ﴾ دل على أنهم سيحاسبون كالبشر في الآخرة.

* قوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾، ولم يقل: «جعلناهم» ليدل على سهولة هذا الأمر، فإنما كان بمجرد قول وفيه كذلك عذاب لهم إذ قرع أسماعهم بالخبر المخيف قبل حدوثه عذاب قبل العذاب.

٣٤ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ (البقرة:١٠٨)، وفيها دليل أن الإرادة قد تحرم وذلك إذا كانت عزمًا جازمًا فيكون حكمها كالفعل نفسه وأما مجرد الخاطر فلا إثم فيه طالما لم يستقر.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٨٢)، ولم يقل: «فأصلح بينهم فله أجره عند ربه»، بل قال: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فدل على جواز فعل أمور ما عند الصلح قد يتحرج منها البعض ويظنها إثمًا؛ كالكذب وغيره، فالكذب يجوز للإصلاح كما في السنة.

٣٦ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٤)، وقد يستدل بها البعض على جواز الفطر في رمضان لمن كان على وشك السفر، وإن لم يكن خارج البلد، ولكنه قول شاذ كما قال الشيخ ياسر برهامي قد خالف فيه الحسن البصري الأئمة الأربعة، ولا يصح لأنه ربما غير رأيه ومكث أو ربما لم يجد مركوبًا فماذا يفعل وقد أفطر؟ فإن قيل فلم قال: ﴿عَلَىٰ﴾ ولم يقل «في»؟ قلتُ: يُحتمل احتمالان صحيحان:

(أ) أنه دليلٌ للمذهب الراجح، وهو أنه لا يشترط للمسافر أن يصبح في سفر حتى يفطر، بل يجوز له أن يفطر ولو كان قد ابتدأ النهار صائمًا في بلده الأصلي، فهو على نية السفر فيجوز أن يفطر طالما غادر حدود بلده الأصلي، ولو كان يرى عمرانها؛ لأنه حينئذ ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

(ب) أنه كقول العرب: «إني مصبحٌ على ظهر» أي مسافر على مركوب، فيكون دليلاً لجواز الفطر لمن سافر راكبًا فيكون الماشي أولى، إذ الراكب متيسر سفره وربما ظن البعض عدم جواز فطره فنبهوا على جواز فطر الراكب ليدل على جوازه بالأولى للماشي، ولعل هذا هو السر في كون الصحابة لم تسأل رسول الله عن حكم الفطر في سفر متيسر؛ لأن الآية دلت على جوازه بعكس قصر الصلاة، فالآية لم تدل عليه فاحتاجوا إلى السؤال عن القصر إذا كان السفر سهلاً، إذ الآية قيدت الجواز بالخوف والمشقة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ (النساء: ١٠١)، والضرب في الأرض كناية عن المشقة والتعب.

٣٧ ـ قال تعالى في سورة التوبة لرسوله في شأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ (التوبة: ٨٤)، وفيها دليل على مشروعية القيام على قبر

المسلم والمؤمن للدعاء والاستغفار للميت، ولا بأس بالموعظة هناك كما فعل رسولنا ﷺ، ولكن لا يداوم على هذه الموعظة، وأما الدعاء الجماعي على القبر فهو بدعة لعدم وروده، فالسنة أن يدعوا كل شخص بمفرده للميت.

٣٨ ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (يونس:٤)، فسمى إدخال المؤمنين الجنة قسطًا وهو العدل، مع أنه تفضل عليهم بتوفيقهم للطاعة وإعانتهم عليها، وتفضل عليهم كذلك بإثابتهم على الطاعة، فقد يستدل به لمالك ـ رحمه الله ـ إذ جعل الوعد ملزمًا قضاءً، ووجه الدلالة أن الله جعل من العدل أن يعطي للمؤمنين ما وعدهم به، والعدل واجب تنفيذه والقضاء به، لكن قد يقال الوعد واجب الوفاء به شرعًا، ولكن لو أخلف الواعد وعده لم يلزمه قضاءً الوفاء ولكنه يأثم وإنما لم يلزم قضاءً؛ لأن الواعد من البشر ربما وعد غيره وهو يظنه محتاجًا فبان غير محتاج، فالإلزام به قضاءً تضييق على الناس، وأما الرب فهو يعلم كل شيء لا تخفى عليه خافية، فألزم نفسه سبحانه بوعده وجعله حقًا لا يفوت.

٣٩ ـ قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ (يونس:١٥)، واستدل بها الجمهور على عدم جواز نسخ السنة للقرآن، إذ النسخ تبديل، ولو تأملوا الآية حق التأمل لوجدوا فيها خلاف قولهم، فالرسول إنما قال: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾، ولم يقل: «ما يكون لي أن أبدله بقولي»، فالممنوع منه أن يبدل الرسول القرآن من تلقاء نفسه. ولذا نقول: قد تنسخ السنة القرآن، ولكن بأمر الله، وهذا هو الفارق بين نسخ السنة للسنة ونسخ السنة للقرآن، فالرسول ﷺ قد يجتهد فينسخ السنة بالسنة، ويقره الله، وأما نسخه للقرآن فلابد فيه من أمر سابق من الله، فالحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

٤٠ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٨٠)، وفيها عدة أدلة فقهية:

(أ) قوله: ﴿لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾: قدم النفي لظلم الغير على ظلم النفس، ففيها دليل لما قاله أهل الأصول من كون درئ المفاسد يقدم على جلب المصالح، وعليه فلو علم امرؤ بوجوب صدقة عليه وشك في مقدارين لها وجب عليه إخراج الأكبر لئلا يظلم الفقير.

(ب) قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، ولم يقل: «ذا عسرة»، ففيها دليل على أن ﴿ذُو﴾ فاعل كان التامة، فتكون الآية عامة في كل فقير عليه دين ولا يجد ما يسدده، فالواجب إنظاره حتى يجد المال، ولو قال: «ذا عسرة» لكانت (ذا) خبر كان، ويكون اسمها ضميرًا محذوفًا يعود على المقترض بالربا، فلو قال: «كان ذا» لكان الإنظار واجبًا للمعسر المقترض بالربا فقط، وليس الأمر هكذا، بل يجب إنظار كل معسر.

(جـ) قوله: ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾، ولم يقل: «معسرًا» يدل على وجوب إنظار كل معسر سواء بقليل أو بكثير من الدين.

٤١ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة:٢٨٢)، وفيها عدة أدلة فقهية:

(أ) قوله: ﴿تَدَايَنتُم﴾ يدل على المفاعلة، والدين يكون من جهة واحدة، فكأن الفعل يتضمن فعلاً آخر وهو «تبايعتم» فيكون المعنى: «إذا تبايعتم بدين»، وهذه صورة السلم، ففيه دليل لصحة قول ابن عباس أن الآية نزلت في السلم فيكتب دين السلم كغيره من الديون.

(ب) قوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾، ولم يقل: «بينكما»، إشارة إلى وجود شاهدين على الأقل أو شاهد وامرأتين، فمع المسلم والمسلم إليه يصبح الحاضرون جماعة.

فائدة: في الآية أمر بكتابة دين السلم مع أن غيره من الديون يكتب أيضًا؛ لأن المدين في السلم وهو المسلم إليه في الغالب غني صاحب سلعة، فمثل هذا لا تسمح النفوس بمسامحته لو أخلف غالبًا لعدم حاجته، فأمروا بكتابة هذا الدين والإشهاد عليه، وأما بقية المداينات فالمدين في الغالب فقير قد لا يجد ما يسدد به، وكثير من الكرماء عند إقراض مثل هؤلاء الفقراء ينوي مسامحته لو أعسر، فلو أمروا نصًا بكتابة الدين لربما تحرجوا - نعم - يؤمر بكتابة الدين من كان في نيته ألا يسامح وألا يعفو قياسًا على دين السلم، ولكن لا تلزم الكتابة لمن نوى أن يسامح.

فائدة: السلم هو أن يدفع المشتري ثمنًا لمبيع يعلمه بالمشاهدة أو بالوصف الدقيق على أن يستلمه من البائع بعد أجل معين محدد.

٤٢ - قال تعالى في سورة التغابن: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن: ١٤)، فعطف المغفرة على العفو، فدل على التغاير بينهما، فللفقهاء أن يستدلوا بها على المسألة الشهيرة وهي إذا ما تاب مرتكب ما يوجب الحد كالزنا وغيره بعد رفع أمره إلى الإمام وقبل إقامة الحد، فهل يحد أم لا؟ فالراجح أنه يحد فليس معنى مسامحة الله له بالمغفرة والتوبة أنه يعفى عنه ولا يحد، بل العفو غير المغفرة.

٤٣ - قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣)، وفيها دليل على أن لأقصى الحيض قدرًا يرجع إليه كما قرر الأطباء وذكرت في كتاب

الحيض - نعم - لم يستطع الأطباء الجزم بهذا الحد، ولكن جزموا بوجود حد يرجع إليه وهو على الراجح فقهيًا خمسة عشر يومًا، وكذا النفاس له أقصى يرجع إليه وهو أربعون يومًا، وكذا لقصر الصلاة مسافة قبلها لا يصح القصر وهي ثلاثة أميال (أي حوالي ٩ كيلومتر). وكذا لا يصح القصر إذا مكث المرء مدة ما - نعم - اختلف فيها، ولكن لا يصح أن يقال يقصر المرء كما شاء ولو أقام شهورًا وكذا أقل الحيض نقطة دم فله حد، ولا يخرج عن عموم قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ إلا ما دل الدليل عليه كإجماعهم على أنه لا حد لأكثر الطهر.

٤٤ - قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (الجمعة: ٩)، فذكر البيع ولم يذكر الشراء، فقد يستدل به لصحة ما ذكره بعض الفقهاء من التفرقة بين البيع والشراء في بعض الأحكام، فقد يحل الشراء ولا يحل البيع، كمن يريد سمادًا نجسًا؛ فإنه يحل استعماله لفائدته ولا يجوز بيعه لنجاسته؛ فإن احتاجه محتاج وامتنع المالك من بذله مجانًا فإنه يجوز للمشتري دفع الثمن لأخذه ويأثم البائع أي يحل الشراء ويحرم البيع.

* قوله: ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، ولم يقل: «يوم الجمعة» يفيد أن وجوب السعي الذي يحرم معه البيع ليس لكل صلاة في يوم الجمعة، بل لصلاة الجمعة فقط، فأتى بلفظ ﴿مِن﴾ التي تدل على التبعيض.

٤٥ - قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠)، فقال: ﴿فَانتَشِرُوا﴾ أي تفرقوا، والأمر للوجوب، فقد يستأنس به كدليل لصحة ما قاله الفقهاء من وجوب الأعمال والصناعات التي يحتاجها المسلمون على الكفاية، فيجب على المسلمين أن يوجد فيهم المهندس والطبيب والزارع والصانع، وهكذا، ولذا قال: ﴿فَانتَشِرُوا﴾ لتفرق مهام المسلمين.

٤٦ ـ قال تعالى في سورة الجمعة لائمًا من خرج من صلاة الجمعة لاستقبال تجارة والرسول يخطب: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة: ١١).

* فقوله: ﴿قَائِمًا﴾ يدل على صحة ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من وجوب قيام الخطيب يوم الجمعة إلا للمعذور كالمريض ونحوه، فيجوز له أن يخطب وهو جالس إذ القيام فعل رسولنا ﷺ، وقد قال: **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**.

* وتأمل قوله: ﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي إلى التجارة، ولم يقل: «إليه» أي إلى اللهو ولا «إليهما» أي اللهو والتجارة معًا ليدل على أن من ترك الجمعة من أجل التجارة، وهي نافعة فإنه يلام، فكيف بمن تركها من أجل اللهو الذي لا نفع فيه؟!!

* وتأمل قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فبدأ باللهو وأخر التجارة لتكون كلمة التجارة أقرب إلى قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، إذ متعلقها بالتجارة أكثر ولتكون كلمة اللهو أقرب إلى قوله: ﴿مَا عِندَ اللَّهِ﴾، إذ ما ينال عند الله في الآخرة من نعيم أقرب للمقارنة بلهو الدنيا من التجارة. وأما قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، فبدأ بالتجارة لأنَّ غالب الحال انفضاض الناس إلى التجارة أكثر ـ والله أعلم ـ.

٤٧ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لكلام الملك لملأه لما رأى الرؤيا العجيبة: ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣)، فقال: ﴿أَفْتُونِي﴾ فدل على أن تفسير الرؤيا كالفتوى، فلا يجوز لأحد أن يفسر بغير علم وبصيرة، كما أنه لا يجوز لأحد أن يفتي في الأحكام إلا بعلم.

٤٨ ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، **وقال في سورة الروم:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم: ٢١)، وفيها دليل على بطلان نكاح الجني بالآدمي إذ المباح أن تكون الزوجة من نفس جنس الزوج.

٤٩ - قال تعالى في سورة طه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه: ٥٥)، فقال: ﴿وَفِيهَا﴾، ولم يقل: «إليها»، وفيه دليل على أن السنة الحفر للميت حتى يكون في داخل الأرض وفوقه التراب لا أن يوضع مجرد وضع على ظاهر الأرض.

٥٠ - قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧)، ولم يقل: «لا يكلف نفسًا إلا وسعها»، ففيها دليل على أن الرجل لا يلزمه أن يعمل إلا العمل الذي يحصل به النفقة الواجبة الكافية لأهله وولده ولا يلزمه أن يعمل قدر وسعه.

٥١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فقال في الطاعة: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، دون التاء الزائدة لسهولة الطاعة لموافقتها لفطرة النفس ولا تحتاج إلى تكلف، وأما المعاصي فقال: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، فزاد التاء التي تدل على صعوبة المعصية لمخالفتها للفطرة، والعرب تزيد الحرف أحيانًا لتدل على الثقل والكلفة، وتنقصه لتدل على السهولة والخفة.

* وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يدل على عدم مؤاخذة العبد بالخواطر التي تأتي ولا تستقر، إذ ليست من كسب العبد.

الفصل السادس

المعاني الإيمانية في القرآن

١ - قال تعالى في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح: ٢٩).

* وهذا مثل عجيب لأمة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، فاليهود ماديون غابت عن قلوب أكثرهم المعاني القلبية، فمدح الله أمة رسولنا في التوراة بالمعاني الإيمانية كأنه يقول لليهود في أمة أحمد ﷺ ما ينقصكم، وأما النصارى فقد كان اهتمامهم بالزهد فتركوا الدنيا وأهملوها فمدح الله أمة رسولنا في الإنجيل بالزرع الحسي كأنه يقول للنصارى: سيهتم المسلمون بالدنيا ليسخروها لطاعة الله، وقد وعى المسلمون الأوائل هذا فبرزوا في العلوم المختلفة وسخروها لخدمة الدين، بينما كان الكفار في القرون الوسطى يعيشون في ظلمات الجهل فلما ترك المسلمون دينهم ونادوا بفصل الدين عن الدنيا، ذلوا وصاروا في ذيل الأمم، والله المستعان.

* ويلاحظ أن الله ضرب مثلاً للمسلمين بالزرع لعموم نفع الزرع لكل المخلوقات، كما أن الإسلام خيره وبركته ونفعه لكل المخلوقات فهو خير للمسلمين والكفار معًا، والتاريخ يشهد بهذا فلن ينعم الكفار بحياة أفضل من تلك التي يعيشونها تحت سيادة الإسلام وحكمه.

٢ . قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، فإخلاف الله يشمل إخلافه بالمال لمن أنفقه في سبيل الله، وكذا إخلاف حلاوة الإيمان لمن ترك الشهوات والمعاصي، وكذا المباركة في الوقت لمن بذل حياته لله ولدينه وللدعوة إليه، وكذا من أنفق علمه زاده الله علمًا فالعلم يزكوا بالإنفاق.

* وتأمل قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ ولم يقل: «شيئًا» ليتضمن المباركة والإخلاف لكل نفقة ولو صغرت فمن استطاع أن يبذل مالاً أو وقتًا للدين أو علمًا ولو قل فليبذل فالله يبارك له.

٣ . قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، ففي هذه الآية دعوة للتأمل في النفس وما فيها من آيات عظيمة تدل على قدرة الله وإلهيته فمثلاً درجة حرارة الكبد لا تقل في الظروف الطبيعية عن ٤٠° مئوية والعين لا تزيد عن ١٠° مئوية، وكلاهما في جسد واحد ومع ذلك لا تنتقل الحرارة من الكبد إلى العين ليتساويا، كما هو معلوم عند أهل الفيزيقيا وهو ما يعرف باستطراق الحرارة أي انتقالها من المكان الأعلى إلى المكان الأقل، ثم العجيب كون درجة حرارة الجسم كله ٣٧,٥° مئوية، فسبحان ربي العظيم، ثم لينظر المرء في كيفية تذوقه للأطعمة المختلفة، وكيفية شمه، وكيفية هضمه وكيفية إخراجه، وكيفية تنفسه، وكيفية دورة القلب، كل ذلك في نظام بديع بل كيفية حركة أعضائه، ونحن نشاهد (البلدوزر) كيف يحرك الزر المعين لترتفع الآلة الممسكة فيه، ثم يحرك زرًا آخر ليقدم هذه الآلة للأمام، ثم يحرك ثالثًا ليمسك بالشيء، ثم يحرك رابعًا ليرجع، ثم خامسًا لينزله، وأما الإنسان فيمد يده بمنتهى السهولة ليمسك بالشيء ثم يضعه في أي مكان، فسبحان الخلاق العليم.

٤ ـ قال تعالى في سورة القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:١)، وهي معجزة كونية لرسولنا ﷺ حيث سأله المشركون آية معجزة فأشار إلى القمر فانفلق نصفين، ثم أشار إليه فانضم كل جزء إلى الآخر، وقد أثبتها العلم الحديث، فقد عقد مؤتمر تليفزيوني مع أحد علماء الفضاء في أمريكا فسأله أحد الحاضرين هناك: ما بالكم تنفقون البلايين من الأموال من أجل الصعود إلى الفضاء ولا فائدة في ذلك؟ فأجابه بأننا قد اكتشفنا حقائق مذهلة، إذ وجدنا على سطح القمر كتلة صخرية مختلفة في منتصف القمر، فأخذنا جزءًا من هذه القطعة وجزءًا من بقية صخرة القمر وبعد التحاليل اكتشفنا أنها كتلة تكونت نتيجة التحام حدث في القمر فكأنه انفلق ثم التحم، فقام أحد الجالسين في المؤتمر وقال: عندنا في القرآن ما يثبت هذا، فعجب السائل كيف سخر الله أموال أمريكا الطائلة لتكشف عن صدق أخبار القرآن فأسلم الرجل، فسبحان من يظهر دلائل صدق الإسلام على مدى العصور والدهور ولو على أيدي الكفار أنفسهم.

٥ ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨)، فالعلماء هم الربانيون الذين يتعلمون العلم الشرعي ويعلمونه للناس ويدخل فيها كذلك العلماء بالعلوم الدنيوية إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، فهم أعلم الناس بقدرة الله وبديع صنعه، فياليت علماء المسلمين بالشرع يأخذون من علوم الدنيا ما يدللون به على صدق رسولهم وعظمة ربهم، وهذا المبحث له شجون ولكن سأقتصر هاهنا على مثالين ثبتا حديثًا يدلان على عظمة الإسلام:

(أ) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: «إن رسول الله قد نهى عن أكل هاتين الشجرتين الخبيثتين المنتنتين ـ أي الثوم والبصل ـ فمن أكلهما فليمتهما طبخًا»، وهو حديث عام في أوقات الصلاة وغيرها، وكم كنت أعجب من قول بعض الأطباء بنفع أكل الثوم على الريق يوميًا إلى أن

ظهر هذا البحث الطبي الحديث الذي يفيد ضرر أكل الثوم والبصل نيئين لما فيهما من المواد الضارة بل في البحث تحذير لنحوامل من تقطيع البصل إذ ربما أثر ذلك على الجنين فيسبب له نقص إفراز الغدة المسماة thyroid gland كما أن الثوم يتحول في المعدة إلى مادة لا نفع فيها لو أكل نيئًا فإذا طبخ زالت هذه المادة فسبحان من هذا شرعه.

(ب) في الحديث الصحيح: «نهى رسول الله ﷺ عن السمر بعد العشاء»، فثبت طبيًا كون المواد التي تمنع ارتفاع الضغط واضطراب القلب كالكورتيزون وغيره تقل جدًا بعد العشاء، فربما تسامر رجلان فأغضب أحدهما الآخر فلا يجد في جسمه ما يضاد ارتفاع ضغطه ودمه فتنشيء الأزمات القلبية والأمراض الخطيرة، ثم وجدوا كذلك زيادة هرمونات النشاط زيادة مفاجئة ما بين الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة وهو وقت السحر والفجر، فالجسم مخلوق بطبعه لينبه صاحبه إلى صلاة الفجر، فإنما خلقنا للعبادة فسبحان الله العظيم.

٦ - قال تعالى في سورة مريم عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ (مريم: ٢١)، فمريم - عليها السلام - استعجبت من وجود ولد لها وهي غير متزوجة فقال لها جبريل: هكذا أراد الله وهذا عليه سهل يسير وسيكون ابنك عيسى آية للناس ورحمة لهم من عند الله، وهكذا كان وسيكون، إذ سينزل في آخر الزمان كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فيقتل الدجال الذي عاث في الأرض شركًا وفسادًا فيُرحم الناس من شره، ثم يظهر يأجوج ومأجوج فيلجأ عيسى إلى الله ويدعوه بهلاكهم فيستجيب الله له ويهلكهم فيرحم الناس من شرهم، ثم يحكم الأرض كلها بشرع الله ولا يبقي على الأرض كافرًا كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة حتى يلعب الصبي

بالحية لا تؤذيه، ويمشي الذئب بجوار الغنم يحرسها، ويمشي الأسد في الطريق لا يؤذي الناس، فأي رحمة هذه!!

إخواني.. ليل الشرك قصير زائل.. ونهار التوحيد آت لا محالة.. فأبشروا والله خيرًا.

٧ - قال تعالى نقلاً لدعاء زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم:٤)، ومعناه أنه يدعوا ربه بالولد ويلجأ إليه بتحقيق طلبه وسائقه إلى هذا أنه قد ذاق حلاوة الدعاء وبركته من قبل، فما شقي ولا تعب بسبب دعائه فهو يقول: «لم أكن شقيًا من قبل بسبب دعائك يا رب»، قلتُ: ومن عرف ضعف حيلته وقدرة ربه وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله فأدمن الدعاء من عرف ذلك ذاق من الحلاوة والمعارف الشيء الكثير وربما منع الله عبده التوفيق للطاعة حتى يدعوا ويتضرع قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ (الأنعام:٤٣)، وقد تكلمت باستفاضة ولله الحمد عن الدعاء في كتاب (وظائف الأيام).

فائدة: وأذكر أني صليت خلف أحد العارفين بالله - نحسبه كذلك والله حسيبه - فقرأ هذه الآية فبكى فعجبت ما الذي يبكيه حتى تفكرت فيها فعرفت ما الذي أبكاه، والله الموفق.

٨ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران:١٢٣)، فجعل غاية التقوى شكر الله، فدل على أهمية الشكر وهو نوعان: شكر على النعماء، وشكر على البلاء، فأما شكر النعماء فهو استغلال المال في طاعة الله، وفي الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة»، وأما الشكر على البلاء فهو أن يرضى العبد

بالمصيبة ويشكر الله عليها كما يشكره على النعمة، وإنما يعين العبد على ذلك علمه بسيئاته وبأنها لا تكفر بغير البلاء، ثم باستحضاره لكون البلاء في دنياه وليس في دينه، وكذا بنظره لمن كان بلاؤه أشد منه فيشكر الله على كونه أخف من غيره.

* وكمال الشكر أن يتفكر العبد في كل نعم الله عليه، فيشكرها نعمة نعمة فإذا أيقن ألا قدرة له على توفية الله حق شكره فهذا هو كمال الشكر.

٩ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، فأمر بالمسارعة في أمور الآخرة، وأما أمور الدنيا فقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾** (الملك: ١٥)، فأمر بالمشي إذ يكفي في الدنيا حصول العبد على ما يغنيه عن الناس.

* وتأمل قوله: **﴿من ربكم﴾** ولم يقل: «من إلهكم» إذ الرب هو الذي خلقكم ويعلم ضعفكم البشري الذي يقتضي وجود الذنوب لا محالة، والرب كذلك هو الذي رباكم ويحب لكم الخير ولذا شرع لكم التوبة التي يحبها ويفرح بها.

١٠ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، فقوله: **﴿لِذُنُوبِهِمْ﴾** يدل على وجود استغفار من أشياء أخرى غير الذنوب وهو استغفار العارفين والمحسنين إذ يستغفرون من فعل المكروه وخلاف الأولى، بل يستغفر الأنبياء من نسيانهم وخطأهم الذي فعلوه عن غير عمد.

١١ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وكذلك كثر التعبير عن العذاب بالذوق، فقال تعالى: **﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾** (يونس: ٥٢)،

وهذا من دقة التعبير إذ بين عذاب الله والموت والشيء المذاق عدة أوجه للتشابه فمنها:

(أ) أن الشيء الذي يمكن تذوقه لا يعرف عين طعمه إلا بمباشرة تذوقه، وكذلك الموت والعذاب فمهما وصفهما الواصف فإن حقيقة هولهما لا تعرف إلا بالمباشرة.

(ب) أن النفس إذا تذوقت شيئًا فاستقبحته نفرت منه، ولم ترد أن تكمله وكذا الموت والعذاب فإن النفس إذا نزلا بها حاولت الفرار، فأما الموت فيطمأن الله المؤمن ويثبته بينما يضل الكافر، وأما العذاب فمجرد غمسة فيه كما في الحديث الصحيح تنسي العبد كل نعيم الدنيا.

(جـ) أن الشيء المذاق إذا طعمه الإنسان وكان ضارًا كالسم فإن الضرر يعود على الجسد كله، وكذا الموت فإن ألمه يشمل كل الجسد ومثله العذاب فإنه لكل البدن، والعياذ بالله.

١٢ - قال في سورة الشعراء نقلاً لقول إبراهيم ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢)، فتأمل قوله: ﴿أَطْمَعُ﴾؛ فمن شدة خوفه لربه وتعظيمه له عدَّ الطلب للجنة والمغفرة طمعًا لا يستحقه، مع أنه هو أفضل البشر بعد محمد ﷺ فكيف بغيره؟!

١٣ - قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥١-٥٢)، أي مهمتك يا محمد تحتاج إلى عدة رسل ليقوموا بها ولكن أفردناك وحدك ليكثر ثوابك وليزداد اجتهادك، إذ علم الداعية بأن الهموم عليه وحده لا يقوم بها غيره يزيد من اجتهاده وهذا هو المشاهد فمع قلة أعداد الدعاة كانت الهمم عالية لعلمهم بعظم المسئولية ولكن مع زيادة أعدادهم قلت الهمم وتضاءلت، والله المستعان.

إخواني.. عليكم ألقيت أعباء ثقال.. فقوموا بها وأنتم الرجال.. اصطفاء الله مسئولية.. فعجبًا لمن جعله سببًا للدلال.. (العجب والراحة).. أما سمعتم بعبد لم ينم يومين خشية الغرق.. فما بالكم تتركون الأمم مهددةً بالحرق (النار).. أركنتم إلى الدنيا الفانية.. أنسيتم الآخرة الباقية.. فأين النفوس الواعية!!

١٤ - قال تعالى في سورة الفرقان نقلاً لقول المشركين عن رسول الله ﷺ: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: ٤٢)، فانظروا كيف صبروا على كفرهم وباطلهم!!

إخواني.. أما تستحون من الرحمن.. يصبر السارق على السجن ولا يترك سرقته.. وأنتم تتركون الطاعة.. ولا تعرفون لله نعمته.. ابتلاؤكم لتزدادوا أجرًا.. فازدادوا بالله صبرًا.. إن تركتم الطريق.. فمن للعاصي الغريق.. فالصبر الصبر يا مبتدئين.. والفرح الفرح يا متوسطين.. والفرح الكامل يا عارفين..

١٥ - قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، فبعثة الرسول للعالم كله إنسه وجنه، عربه وعجمه، فمن زعم أنه بعث للعرب فقط فهو خالد مخلد في النار، ففي الحديث الصحيح: **«كان الرسول يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**، فدعوتنا عالمية.

إخواني.. أنتم أحق بالعالمية من أمريكا واليهود.. فرسولكم سيد ولد آدم ولا فخر، وأبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة بعد الأنبياء ولا فخر، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ولا فخر، وفاطمة سيدة نساء العالمين، وكل هؤلاء من أمتنا بحمد الله.. ما صحب الأنبياء مثل صحابة أمتكم.. ولا تبعهم

مثل تابعي أمتكم ففي الحديث: «أفضل التابعين رجل يقال له أويس القرني» (رواه مسلم).. وأئمتكم أفضل الأئمة.. فهل في الأمم مثل الشافعي وأحمد الهمام.. أم هل فيها كأبي حنيفة ومالك الإمام.. وهل عرفت الأمم مثل وعظ الحنبليين (أي ابن رجب وابن الجوزي).. أم هل فيها مثل معروف السفيانيين (الثوري وابن عيينة).. فقوموا بدعوتكم خير قيام.. أروا الله همتكم.. ولا تهملوا فالعصاة في ذمتكم..

١٦ ـ قال تعالى في سورة الشعراء لرسوله ﷺ: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** (الشعراء: ٢١٧-٢١٨)، فأمر رسولنا بالتوكل وذكر شروط نفعه سواء شروط المتوكل وهي طاعته لله وشدة افتقاره إليه وأظهر ما يكون ذلك في السجود فكلما افتقر العبد لربه كلما كان توكله عليه أكمل، وأما صفات المتوكل عليه فهي كمال رحمته وكمال قدرته فلا يعز عليه شيء ولا يتحقق هذا إلا في الله العزيز الرحيم.

١٧ ـ قال تعالى في سورة الفرقان: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾** (الفرقان: ٤٥-٤٦)، يخبر سبحانه عن مدَّ الظل وهو جعله ممدودًا من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم بظهور الشمس يقل الظل شيئًا فشيئًا حتى يختفي تمامًا ثم بعد الزوال يرجع في الظهور شيئًا فشيئًا مع قلة حرارة الشمس واتجاهها للغروب والاختفاء، ولو شاء الله لجعل الظل مستقرًا لا تنسخه الشمس، ولكن جعل وجود الشمس ناسخًا له، ودليلاً على وجود الظل من قبل نسخ الشمس له، إذ الشيء يعرف بضده فلولا الشمس ما عرف الظل ولولا الليل ما عرف النهار ومن رحمة الله أن جعل اختفاء الظل وظهور الحرارة تدريجيًا فهو قبض يمضي ويسير شيئًا فشيئًا لئلا يفاجيء الناس بالحرارة العالية الموجودة عند الزوال مرة واحدة ولئلا ينعدم الظل

عنهم فجأة، والذي يظهر والله أعلم، أن هذا إشارة لعلاقة التوحيد بالشرك فهدوء الظل وبرده هو التوحيد، وحرارة الشمس وحرها هو رمز الشرك وهكذا كان الأمر فقد كانت العرب كلها على التوحيد، وكان التوحيد مستقرًا فيهم كاستقرار الظل قبل طلوع الشمس، ثم ظهرت حرارة الشرك المكروهة شيئًا فشيئًا، ومع ظهورها أخذ التوحيد يقل شيئًا فشيئًا حتى إذا انعدم التوحيد إلا نزرًا يسيرًا كما يكون من الظل عند الزوال جاء رسولنا فأخذ التوحيد يزداد شيئًا فشيئًا كزيادة الظل حتى اكتمل التوحيد وغابت حرارة الشرك بغروب الشمس، فوجود الشرك دليل على التوحيد، إذ لا يعرف التوحيد إلا بوجود الشرك، ولو شاء الله لجعل التوحيد مستقرًا استقرارًا لا يزول ولكن قدر ألا يكون هذا، فكما ستأتي الشمس وتظهر بحرارتها ويغيب الظل، فكذلك بعد دعوتك يا محمد واستقرار التوحيد سيأتي الشرك فيسود شيئًا فشيئًا كما هو الحال مع غيرك من الرسل، ولذا إذا اكتمل التوحيد في عهد عيسى عليه السلام في آخر الزمان وكان الناس كلهم على الإسلام بدأ الدين ينقص من بعده شيئًا فشيئًا حتى تعبد اللات والعزى كما أخبر رسولنا صلى الله عليه وسلم.

١٨ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٦١)، فإذا كانت الحبة المخلوقة لله إذا وضعت في الأرض المخلوقة أنبتت سبعمائة حبة، فكيف تكون مضاعفة الله لعمل المؤمن؟؟ ولذا قال بعدها: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾، أي أكثر من سبعمائة ضعف، فسبحان الكريم.

١٩ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨)، فكما أن الأرض الطيبة ينبت فيها النبات بإذن الله، فكذلك القلب الطيب ينبت فيه الإيمان بإذن الله،

وكذلك القلب الخبيث لا ينبت فيه الإيمان بل ينبت فيه النبت الرديء كالشوك، وكما أن الزارع إنما يضع البذر ونزول المطر ونبات النبات بإذن الله، كذلك العبد يضع في قلبه بذرة الخير أو بذرة الشر، وكما أن الزرع يحتاج إلى رعاية وتعاهد كذلك العبد لو تعاهد قلبه بالعمل الصالح أو تمادى واستشرى في الباطل والعمل الطالح فلا يقولنَّ الكافر وما ذنبي وقد خلق الله قلبي خبيثًا؟ فإنه يقال له: أنت الذي وضعت فيه البذر الخبيث ونميت الزرع وزدته وكذا لا يعجبن طائع بطاعته فالله هو الذي ينبت الإيمان في قلبه وينزل مطر الهداية عليه فما أجمل بيان القرآن لعقيدة القضاء والقدر، وكما صرف الله الآيات في بيان عقيدة القضاء والقدر صرف الآيات في مسائل الاعتقاد الأخرى ولذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ فلِمَ لا يشكر الناس ربهم؟!

٢٠ ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢)، أي لا يكن عندك حرج في تبليغ ما يتضايق منه الناس وذلك لأن الداعية المحب لهداية الناس قد يظن أنه لو بلغ بعض الحق لربما نفر منه الناس لما فيه من صراحة عداوة الكفار فتحدثه نفسه بالمداهنة لئلا ينفر عنه الكفار، وكذا بعض حديثي الالتزام يخشى عليهم لو أعلمهم بحقيقة الطريق إلى الله وبكونه قد ملئ بالأشواك فتحدثه نفسه بأن يصف لهم الطريق ورديًا آمنًا فعلم الله نبيه في بداية طريق دعوته أن الحق هو الذي ينبغي تبليغه وهو الذي من شأنه أن يجمع القلوب ويثبتها ولو ظهر للناظر غير ذلك لئلا تنشأ العصابة المؤمنة مزعزعة لا مبدأ لها كما صار البعض فصاروا يتلونون كالحرباء على حسب وسطهم فكانت الأفراد ـ إلا من رحم الله ـ مهزوزة بجانب ضياع المدعوين في ظل هذا التلون، فلو قيل للكفار: أنتم على الحق مثلنا، فإنهم لن يفكروا في الإسلام فتضيع عليهم حلاوة الإسلام، بعكس ما لو أخبروا بضلالهم لربما فكروا في اعتناقه فيسعدوا في الدنيا والآخرة.

* وكذا يخاطب بهذه الآية من يترك بعض الآداب الإسلامية من لحية وتقصير ثياب، ونقاب وغيرها، خشية أن يغرب على الناس فيقال له لا تكن في حرج من تعاليم دينك الكريم.

٢١ - قال تعالى في سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ (الغاشية: ٨-١٤)، فقوله: ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ يفيد عدة معاني:

(أ) أن الأكواب إذا شرب منها لم يشرب منها ثانية على عادة الملوك فهي أكواب كثيرة موضوعة لا يغسل ما استعمل فيستعمل ثانية بل يستعمل كوب آخر.

(ب) أنها موضوعة على الدوام فإذا شرب المرء منها ملئت لتوها أو وجد غيرها.

(جـ) أنها موضوعة أمام المرء مليئة بالعصائر والمشروبات التي لا مثيل لها فمتى شاء شرب ومتى شاء ترك لا ينقطع عنه أبدًا فكم تساوي الدنيا حتى يترك العبد الآخرة من أجلها؟!

٢٢ - قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥)، وقال في سورة النازعات: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ (النازعات: ٣٥)، وقال في سورة التكوير: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١٤)، فاستعمل فيها كل كلمة (ما) وهي تأتي بمعنى (الذي) وتأتي بمعنى النفي أيضًا ولا مانع من حمل الآية على كلا المعنيين فلا تعارض بينهما فيوم القيامة تعلم كل نفس الذي عملته في الدنيا وأحضرته معها وتعلم كذلك الذي قدمته من عمل والذي أخرته ويحمل كذلك المعنى على النفي، فقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾، أي يتذكر أنه ما سعى في الصالحات في الدنيا حتى من أطاع فإنه يندم إذ ما سعى حق السعي فيالها من

آية قاصمة لظهور المعجبين بأعمالهم!! ويحمل قوله تعالى: ﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، على أن النفس تندم إذ ما أطاعت وسوفت بالطاعة وأخرتها حتى ماتت قبل العمل، فيا لها من آية شديدة على من سوف بالمستحبات حتى مات ولم يعملها!! وكذا يقال في قوله تعالى: ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾، فيحمل على النفي أيضًا.

٢٣ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾ (آل عمران: ٢١-٢٢)، وفيها من الكنوز الإيمانية ما الله به عليم، فالله المستعان على فهم القرآن وتدبره حق التدبر.. فالآية تنعي على الذين يحاربون دين الله وأولياءه ويصدون الناس عن اتباع الحق فتهددهم بحبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة، وذلك لأن أولياء الله يعملون الخير ويحثون الناس على الطاعة فالمظنون استنكار الناس جميعًا لقتلهم وتعذيبهم، ثم إن بعض الظالمين قد تدعوه نفسه إلى عمل الخير إسكاتًا لوازع الخير فيها وتعويضًا لإثم محاربة الأولياء، فسلك الظالمون مسلكين: أحدهما تشويه صورة الأولياء بأنهم إرهابيون ينازعون على الدنيا والملك لا غرض لهم غير ذلك، والثاني أخذ بعضهم يتصدق ويعتمر ويظهر صلاته أمام الناس ليرضوا عنه وربما ليرضي الوازع الديني في نفسه فأخبر سبحانه بأن عملهم حابط الثواب في الآخرة، وكذا حابط في الدنيا، فلن يخدع الناس بصلاتهم وعمرتهم ولن يصدق الناس ما يقولون عن الأولياء، وكما كانوا يتفاخرون بأنهم ممكنون ويهددون الأولياء بأنهم لن ينتصروا كان جزاؤهم يوم القيامة ألا ناصر لهم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿**يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ**﴾ قدم الكفر ليدل على أنهم في الحقيقة ما تجرؤا على محاربة الدين إلا لكفرهم بآيات الله التي تخبر بتمكين المؤمنين ولو بعد حين، وكذا التي تخبر بنصر الله لجنده الصالحين.

٢٤ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢)، أي للرجال ثواب أعمالهم الصالحة التي اكتسبوها وللنساء كذلك نصيب أعمالهن التي اكتسبنها فإن قيل: ولِمَ قال: ﴿اكْتَسَبُوا﴾، ﴿اكْتَسَبْنَ﴾ ولم يقل: «كسبوا»، «كسبن»؟ قلت: لأن الآية نزلت لما سألت النساء رسول الله ﷺ عن ثواب جهاد الرجال واستشهادهم وهنَّ لا يجاهدن، فقيل لهن: لكنَّ أعمال شاقة أخرى كالحمل والولادة وتربية الأولاد، ولما كان الجهاد شاقًا والحمل والولادة شاقين أتى الأسلوب القرآني العظيم بالفعل المزيد بالهمز والتاء؛ إذ الفعل المزيد يدل على وجود مشقة.

* قوله: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾، أي سلوه قبول العمل فربما أحسنت امرأة تربية ولدها حتى خرج مجاهدًا أو عالمًا فكانت خيرًا من مئات الرجال، وإلا فمن التي ربت صلاح الدين أليست أمه؟ ومن التي ربت أحمد بن حنبل والشافعي لما مات أبوهما صغيرين؟ ثم تأمل قوله: ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ ليدل على أن قبول العمل هو فضل الله ومنته فلا داعٍ للعجب به.

* قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، أي وهيئ كل مخلوق لما أمره به وأمره بما هيئ له وفيها أعظم الرد على الجهلة الذين يطالبون بتسوية النساء بالرجال زاعمين أنهن مثلهم فها هو خالق الذكر والأنثى يخبرنا بتفضيله للرجال وتهيئته لكل واحدٍ منهما تهيئة خاصة به.

٢٥ـ قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ولم يقل: «والعلماء» بل قال: ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، ليعلم كل فقيه وعالم أن العلم إنما هو هبة الله له فليقم بحقه من تعليم للناس وعمل به

ومزيد اطلاع وبحث وتعلم فإن الواهب متى وجد الموهوب لا يقوم بحق الهبة أو يبخل بها على الناس منعه منها، وكذا فليعرفوا شرف العلم فإنما هو هبة الله والهبة تشرف بشرف الواهب، فليحذروا أن يبيعوا هبة الله من أجل الدنيا.

٢٦ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران:٣٨-٣٩)، فكأن الله هو الذي اختار ليحيى عليه السلام اسمه، والواحد منا يسمى ابنه باسم طيب المعنى رجاء تحققه فيه كمن يسمي ابنه (عادل) رجاء أن يكون عادلاً في حكمه، وكمن يسمي ابنه (يحيى) رجاء أن يطول عمره، ولكن قد لا يريد الله تحقق مراد الأب، فينشئ الولد على خلاف ما أمل أبوه فإذا سمَّى الله ولدًا بأنه (يحيى) فهل يرد مراد الله راد؟ فكان اللازم ألا يموت يحيى عليه السلام لأن من سماه الله بيحيى لا يتصور موته فكان على زكريا أن يعرف من تسمية الله ليحيى بهذا أنه سيموت شهيدًا عليه السلام إذ الشهيد هو المخلوق الوحيد الذي لا يعد موته موتًا، وقد كان فقد قتل يحيى عليه السلام شهيدًا، أفاد هذا الشعراوي ـ رحمه الله ـ وهو كلام بديع جدًا.

٢٧ـ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء:٤٨)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة:١٥)، فسمى التوراة ضياءً وسمى القرآن نورًا، وفي هذا دقة إذ الضياء نور مع إحراق وشدة حرارة، وأما النور فهو نور دون إحراق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس:٥)، فلما كانت أحكام التوراة فيها مشقة وآصار وأغلال سميت بالضياء بينما أحكام القرآن لا شدة فيها ولا إصر فسميت بالنور.

٢٨ـ قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ

فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً﴾ (النساء: ٦)، وفيها عدة معانٍ عظيمة:

(أ) قوله تعالى: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ ولم يقل: «فإن رأيتم» لأن الأنس يقتضي أموراً:

١ - يقتضي الرؤية عن بعد كما نقل تعالى قول موسى: ﴿إني آنست ناراً﴾ (القصص: ٢٩) أي رأيتها عن بعد، فكذلك يرشد سبحانه إلى أنّ أمارات الرشد كافية وقد تظهر عند أول بلوغه، وأما كمال الرشد فإنه يأتي مع الخوض في معارك الحياة ومشاكلها وهذا لم يتحقق بعد.

٢ - الأنس يقتضي السعادة وأيضاً طلب المستأنس لها، وكذلك المؤمن يرى حمل كفالة اليتيم عبئاً على كاهله ويتحرى أن يسلم المال إليه إذ هو أمانة وليس كبقية الأمانات بل هي من أثقل الأمانات فإذا رأى الكافل رشد اليتيم سعد بأدائه لمهمته وإرجاع الحق إلى أهله.

(ب) قوله تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ ولم يقل: «فليعف» أتى بزيادة (السين والتاء) في الفعل التي تدل على التكلف، وهذا التكلف مطلوب في أمرين:

١. يتكلف الغني ترك أكل أي شيء من مال الصبي ولو هدية لأنه غني، ولا يحتاج خشية أن يكون إثابةً على ما عمله لله.
٢. أن الغني يرى المال تحت يده وربما طمعت نفسه فيه وربما وجد لنفسه مبررات كثيرة ولذا يحتاج ترك أخذه لشيء إلى مزيد تكلف ومشقة عليه.

(جـ) قوله تعالى: ﴿وكفى بالله حسيباً﴾، هذا مناسبٌ جداً هاهنا، إذ الولي لمال اليتيم لا يكاد يستطيع أن يأخذ من عين المال لعلم معظم المحيطين به بمقداره؛ ولكن قد يأخذ من المال بعد كسبه وربحه ويقول لنفسه لن يعلم أحدٌ بمقدار كسبي، فقيل له الله يحسب ويعلم المقدار الذي كسب المال.

٢٩ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، وهي آية عظيمة فيها عدة فوائد:

١ - قوله: ﴿وَوَهَبْنَا﴾ ولم يقل: «فوهبنا» لأن الدعاء بالولد لم يكن لذات الولد ولكن كان لمصلحة الدين فطلبه الولد من أجل قيادته لبني إسرائيل من بعده بشرع الله.

٢ - قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ ولم يقل: «فأصلحنا» ليدل على أن صلاحها قصد منه غير صلاح الولادة إذ العطف يقتضي المغايرة فكأن أمَّ يحيى كان في خلقها بعض الشيء فأصلح الله حالها.

٣ - قوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ولم يقل: «إلى» ليدل على أنهم ينتقلون من طاعة إلى طاعة لا يعرفون غيرها كما يقال: «جرى فلان في المدرسة» أي من فصل إلى فصل داخلها.

٤ - قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، قدم الرجاء على الخوف وهكذا ينبغي أن يكون الداعي على أمل في الاستجابة أكثر من خوفه من الرد - نعم - يجمع الخوف مع الرجاء ولكن يحسن الظن بالله.

٥ - قوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، وهكذا العارف عندما تأتيه الكرامة ويستجاب دعاؤه فلا يفرح فرح المعجبين بل يخشع ويتواضع ويفرح فرح الشاكرين.

فائدة: يلاحظ أن زكريا لم يتزوج على امرأته لتنجب له، بل صبر عليها، وكذا إبراهيم - عليهما السلام -، فليس يستحب لكل من عقمت زوجته أن يتزوجها عليها مطلقًا، فربما كانت زوجته متعلقة القلب به جدًا بحيث لو تزوج عليها لفتنت في دينها، وقد أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل لما

أسلمت على فاطمة فرفض رسول الله ﷺ وقال: «إني أخاف أن تفتن ابنتي في دينها»، فليكن هذا هو مقياس الزوج، هل ستفتن زوجته في دينها أم ستحزن كبقية النساء وفقط؟، وربما لو تزوج وأنجب لأرهق طغيانًا وكفرًا بولده ـ نعم ـ يُستحب الزواج ليكثر نسل المسلمين، ويستحب لها شرعًا أن تغلب حكم الشرع على حكم الطبع وترضى وكثير من النساء بحمد الله إذا لم تنجب توافق زوجها على الزواج، فإن لم توافق زوجها، وكان في الزواج مصلحة له أكبر فيستحب له الزواج طالما لن تفتن في دينها، وعلى كلٍ فالمؤمن كيس فطن يعرف متى يكون الأصلح أن يتزوج على زوجته العاقر، ومتى يكون الأصلح ترك ذلك.

٣٠ـ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ولم يقل: «أربابًا» كأن فساد الكون بتعدد الآلهة المشرعين أظهر وأشد من فساده بتعدد الأرباب الخالقين فتبًا لمن وضع مناهج تخالف شريعة الله أما يعلم فساد الكون بسببها؟! وعجبًا لمن طلب صلاحًا في ظل منهج غير شرع الله فباطلاً ما يزعمون وسعيًا خائبًا ما يفعلون!!

* قال تعالى في سورة الأنبياء: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾** (الأنبياء: ١٨)، فشبه نزول الحق على الباطل بنزول قذيفة على دماغ العدو فتدمغه (تشق دماغه) فيموت وذلك لوجود أوجه للتشابه:

(أ) أن القذيفة تقتضي وجود قوة في المقذوف حتى يستحق إرسال القذيفة وتقتضي كذلك مفاجأة وقوة من القاذف، وهكذا الأمر فمهما كان الباطل قويًا في الظاهر فإن الحق آتٍ بالقوة ليفاجئ أهل الباطل والناس جميعًا بالنصر المبين.

(ب) أن ضربة الدماغ لا تبقي حياة في المضروب، كذلك أدلة الحق تأتي على الباطل فتدحضه.

فائدة: تأمل قوله تعالى: ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ولم يقل: «فيزهق» ليدل على أن الباطل كان ميتًا أصلاً ولكنه يظهر للناس قويًا، فإذا أتت أدلة الحق دمغته، فتظهر حقيقته ولذا قال: ﴿فَإِذَا هُوَ﴾، أي فيظهر على حقيقته ويتبين للكل أمره، وأما لو قال: «فتزهق» لدل على أنه كان حيًا ثم زهق وما كانت ولن تكون للباطل حياة حقيقية، فسبحان من هذا كلامه.

٣١ - قال تعالى في سورة طه: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طه:١٣٥)، العطف يدل على التغاير، فالصراط السوي هو المنهج الصحيح والاهتداء هو العمل بالصراط ففي هذه الآية العظيمة نعيٌ على كل من اتبع السلف ولم يعمل بمنهجهم - نعم - طريقه هو الحق وصراطه سوي، ولكن لابد من اهتدائه واتباعه فالسلفية عمل وليست قولاً.

٣٢ - قال تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (طه:١٣١)، شبه الدنيا بزهرة ووجه التشابه:

(أ) أن الزهرة حلوة المنظر تبهج النفس وتدعوا من رآها من بعيد إلى أن يأتي إليها ليشم ريحها كذلك الدنيا تغر الناس وتدعوا من كان بعيدًا عنها ليقترب منها.

(ب) أن الزهرة لو تركت في مكانها دون تغيير لتمتع الناس بها جميعًا فترة أكبر فتكون الفائدة لهم كلهم فإذا اكتنزها البعض وخلعها من مكانها تمتع هو بها ثم تذبل، وكذلك الدنيا لو أحسن الناس استغلالها دون أن يغيروا ما أمر الله به لتمتع بها الناس جميعًا، ولكن إذا طمع فيها البعض واكتنزها أفسد على نفسه وأفسد على غيره.

(جـ) أن الزهرة تجذب بلونها ولكن جـذبها بريحها أشد ولا يعـرف ريحها إلا من اقترب فشـمها، فكذلك الدنيا تجذب الناس بزخـرفها الظاهر، ولكن لا ينخرط وراءها ويغتر بها إلا من اقترب منهـا فمن أراد السلامة فلا يقترب منها قدر المستطاع.

(د) أن الزهرة يأتي عليهـا وقت فتذبل وتصـير لا قيمـة لها ويزهد الناس فيها جـميعًا، فكذلك الدنيا يأتي عليهـا وقت فيزهد الناس جميعًا فـيها بعد أن كانوا مغترين بها.

(هـ) أن الزهور مختلفة الألوان والعبير وكذلك شـهوات الدنيا متنوعة وكثيرة وكما يتفاوت الناس في ما يحبون من أزهار كذلك فيما يحبون من شهوات الدنيا.

٣٣ـ قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم: ٥٤-٥٥)، فدل على أن العـبد الآمر لأهله بالمعـروف والناهي عن المنكر لابد أن يكون عند ربه مرضيًا فيـأمر أهله بالخير ويعمله، وينهاهم عن الشر ويتركـه، فامتثال ولي الأمر تقوية لأمره ونهيه.

٣٤ـ قال تعالى في سورة المعارج: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ (المعارج: ٢٧)، ولم يقل: «إلهـهم» ليدل عـلى أنهم يستـحقـون العـذاب إذ الرب هو خالقـهم والصانع لشيء لا يفسده إلا لو استحق ذلك.

* وفيـها كذلك تخويف إذ الرب هو الخـالق العالم بخبـايا النفوس التي لا يعلمهـا غيره، فربما ظـهر للمرء صدق نفـسه وإخلاصـها وهو في الحقيـقة من المرائين، ولا يعلم ذلك إلا الرب فما أخوفها من آية!!

٣٥ - قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (فاطر: ١٢)، وفي الآية عدة معانٍ إيمانية فمنها:

(أ) أن عذوبة النهر لا تعرف إلا بوجود ملوحة، وكذلك الإيمان لا يعرف بغير وجود الكفر.

(ب) ملوحة الماء تحفظ حياة الكائنات، فكذلك ملوحة الكفر تحفظ قوة الإيمان في قلوب المؤمنين فكلما ازداد الكفر كلما ازداد إيمان المؤمنين لزيادة صبرهم ورجاءهم وتوكلهم وثقتهم بالله ويأسهم من أنفسهم وغيرها من العبادات القلبية.

(جـ) لو خرج السمك الطري من الماء العذب فقط لربما ظن ظان أن القدرة الإلهية تعجز عن إخراجه من الماء المالح طريًا، فلما خرج من الماء المالح طريًا كان أدل على القدرة، وكذا خروج المؤمن من صلب الكافر وظهور الإيمان في بلاد الكفر أدل على القدرة.

٣٦ - قال تعالى في سورة سبأ عن أهل سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: ٢٠)، وفيها دلالة لصحة قول مشايخنا - مشايخ الدعوة - بارك الله فيهم بضرورة العمل الجماعي بين المؤمنين ليحققوا النصر والتمكين فقوله: ﴿فَرِيقًا﴾ يدل على ذلك إذ الفريق هو الجماعة التي تجتمع على عمل معين، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون وفي الحديث الصحيح: **«عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»**.

٣٧ - قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩)، ولم يقل: «فصار عند الله وجيهًا»،

ليدل على أنه كان وجيهًا عند الله قبل اتهامهم له، ولم تنقص منزلته باتهامهم الباطل ففي هذا تصبير لكل مؤمن اتهمه الناس بالباطل فعليه أن يحرص على وجاهة المنزلة عند الله - لا - عند الناس وسوف يكفيه الله مؤنة الناس.

٣٨ - قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٣٩-٤٠)، فقال: ﴿بِذَنبِهِ﴾، مع أنهم عتاة الكفر في البشرية وذلك لأن أول الكفر ذنب فلتحذروا من الذنوب عباد الله.. إخواني.. المعاصي بريد الكفران.. وأول التل حصاة صغيرة.. فالحذر الحذر..

٣٩ - قال تعالى في سورة القصص: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٤-٥)، فجعل سبب إهلاك الله لفرعون علوه في الأرض وظلمه للناس مع ارتكابه للموبقات وهكذا دولة الظلم لا قيام لها ولو كان الظالمون مسلمين ودولة العدل تبقى ولو كان أهلها كفاراً.

٤٠ - قال تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٠)، فكأن مريم - عليها السلام - تعجبت من وجود ولد ولم يجامعها بشر، فإن قيل: فلِمَ قالت: ﴿لَمْ يَمْسَسْنِي﴾ ولم تقل: «ولم يجامعني»؟ قلت: ليدل على أن التهاون بمس النساء يؤدي إلى الزنا، فاليد تزني وزناها البطش واللمس، فليحذر جهلة عصرنا من إباحة مس النساء بحجة أنهم لا غرض لهم سيئ ففي الحديث: **«لئن يطعن أحدكم بمخيط في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»**.

* وتأمل قولها ـ عليها السلام ـ: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ولم تقل: «ولم أكن بغيًّا» لتدل على أن البغي دركات ولم يكن منها عليها السلام أي بغي ولو كان صغيرًا جدًا.

٤١ ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (الإسراء: ١٢)، فجعل الرزق فضلاً من الله فقال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ﴾، أي الرزق وفي ذلك عدة فوائد:

(أ) عدم العجب بالكسب كما فعل قارون وقال عن ماله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨)، إذ الكسب فضل الله على العبد.

(ب) عدم طلب الرزق الحرام ففضل الله لا يؤتاه عاصٍ.

(جـ) شكر الله على الرزق فهو فضل الله.

٤٢ ـ قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، فقال: ﴿الْبَلَدَ﴾ بتعريفها، وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة: ١٢٦)، فقال: ﴿بَلَدًا﴾ نكرة، وذلك لأن إبراهيم دعا مرتين مرة ومكة خراب قبل عمرانها فقال: ﴿بَلَدًا﴾، ومرة لما عمرت وسكنها الناس فقال: ﴿الْبَلَدَ﴾ التي تدل على عمران البلد فإن قيل: فلِمَ ذكر عمران مكة في سورة إبراهيم المكية وذكر ما يتعلق بخرابها في سورة البقرة المدنية؟ قلت: وذلك لأن رسول الله ﷺ كان في مكة في العهد المكي فناسب أن يذكر عمرانها إذ عمرانها برسول الله ﷺ كعمرانها بالناس جميعًا بل أشد، ولما فارقها إلى المدينة ناسب أن يذكر خرابها إذ خرابها بفقدان النفس الشريفة ـ نفس رسول الله ﷺ ـ أشد من خرابها بفقدان الناس جميعًا.. فقبح الله المشركين كيف حرموا مكة من مكث رسول الله ﷺ وخير الصحابة فيها؟!

٤٣ـ قال تعالى في سورة هود: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ④ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑤ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود:٣-٦)، وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ⑤⑧ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ⑤⑨ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت:٥٨-٦٠)، فأخبر فيهما بتكفله سبحانه برزق جميع المخلوقات بعد أمره بالطاعة وذلك لأن طلب الرزق والانشغال به من أكبر أسباب إعراض الكثير عن طاعة الله بحجة السعي على معيشة الأولاد ونظرًا لمعرفة أهل الضلال بذلك ضيقوا على المؤمنين أرزاقهم ليشغلوهم عن طاعة الله، ولما كان أهل الإيمان لا يرضون بفساد المجتمعات بالرشاوى والربا وأكل المال بالباطل، عزل أهل الإيمان عن المناصب لئلا يفسدوا على أهل الفساد فسادهم فأمر الله المؤمنين بالصبر على التضييق وبالتوكل عليه في الرزق.

٤٤ـ قال تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سبأ:٣٦)، وقال في سورة القصص: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (القصص:٨٢)، وقال في سورة العنكبوت: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (العنكبوت:٦٢)، وفيها معاني بديعة فاظفر بها فقد لا تجدها في غير هذا الموضع:

(أ) فأما قوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾؛ كأنه يبسط الرزق لمن يشاء من الإنس والجن (فهما المخاطبون بالعبادة) ثم قد يقدر الرزق لنفس من

بسط له، ولذلك قال: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾؛ كأنه تحذير للعبد أن يغتر لو وسع الله عليه فيبخل ويتكبر فقيل له قد يضيق الله عليك، ولذا قال سبحانه في سورة سبأ في آية أخرى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (سبأ:٣٩)، أي فأنفقوا عسى أن يبارك الله لكم.

(ب) وأما قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، أي يبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء من عباده سواء كانوا من بسط لهم أو غيرهم.

(جـ) وأما قوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، ولم يقل: «من عباده» فهي عامة فيدخل فيها الحيوان فربما وسع على بعضهم في رزقه فأكل حتى يشبع وربما ضيق على البعض فأكل قوته؛ كأنه يقول ليس توسيع الرزق علامة الرضا، ولا تقديره علامة السخط، فها هي الحيوانات وهي كلها مطيعة يضيق على بعضها ويوسع على بعضها فتقديره إذًا على العباد المكلفين وتقديره إنما هو لحكم يعلمها الله.

٤٥ـ قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الروم:٦-٧)، ففيها أن الغرب الكافر لا يطلق عليهم علماء، إذ جهلوا أهم شيء وهو ما خلقوا لأجله من عبادة الله وتوحيده واهتموا بأمور الدنيا الفانية وعلومها، ثم كل ما وصلوا إليه من علوم إنما هو ظاهر العلم، وأما باطنه فهو أكبر بكثير مما علموه، فها هو صاحب كل علم يعترف بأن ما يجهله في مجال علمه أكبر بكثير مما يعلمه، وقد اعترف بهذا كبار علماء الفلك والطب وغيرهم من الغرب.

* وفيها كذلك أن باطن العلم هو ما ربط الدنيا بالآخرة، وربط الأض بالسماء، فيتعلق الناس بربهم ويزيد حبهم له فتبًا للعالمانية التي فرغت العلم عن

جوهره فعلموا الناس أن يقولوا: «وهبت وحبت الطبيعة»، بدلاً من أن يقولوا: «وهب الله»، وقالوا: «نبات عباد الشمس» بدلاً من أن يقولوا: «عباد الله»، وقالوا: «نبت شيطاني»، بدلاً من أن يقولوا: «نبت رحماني»، فالله المستعان.

٤٦ ـ قال تعالى في سورة الروم: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ⑰ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم:١٧-١٨)، قال كثير من المفسرين هي الصلوات فقوله: ﴿حِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي صلاة الصبح، وقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي صلاتي المغرب والعشاء، وقوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ أي صلاة العصر، وقوله: ﴿حِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أي صلاة الظهر، فإن قيل: فلِمَ خص بعض الوقت بالتسبيح وبعضه بالحمد؟ قلت: لأن المتأمل لغروب الشمس وشروقها وتحول لون الشمس من الحمرة إلى الصفرة عند الشروق وتحوله من الصفرة إلى الحمرة عند الغروب، يدرك عظمة الرب، فخصهما بالتسبيح والتعظيم، وأما الحمد في وقتي العشى والظهيرة فربما لما في هاتين الصلاتين من مشقة في وقتهما فمن وفق لصلاتهما فليحمد الله فأما الظهر فلاشتداد الحر فيها وتأتي الآن وقت عمل معظم الناس فمن حافظ عليها فهو دليل على إيمانه وله فضل عظيم ففي الحديث: **«من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار»**، فكيف بثواب الفرض نفسه؟ وأما العصر فقد كانت تأتي وقت عمل الناس قديمًا وتأتي الآن بعد انقضاء عمل الناس وطلبهم للراحة فكثير من الناس ينام بعد العمل ولا يصليها فمن حافظ عليها فهو دليل إيمانه، وله ثواب عظيم كذلك، ففي الحديث: **«عرضت هذه الصلاة ـ أي العصر ـ على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ عليها منكم فله الأجر مرتين»**، وهي كذلك الصلاة الوسطى فمن حافظ على الظهر والعصر ووفقه الله لهما مع مزيد فضلهما وصعوبة وقتهما فليحمد الله.

٤٧ ـ قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١)، فجعل طرق الباطل كالظلمات وجعل طريق الحق كالنور، وفي ذلك دقة بالغة إذ:

(أ) العبد إذا سار في الظلام شعر بالخوف وعدم الأمان، وكذلك العاصي لا يزال قلبه غير آمن لمعصية لله وأما الطريق المضيء فيسير العبد فيه بأمان واطمئنان، وكذلك طريق الطاعة.

(ب) أن الطريق المظلم إذا سلكه العبد تعثر وتخبط ودعته نفسه إلى تركه فإذا استمر حتى يعتاده سهل عليه المشي فيه، وكذا المعاصي إذا فعلها العبد لامته نفسه ودعته إلى تركها إلى طريق الخير، فإذا أصر واستمر اعتادها وسهلت على نفسه وطمس الله على نور قلبه، والعياذ بالله، وأما طريق النور فهو واضح لا تعثر فيه ولا تخبط.

(جـ) أن العبد إذا وجد طريقًا مظلمًا وطريقًا مضيئًا فسار في الطريق المظلم اتهمه الناس بانتكاس العقل، وكذا من ترك طريق الحق وسلك طريق الباطل.

(د) أن طريق الحق واحد، ولذا قال: ﴿النُّورَ﴾ بلفظ المفرد، وطرق الباطل متعددة ومختلفة ولذا قال: ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بجمعها.

٤٨ ـ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ (المائدة: ٧١)، كأن من ظن كون طريق الدعوة آمنًا لا يصاحبه فتنة وابتلاء واختبار وتمحيص من ظن ذلك كان كالأعمى والأصم، نعوذ بالله من ذلك، فليحذر الدعاة من خداع الملتزمين بوصف الطريق ورديًا مفروشًا بالورود، بل عليهم أن يبينوا أنه طريق مليء بالفتن فمن صدق أعانه الله حتى يدخله الجنة، ومن أعرض فلن يضر إلا نفسه، ولن ينال من الدنيا إلا ما كتب له فيها، بل ربما ناله من الأذى أكثر مما خافه.

٤٩ـ قال تعالى في سورة طه نقلاً لكلام فرعون وقومه لموسى وهارون: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ (طه:٥٩-٦٠)، أي سيكون الموعد بينكم يا موسى وبين السحرة المصريين يوم الزينة (يوم عيد عندهم) فتأمل قوله: ﴿يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾، فتأمل كيف اختار فرعون يوم عيد ليكون إجازة للناس من عملهم ومع ذلك قال: ﴿يُحْشَرَ﴾، أي رغمًا عنهم، وهكذا الشعب المصري منذ قديم الزمان سلبي في الغالب لا يشغل باله بمعرفة الحق وظهوره إنما المهم أن يطلب رزقه ورزق عياله، كما يقولون حتى ولو كان في هذا الموعد ظهور الحق وتميزه من الباطل إلا أنه لا يشغل نفسه بذلك جبنًا من سطوة الظالمين ويأسًا من أن يغير شيئًا، ولما علم أعداء الدين ذلك ضيقوا عليهم في أرزاقهم ليشغلوا بها عن الدين وعن التفقه فيه أو الاهتمام به ولئلا ينتبهوا للباطل فيزيلوه.

٥٠ـ قال تعالى في سورة طه نقلاً لكلام فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه:٥١-٥٢)، فقال: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، إذ الكاتب للشيء إنما يكتبه خشية أن ينساه وربما لكثرة ما عنده من معلومات فيخشى أن يخطأ ولا يفرق بين المتشابه وأما ربي فإنه لا يخطأ ولا ينسى وإنما كتب أعمال العباد ليكون حجة عليهم يوم القيامة إذ يقرأون ما عملوه وليزداد إيمان الملائكة إذ كتب ما يفعله كل مخلوق بالتفصيل قبل خلقه فسبحان ربي وسع كل شيء علمًا.

٥١ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر:١٥)، ولم يقل: «إلى الرب» ليدل على أن افتقار العباد إلى التعبد لله وإلى إلهية الله أشد من افتقارهم إلى ربوبية الله برزقه وغيره، فالرب يرزق البدن والإله

يرزق القلب، ورزق القلب أنفع إذ بفواته تنعدم الحياة الحقيقية في الآخرة وتصير الحياة الدنيا نكدًا، وأما فوات رزق البدن فقصاره انعدام حياة البدن.

٥٢ - قال تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (سبأ:٥١)، أي يسمع أقوالي وما أدعوكم إليه فلو كنت كاذبًا عليه متقولاً عليه فلن يتركني بل سيبادرني بالعذاب إذ هو قريب، فلما تركني بل وساعدني على نشر دعوتي دل ذلك على صدقي في رسالتي وهذا من أكبر أدلة صدق رسولنا وهو انتشار دعوته وكثرة أتباعه من العلماء، والعباد والزهاد فما عرف في التاريخ كاذب انتشرت دعوته ولا بورك له فيها.

٥٣ - قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣)، فقوله: ﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة للبعيد، وكذلك أمثال القرآن بعيدة المكانة رفيعة الشأن، فإن قيل: فلِمَ قال عند هذا المثل بالذات: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾؟ قلت: لعل ذلك لأن فيه لطيفة قل من ينتبه لها، وهي أن العنكبوت قد جعلت بيتها مصيدة للصيد وبيتًا تسكنه مع أنه ضعيف جدًا لا يصلح كبيت فلو جعلته مجرد مصيدة لكان أمرها قويمًا، كذلك من اتخذ من دون الله أولياء لو أنهم أحبوا أولياء الله العارفين من ملائكة ورسل وغيرهم وأعطوهم التعظيم اللائق بهم كبشر لكان عملهم عملاً صالحًا قويمًا ولكنهم زادوا أن عبدوهم واستغاثوا بهم ونذروا لهم وطافوا بقبورهم فعبدوهم من دون الله.

٥٤ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٨٤-٨٦)، فقوله تعالى: ﴿مِن ذُرِّيَّتِهِ﴾، قيل: هو نوح لأنه أقرب

مذكـور ولأن لوطًا ليس من ذرية إبراهيم، وقـيل: المقصـود إبراهيم لأن الآيات قبلهـا تتحدث عن فـضائله فإن قيل فـلمَ قال في تذييل الآية الأولى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟ قلت: ليبين سـبحانه أنه كمـا يورث الذرية من آباءهم المنظر الخارجي وربما الأمـراض الوراثية، فـتوريثـه للكمالات والمعاني الإيمـانية أولى، كيف لا وهو الكريم الذي لا ينسى للمحسن إحسانه، فلو قلنا: المقصود إبراهيم فهذا متحـقق إذ كانت الذرية المذكورة في هذه الآيات على ما يحب الأب المسلم لذريته، فإبراهيم ﷺ هاجر وترك بلده التي كـان من الممكن أن تكون له سلطة فيهـا لو أطاع المشركون، فأبوه خـادم الأصنام وله مكانة عندهم، فلما ترك ذلك لله عوضـه الله بالملك العظيم والسلطان الجـسيم، الذي وهبـه لداود وسليـمان، فالأب يحب أن تنال ذريته الخير الذي فاته فكان هذا، ثم إبراهيم ﷺ قد اكتمل صبره لله؛ فصبر على النار التي ألقي فـيها، وعلى تركه لولده في الصحراء، ثم على ذبحه لولده، ثم على اختـتانه بعدما بلغ الثمانين، فـورث الله ذريته الصبر فوهب له أيوب ويوسف اللذين يضـرب بهما المثل في الصـبر، ثم إبراهيم ﷺ قد دعـا وناظر وحاج لله فـورث الله لموسى وهارون تلك الوظيفـة حيث جـابها أعتى الطغـاة بأحسن حجة وأبينهـا كما قص سبـحانه في سورة الشعـراء، فلما ورثت الذرية ميراث الكمال في أبيها لإحسانها وكان فيها ما يريد قيل: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، فمن أراد صلاح ذريته وكمالهـا فليحرص على الخير عسى أن يورثه الكريم لذريته من بعده.

* وإن قلنا الآية عن نوح فكذلك فهـا هو يصبر على دعوة قـومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فكان إمامًا في الصـبر فورث الله ذريته المذكورة في الآية الصبر فداود وسليمان صبرا على فتنة الملك ولم يغـترا أو يطغيا ثم أيوب قد صبر على البلاء ويوسف صـبر على الشـهوات والبـلاء في السجن وفتنة المـلك ثم موسى

وهارون صبرا على أذى قومهما لهما، ففي الحديث الصحيح: «رحم الله أخي موسى آذاه قومه بأكثر من هذا فصبر»، وكذا صبرا على دعوة فرعون وقومه.

* فإن قيل: فلِمَ قال بعد زكريا ويحيى وعيسى وإلياس: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾؟ قلت: الله أعلم.

* فإن قيل: فلِمَ ذكر بعد إسماعيل واليسع ويونس ولوطًا قوله: ﴿وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؟ قلت: والله أعلم لأنهم اعتقدت فضيلة غيرهم عليهم فنبه على أفضليتهم فأما إسماعيل فقد اعتقد اليهود والنصارى كون إسحاق أفضل منه فأشارت الآية إلى أنه أفضل منه وذلك لأن إسماعيل رسول كما قال تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤)، وأما إسحاق فقد كان نبيًا قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١١٢)، والرسول عند أهل السنة أفضل من النبي كما نقله شارح الطحاوية.

* وأما يونس فلأنه ربما ظن البعض نقصه لحبس الله له في بطن الحوت فنبه الحق على أفضليته فهو رسول فاضل، وأما لوط فلأن اليهود عابوه في كتبهم واتهموه بالزنا لعنة الله عليهم فنبه الحق على أفضليته وأما اليسع فلا أدري ما الحكمة ولعل اليهود عابوه أيضًا فهم أهل إساءة إلى الرسل والأنبياء قبح الله اليهود وصلى على رسله وأنبياءه.

٥٥ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٨)، وليس هذا استعطافًا من عيسى واستغفارًا لقومه بها بل هو تفويض لله ولذا لم يقل: «فإنك أنت الغفور الرحيم»، فهي فيمن مات في الفترة بين محمد وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - قبل أن تبلغه دعوة التوحيد وهذه آية عظيمة قام بها رسولنا ليلة كاملة يرددها وذلك لما فيها من معان عظيمة:

(أ) قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، أي أنت خلقتهم وتعلم ما في خبايا نفوسهم مما لا يعلمه إلا أنت فما أشدها من آية على من علم ما في النفس من أغوار وخبايا، ولم يقل: «فهم عصاة» بل قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، ليدل على أن علم الله فيهم واسع إذ هم عباده وهو أعلم بهم فلرب طائع علم الله استحقاقه لسوء الخاتمة والعذاب لما في نفسه من سوء.

(ب) قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، أي فلو عذبتهم فهم عبادك لا راد لحكمك فيهم ولا معترض عليه.

(جـ) قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيه مزيد رحمة الله حيث قد يغفر للكافر إذا لم تبلغه دعوة التوحيد فيختبره يوم القيامة وقد ينجح في الاختبار فما أعظمها من آية رجاء إذ مغفرة الله للمؤمن المسلم أولى.

(د) قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيه كذلك بيان لرحمة الله فربما غفر للعاصي ولم يعذبه أصلاً طالما مات على التوحيد أو لم تبلغه الدعوة وربما منَّ على عاصٍ لا تتصور هدايته لفساد حاله فمنَّ عليه سبحانه بالهداية لعلمه بخبيئة في قلبه فلا يجوز الجزم لأحد بعدم الهداية فالله أعلم بعباده.

(هـ) قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾، أي العزيز الذي لا مثيل له في صفاته، ولا في أفعاله وكذلك فليكن رجاء المؤمن في ربه لا مثيل له، فصفاته لا مثيل لها،

أو يكون المعنى أنت العزيز الذي لا يسئل عن فعله فلا تسئل لِمَ هديت فلانًا، ولِمَ أضللت الآخر، ولِمَ عذبت فلانًا، ولِمَ غفرت لآخر.

(و) قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أي الحكيم في خلقك للعاصي أو للكافر فلك حكم عظيمة ثم تغفر لهما لعذرهما وقد لا تغفر لهما لاستحقاقها العذاب فتكون مغفرتك للبعض لحكم منها زيادة رجاء المؤمن وعدم الاحتقار لعاص فربما تاب الله عليه وتعذيبك وإضلالك للبعض لحكم منها زيادة خوف المؤمن وعدم أمنه من مكرك.

* فهذا ما ظهر من هذه الآية لمبتدئ فكيف بما ظهر لسيد العارفين ﷺ ؟؟

٥٦ - قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)، ويحضرني في ذلك قصة رجل كان يكتب عن السنة فأحبه بعض قرائه، فلما زاره وجده حليقًا (يحلق لحيته) فاستعجب القارئ وقال: «أتحلق لحيتك» فقال: «نعم ولكني لا أوذي أحدًا»، فقال القارئ: «ولكنك آذيت رسول الله ﷺ »، فبكى الكاتب، وأطلق لحيته من بعدها.

إخواني.. ترككم للسنة إيذاء للحبيب.. فالتزموا بها ولا تؤذوا قلبه.. ليس حب النبي ﷺ في الاحتفال بمولده وهجران سنته.. بل الحب في الاتباع وقد قالوا:

تعصي الحبيب وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

٥٧ - قال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥٠-٥١)،

فسمى الأقدار المؤلمة مصيبة بل قال عن الأقدار كلها: ﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، وذلك لعدة معان بديعة:

(أ) أنها تدل على أن الأقدار مقصودة موجهة إلى المصاب بعينه وليست هكذا عبثًا وإذا كان احتمال الإصابة يتوقف على مهارة المصوب وقدرته فليطمأن كل واحد فالذي يوجه الأقدار هو القدير فكل مصيبة تأتي لعبد ما كانت لتصيب غيره وما كانت لتخطأه فلِمَ الجزع إذًا؟؟

(ب) وفيها دلالة كذلك على أن العبد ينبغي ألا يستبعد الخير أن يصيبه ولو كان بعيدًا عنه ولا يغتر ويأمن من عقاب الله ولو كان في نعمة إذ المصوب يصوب عن بعد في الغالب.

(جـ) فيها دلالة كذلك على أن المصيبة هي التي تأتي العبد لا أن العبد هو الذي يأتيها فلا داعي لتسخط البعض وقوله: «لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا» إذ المصيبة لابد من وقوعها.

٥٨ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٥٣)، ولم يقل: «إنكم فاسقون» فدل على صحة قول الحسن البصري: «أخشى أن أكون قد أذنبت ذنبًا فقال الله لي اذهب لا غفرت لك»، فما أشد هذه الآية على قلوب المؤمنين إذ فيها تهديد بأن العبد ربما فعل كبيرة سخط الله عليه بها فكتب له السخط إلى يوم أن يلقاه ولو عمل ما عمل فإنه لابد وأن يختم له بخاتمة الشقاء، فالعياذ بالله ثم العياذ بالله ثم العياذ بالله.

٥٩ـ قال تعالى في سورة الدخان لموسى ﷺ لما ضرب بعصاه البحر فأنشىء الله له طريقًا يابسًا فيه: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ (الدخان:٢٤)، أي اتركه على حالته ليغتر فرعون ومن معه فيسيروا في الطريق اليابس فيأمر الله الماء ليغرقهم فيكون قد

أنجى موسى وأغرق فرعون بالشيء الواحد سبحانه ثم تأمل العصا، فقد أمر موسى بضرب الحجر بها فانفجر منه الماء، وأمر كذلك بضرب البحر بها فصار يابسًا فسبحان من أخرج بالشيء الواحد من الحجر الماء، ومن الماء الحجر ليعلم العباد أن ذلك الإعجاز ليس لخاصة في العصا نفسها، وإنما هو بقدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون.

٦٠ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ (الأعراف: ١٥٠)، وهكذا والله يقال لكل من تبع محمدًا ﷺ بغير منهجه.

إخواني.. وصل الدين إليكم وقد قطعت من أجله الأعناق، وزهقت الدماء، فهل قمتم بتبليغ أمانته؟! قوموا بتبليغه وإلا كنتم بئس الخلف لنعم السلف.. إذا تدنيتم وأنتم على الحق فمن يقوم بالمهمة؟؟ إذا شغلتم بالدنيا كبقية الناس فمن يبذل للدين؟؟

إخواني.. قول موسى ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ يهتف بكم.. فاتركوا النوم والكسل.. فلا راحة لقائد.. وكيف لا فهل الواجد كالفاقد؟؟..

٦١ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧)، ولم يقل: «فالله ذو الفضل العظيم» بل قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفيها فائدتان:

(أ) أي مهما كان الخير بعيدًا عنك في الظاهر لانعدام أسبابه فلا يبعد على قدرة الرب أن يوصل إليك الخير العميم.

(ب) وكذلك فلا يغتر صاحب نعمة فإن الله قادر على سلبه إياها مهما كانت النعمة كثيرة، ومهما كان صاحبها قويًا.

٦٢ ـ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: ١١٢-١١٤)، وفيها عدة فوائد:

(أ) عند المقارنة بين دعاء عيسى عليه السلام ودعاء الحواريين نجد أنهم جعلوا غرض المائدة الأول الدنيا فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، وأما الغرض الديني من الاطمئنان وزيادة الإيمان فقد جعلوه آخرًا فقالوا آخرًا: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، وذلك لوجود خلل في كمال توحيدهم، وأما عيسى عليه السلام فجعل الغرض الأخروي أولاً فقال: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ﴾، وأما الغرض الدنيوي فجعله آخرًا فقال: ﴿وَارْزُقْنَا﴾.

(ب) عند المقارنة كذلك نجد الحواريين طلبوا الدنيا صراحة فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، وأما عيسى عليه السلام فلكمال توحيده طلب الدنيا طلبًا مجملاً فقال: ﴿وَارْزُقْنَا﴾، وهكذا الدنيا تطلب إجمالاً فلا يقل المرء: «اللهم ارزقني الشقة الفلانية أو الوظيفة الفلانية»، بل ليقل: «آتنا في الدنيا حسنة»، وينوي ما يريد من الدنيا، أفادني هاتين الفائدتين الشيخ ياسر برهامي وهما بديعتان جدًا، نسأل الله أن يحفظه وأن يبارك له في وقته وعلمه وأن يلهمه العلوم والفهوم، آمين.

(جـ) قول عيسى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ دليل على كون العيد من الدين ليس عندنا فقط ـ معاشر المسلمين ـ بل عند كل أمة كتابية وعليه فتشريع أعياد أو الاحتفال بمواسم لا يجوز ولو كان في أمور الدنيا كأعياد الميلاد وغيرها إذ اتخاذ اليوم عيدًا تشريع.

٦٣ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٠)، فقدم نعمة وجود الأنبياء على نعمة الملك إذ نعم الدين أعظم من نعم الدنيا، كما أن بلاء الدين أشد، فاللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، اللهم آمين.

٦٤ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧)، فجعل التوبة ﴿كَلِمَاتٍ﴾، ليدل على سهولة التوبة وبساطتها كرمًا من الله وفضلاً، إذ هي كلمات صادقات، وانظر إلى بني إسرائيل لما عبدوا العجل أمروا بقتل أنفسهم ليتوب الله عليهم، فالحمد لله على رحمته بنا.

٦٥ - قال تعالى في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المعارج: ٢٩-٣٠)، وهي مستراح العارفين إذ ربما تخوف أحدهم على نفسه أن تنقص منزلته لنيله شهوته المباحة، فأخبر الحق أنه لا لوم على الرجل في إتيانه أهله، وأذكر أني صليت خلف عارف فقرأ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ بطريقة عجيبة جدًا فعرفت أن سبب ذلك ما ذكرته.

٦٦ - قال تعالى في سورة الملك: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (الملك: ٢١)، وقد كثر التعبير عن منع الرزق بإمساكه، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر: ٢)، وذلك يقتضي أمورًا:

(أ) أن الرزق الممنوع موجود بالفعل إذ الإمساك للشيء يقتضي وجوده ولكن لعصيان العبد قد يمنعه الله الرزق، وربما يقتر عليه ابتلاءً ليزيد من أجره.

(ب) أن الرزق بيد الله يتصرف فيه كيف يشاء فلا يملك الرزق إلا الله، إذ الإمساك يقتضي التملك والتحكم في الممسوك.

(جـ) أنه لا يجوز إهانة الرزق أو إتلافه إذ ما أمسكه العظيم بيده لابد من احترامه ـ نعم ـ الإمساك على ظاهره معنويًا ولكن اللفظ يقتضي الاحترام، ولذا لا يجوز إهانة الطعام ولا حرق المال بلا فائدة.

تنبيه: لا يجوز نفي صفة إمساك الله فهو يمسك السموات والأرض، ولكن المقصود من هذه الآية ـ والله أعلم ـ الإمساك المعنوي لا الحقيقي.

٦٧ ـ قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١)، وهكذا والله النساء المصريات إذا صلحن واستقمن كان صلاحهن عجيبًا غريبًا، فهذه آسية زوجة إمام الفراعنة إلى يوم الدين، وأعتى الطغاة ومع ذلك يصطفيها الله لتكون من أكمل النسوة، ففي الحديث الصحيح: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم وخديجة وآسية وفاطمة».**

* وتأمل قولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فقالت: ﴿لِي عِندَكَ﴾ قبل: ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾، إذ الجار قبل الدار، فأهم ما تريده مجاورة الله.

٦٨ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨)، وفيها من الخير الكثير:

* فتأمل قوله: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾، ولم يقل: «قل سبيلي»، ليدل على أن طريقه كله وحياته كلها للدعوة إلى الله فلا سبيل له غير سبيل الدعوة ولا هدف له في حياته غير تعبيد الناس لله وتحقيق العبودية، ولذا قال: ﴿هَذِهِ﴾.

* وتأمل قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ ولم يقل: «لله» لأن المبتدع ربما أخلص لله فلا يكفي الإخلاص بل لابد أن تكون الدعوة منتسبة إلى الله وهي الدعوة الربانية التي تتبع منهج السلف فقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يدل على ضرورة صحة الدعوة

وانتسابها إلى منهج الله، وكذا لم يقل: «بالله» لأن المبتدع ربما استعان بالله في دعوته ولا يكفي هذا أيضًا فلابد أن تكون الدعوة لله إخلاصًا، وبالله استعانة وإلى الله انتسابًا وصحة، ويدل على ذلك كله قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، إذ لا تنسب إلى الله حتى تكون بالإخلاص والتوكل، وقد سئل الشيخ ياسر برهامي عن الدعوة إلى الله؟ فقال: «هي إخلاص وتوكل»، وصدق والله.

* وتأمل قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ولم يقل: «ببصيرة» إذ (على) تدل على التمكن والقوة في هذه البصيرة وتدل كذلك على علو منزلة البصيرة في الدين وهي قريحة الفهم ولكن الداعية المبصر بدينه خير وأنفع من صاحب البصيرة المجردة عن الدعوة، ولذا قال (على) ليدل على علو منزلة الداعية.

* وتأمل قوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أي دعوتي لتنزيه الله عن النقص الذي نسبه إليه المشركون أو يكون المعنى: «وأنزه الله عن النقص فليس لكوني داعية إلى الله أدعي الكمال لنفسي بل كل إنسان ناقص ثم دعوتي إلى الله لست أبتغي فيها الشرف الدنيوي، فهذا شرك بل أريد بها إقامة العبودية لله في الأرض».

٦٩ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لكلام إخوة يوسف: ﴿قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ⑧ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف:٨-٩)، وفيها أن المؤمن تتدرج نيته عند المعصية من الشر الأكبر إلى الشر الأصغر بل ويحدث نفسه عند عمل المعصية بالتوبة فهاهم يقولون: ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، أي بالتوبة، وانظر إليهم كيف عزموا على قتله ثم تراجعوا فقالوا: ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، أي دون قتل وكذلك قال تعالى نقلاً لكلام سليمان لما فقد الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ

لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢١)، فتدرج من التعذيب الشديد دون قتل إلى الذبح، إذ عذابه لا يتعدى ألم الذبح بعكس التعذيب للحي، فربما مع شدته تمنت النفس الموت للراحة، ثم قال: لن أعذبه أصلاً لو أتاني بما يبرئ ساحته، وأما الكافر فهو يتدرج من الشر الأصغر إلى ما هو أكبر منه، فتأمل قول فرعون كما حكى الله عنه ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء: ٤٩)، أي لن يكتفي بقطع الأيدي والأرجل بل ينوي أن يقتلهم ثم يصلبهم على النخل.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، كأنهم يعلمون أن قلب يعقوب متعلق بيوسف ولن يكون لهم إلا مجرد وجه أبيهم حتى ولو غاب يوسف.

٧٠ - قال تعالى في سورة هود نقلاً لقول شعيب ﷺ لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، وهي آية عظيمة فيها من الفوائد والخير الشيء العظيم.

* فقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يقول شعيب لقومه: قد أعطاني الله مالاً فأغناني به فليس طلبي لترك التطفيف لكوني فقيراً، بل أنا غني عنكم، فلو احتج غني بحبه للمال وبأنه يصعب عليه ترك التطفيف لكنت حجة عليه فها أنا غني مثله، أو يكون المعنى: دعوتي ليست لجلب المال بل هي لله، وأما المال فقد أعطاني الله منه ما يكفيني.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾، كأنه يقول: أنا بعيد غاية البعد عما أنهاكم عنه، ولن أخالفكم وأفعل ما أنهى عنه، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إن أراد اتباع الناس له فينبغي أن يكون أول عامل بما يدعوا إليه.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ - وهو كنز هذه الآية - فيه أن الداعية ينبغي أن يستشعر كون نجاحه في مهمته إنما هو بالله ولذا فالدعاة أكمل الناس توكلاً على الله ويحتمل أن يكون المعنى (وما هذا التوفيق الذي أنا فيه من حسن خطاب ودعوة إلا بالله فالداعية ربما دعا ووعظ فوجد الفتوحات الربانية تنهال عليه فكيف لا يفرح بفضل الله؟ فإذا به يشعر بسعادة الإيمان وانشراح الصدر فعليه حينئذ أن ينسب الفضل إلى الله اعترافًا بفضله ومنته.

* وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، أي أتوب إلى الله من تقصيري في الدعوة إليه أو من تقصيري عمومًا إذ صلاح الداعية سبب كبير لنجاح دعوته.

٧١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٤)، وفيها فوائد جمة:

(أ) قوله تعالى: ﴿مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، فكأن المساجد هي التي حرمت من ذكر الذاكرين إذ تستأنس بالعبادة والعباد فيها وعن علي بن أبي طالب أنه قال: **«إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان: موضع سجوده في الأرض وموضع صعود عمله إلى السماء».**

(ب) قوله: ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ ولم يقل: «المساجد»، أي هي بيوت الله فما لهم يتحكمون فيها وهم لا يرضون لأحد أن يتحكم في بيوتهم أو هي مساجد الله التي سيتولى الدفاع عنها بنفسه ونصرة روادها من المتقين.

(جـ) قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾، أي سارع بشدة لتخرب ولم يتوان في ذلك، وتأمل بديع قول الله: ﴿وَسَعَىٰ فِي﴾ ولم يقل: «سعى إلى» ليضمن فعل (سعى) معنى المشاركة كأنه يقول: «وشارك في خرابها»، فإذا كان المشارك في خرابها

ظالمًا أشد الظلم فكيف بمن أمر بهذا وخطط له ثم قوله: ﴿فِي﴾، يدل على أن ديدنه الانتقال من تخريب إلى تخريب فهذه حياته قضاها كلها للصد عن الدعوة كما يقال: «فلان يجري في المدرسة» أي من فصل إلى فصل، ولكنه داخل المدرسة، وكذلك هؤلاء الظالمون ينتقلون من تخريب إلى تخريب.

(د) قوله: ﴿أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾، أي فضلاً عن أن يدخلوها مخوفين لغيرهم مهددين لهم.

(هـ) قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾، إذ يكثر عدد الملتزمين وعدد الدعاة على الرغم من قلة المساجد التي سمح لهم بالدعوة فيها، فالدين دين الله والدعوة دعوته.

(و) ثم تأمل قول الله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، أي فلا ترتبطوا أيها الدعاة بذات مسجد بل ادعوا إلى الله في أي مسجد كان فما قامت دعوة على شيخ بعينه أو مسجد بعينه، وما أدراكم فربما فتح الله لكم خيرًا عظيمًا في مسجد آخر فسيحوا في مشارق الأرض ومغاربها تدعون إلى الله ولكن عليكم بالإخلاص لوجه الله.

٧٢ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ (آل عمران: ٧)، ولم يقل: «في قلوبهم مرض» كما قال في آيات أخر، وذلك لسر بديع بمعرفته يزداد المرء إيمانًا بحلاوة القرآن، وبأنه والسنة يخرجان من مشكاة واحدة، فالمريض قد يسعى لمعرفة مرضه فيتعالج بإذن الله، وأما الزائغ المائل عن طريق الحق فكيف يصل إليه وقد سلك غير الطريق أصلاً؟؟ فالزائغ هو المبتدع، ولذا ورد في الحديث الصحيح: «**إن الله قد حجز التوبة عن كل صاحب بدعة**»، إذ

لا يرى نفسه مخطئًا بعكس من يرى نفسه على ضلال فإنه قد يسلك طريق الشفاء، فانظر إلى دقة القرآن كيف وصف المبتدع بالزائغ وليس بالمريض!!

٧٣- قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨)، أي جاهدوا في طاعة الله حق الجهاد، واجتهدوا فيها قدر المستطاع، وسبب ذلك أمران:

(أ) أن الله اجتباكم واصطفاكم لدين الإسلام وملة محمد ﷺ وإبراهيم ﷺ، فقابلوا النعمة بالشكر، ولذا قام رسولنا حتى تورمت قدماه وقال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**، فمن أحق بالاجتهاد من الدعاة الذين منَّ الله عليهم بالهداية!! ومن أحق بالعبادة من العلماء الذين باشروا بقلوبهم حلاوة أحكام الدين.

(ب) أنه لا حرج عليكم في الدين ولا شدة بل كله يسر وسهولة، فاجتهدوا أشد الاجتهاد، وسابقوا الريح في طاعة الله.

٧٤- قال تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور:٣٩-٤٠)، ضرب الله لأعمال الكفار مثلين؛ فالمثل الأول لجزائها في الآخرة، والثاني لجزائها في الدنيا، فأما جزاؤها في الآخرة فهي كسراب يراه السائر في الصحراء عند اشتداد الحر حيث لا أنيس يراه كالماء حتى إذا جاءه لم يجد إلا السراب، وكذلك الكفار يظنون أعمالهم الخيرية نافعتهم يوم القيامة حتى إذا جاءوا وجدوها حابطة الثواب لكفرهم، بل ويفاجئون بأن الله الحق ليس بثلاثة، ولا بأب لعزير، ولا بأب للملائكة، ولا بأب لعيسى، كما كانوا يزعمون، بل هو الله الواحد القهار.

والمثل الثاني مثل لأثر أعمالهم في قلوبهم في الدنيا، فعمل المؤمن يزيد قلبه نورًا إلى نور حتى يشع النور من قلبه وقد يزيد حتى يظهر على وجهه، وأما الكافر فعمله لا يزيد قلبه إلا ظلمة على ظلمة أو سوادًا على سواد، ثم المؤمن إذا زاد عمله كملت بصيرته فلا تكاد تخطأ له فراسة فيرى الحق حقًا والباطل باطلاً، وأما الكافر فكلما ازداد عمله كلما ازداد الظلام من حوله فلا يكاد يرى الحق.

* ويحتمل أن يكون المثل الأول مثل لكافر عمل صالحات في الدنيا ورجا ثوابها فكان رجاؤه كالسراب، والثاني مثل لكافر لم يعمل خيرًا يرجوا ثوابه بل تنقل في ظلمات المعاصي والشرك فيكون قوله تعالى: ﴿أَوْ﴾ للتنويع وليس للشك أو التردد.

* وفي هذه الآية تخويف لكل طائع لم يجد النور في قلبه فالطاعات المقبولة لا تورث صاحبها إلا نورًا فمن فقد النور فليتهم نفسه وليفتش عن إخلاصه وصدقه في طاعته.

* وفيها كذلك إعجاز علمي باهر لقوله تعالى: ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾، فقد ثبت علميًا وجود أمواج في أعماق بعض البحار كهذه الأمواج التي على سطحها ولا تكون هذه الأمواج إلا في بحر لجي عميق جدًا، فما أجمل دقة القرآن!!

٧٥. قال تعالى في سورة الحج في وصف الدعاة المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (الحج: ٤١)، وهذه هي أغراض الدعاة من التمكين وليست أغراضًا سياسية كما يظن البعض في الحكومات التي تحاربهم ولاتستجيب لمطالبهم!! فهل طلبوا مالاً أو رئاسة أو

سلطانًا؟؟ فالتمكين لنشر الخير ودفع الشر، فالدعاة سيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويساعدون العصاة على ترك المعاصي، فكم من عاصٍ لا يستطيع ترك معصيته لغلبة شهوته، فإذا أجبر على تركها سعد في الدنيا والآخرة - نعم - سيشعر بالضيق في أول الأمر، ولكن إذا استقر الإيمان في قلبه ونسي المعصية حمد الله وشكر الدعاة على ما أسدوه إليه من معروف، فلو منع صنع وبيع السجائر كم سيعاني المدخنون في البداية ولكن بعد نسيانهم لها سيشكرون لله ثم للدعاة عملهم وفي الحديث الصحيح: **«أنتم خير الناس للناس تقودنهم في السلاسل إلى الجنة»**، أي تجبرونهم على ترك المعصية وعلى الدخول في الدين حتى إذا ذاقوا حلاوة الإيمان وباشروا يقين الإيمان بقلوبهم إذا بهم يخلصون فيدخلون الجنة.

* وكذا سيعمل الدعاة الممكنون على جبر الناس على الصلاة فتركها فساد للدنيا والآخرة فإذا أجبر العبد عليها وذاق حلاوتها إذا به يصلي من تلقاء نفسه ابتغاء مرضاة الله.

* وكذا سيأخذ الدعاة الزكوات الواجبات من الأغنياء ليعطوها للفقراء الذين لا يجدون ما يكفيهم، فلو أخرج كل غني ما عليه من زكاة لما احتاج أحد - نعم - سيقل المال في الظاهر ولكنه سيزيد ببركة الله، وفي الحديث الصحيح: **«ما نقص مال من صدقة»**، فأي خير ينتظر الناس كلهم لو طبقوا شرع الله!!

٧٦- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ (البقرة: ١٤٣)، فسمى الصلاة إيمانًا إذ معنى ﴿إيمانكم﴾ هو «صلاتكم» وفيه دليل لأهل السنة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وسميت الصلاة بالإيمان لأنها ميزان إيمان العبد، فعلى قدر تعظيمه لأمر الصلاة يكون الإيمان في قلبه، وعلى قدر تألمه لفوات الصلاة أو جزء منها يكون الإيمان، وعلى قدر شوقه

إليها ومحبته لها وراحته فيها يكون الإيمان، والعباد في ذلك متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فمن عبد يحزن لفوات تكبيرة الإحرام حتى يكاد يتقطع قلبه من الحزن إلى عبد لا يبالي بصلاة الفرض في آخر وقته، ومن عبد لا يكاد يخشع في صلاته إلى عبد إذا صلى نسي الدنيا وما فيها كعروة بن الزبير الذي قطعت رجله وهو في الصلاة دون أن يشعر.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾، ولم يقل: «بالمسلمين» فهو سبحانه رءوف رحيم بالناس كلهم فكيف بالمؤمن؟!

٧٧ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧)، فقال: ﴿تَخْتَانُونَ﴾ ولم يقل: «تخونون» لأن المؤمن إذا عصى تكلف المعصية وكانت صعبة عليه فقال: ﴿تَخْتَانُونَ﴾، التي تدل على هذا التكلف وفي الآية دليل على كون المعصية خيانة للنفس التي شرفها الله بالطاعة، فهي أمانة عند الإنسان أمره الله بتهذيبها بالطاعة والإيمان فمن فرط فقد خان الأمانة وجهل قدر نفسه، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ١٣٠)، أي جهل قدر نفسه ومكانتها فأهانها بترك الإيمان، قال بعض السلف: «يا ابن آدم خلق الله نفسك للجنة ولم يرض لها ثمنًا دون الجنة فلا تبعها بغيرها».

٧٨ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة:٢١١)، أي من يستغل نعمة الله في غير ما وضعت له فيعصي ويفجر فإن له العذاب الشديد، فإن قيل: ولِمَ قال: ﴿يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، ولم يقل: «يعصي الله»؟ قلت: ليبين حقيقة المعصية بما لا يرتضيه عقل سليم سواء كان كافرًا أو مسلمًا، فالعاصي قد رد النعمة وطلب لنفسه النقمة بمعصية الله فهل يفعل هذا عاقل؟ ولذا قيل: «ما عصى الله عاقل قط».

* وتأمل قوله: ﴿يُبَدِّلْ﴾ ولم يقل: «يتبدل» ليدل على سوء نفس هذا العاصي إذ سهل عليه تبديل الطاعة بالمعصية والنعمة بالنقمة.

* وتأمل قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾، أي النعمة هي التي جاءته فضلاً من الله ومنة، ولذا لم يقل: «بعد ما طلبها» فلو عصي واستمر على العصيان ولم يذق نعمة الله لربما كان له محمل، أما وقد جاءته النعم من الله ثم يعصي بعدها فأي سوء نفسٍ هذا؟ ولذا استحق فاعل هذا العقاب الشديد.

٧٩ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٤).

* وقوله: ﴿مَّثَلُ﴾، لأن ما أصاب السابقين من بلاء لن يتكرر فقد كان أحدهم ينشر بالمنشار ليرجع عن دينه فلا يرجع.

* قوله: ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾، أي أصابهم وقد استعمل القرآن كلمة ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ ثلاثة استعمالات:

(أ) تقرن مع البلاء في سياق مقارنة البلاء بالنعماء لتدل على أن البلاء مجرد مس، وأما النعمة فهي شاملة سابغة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت: ٥١)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ (هود: ١٠).

(ب) تقرن مع العذاب لتدل على أن مجرد المس منه كافٍ في ردع العاصي عن عصيانه فكيف والعذاب شامل لا يبقي ولا يذر؟ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ (الأنبياء: ٤٦).

(جـ) تأتي في سياق يدل على وجود عذاب شديد وبلاء شديد كقوله تعالى: ﴿خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء﴾، ليدل على أن البلاء مهما كان شديدًا إلا أن فيه تخفيفًا، فغيره أشد منه وما هو في عذاب الله يوم القيامة إلا كالمس، فلا تتركوا الطاعة لهذا المس، فتذوقوا العذاب الحقيقي يوم القيامة.

٨٠ ـ **قال تعالى في سورة الكهف:** ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ (الكهف: ٤٥)، وقد كثر تمثيل الحياة بالزرع سواء في القرآن أو في السنة ففي الحديث: **«إن هذا المال حلوة خضرة»**، ووجه التشابه بين الدنيا والزرع:

(أ) النبات الأخضر يبهج النفس عند النظر إليه وتكرهه النفوس إذا يبس وذبل، وكذلك النفوس تنخدع بزخرف الدنيا وظاهرها فإذا ظهر شينها كرهتها النفوس.

(ب) أن النبات لا ينبت إلا بزرع وبذر ورعاية، وكذلك الدنيا لابد من الأخذ بالأسباب فيها.

(جـ) أن النبات لا ينبت ولو مع البذر إلا بإنزال الله المطر، وكذلك الدنيا لابد فيها من إعانة الله فلا نفع لسبب إلا بإذن الله وإرادته.

٨١ ـ **قال تعالى في سورة آل عمران:** ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧)، فشبه العلماء بالبناء الراسخ في الأرض إذ البناء مهما كان كبيرًا وجميلاً في الظاهر إلا أنه لا يبقى إلا لو كان راسخًا قويًا في أساسه، وكذلك العالم لا تعلو سيرته في الناس ولا تكون له مكانة عند الله حتى يكون باطنه عامرًا بالصدق والإخلاص والبعد عن الشهرة والمناصب، فإن عدم ذلك لم يصلح له علم مهما كان علمه واسعًا كبيرًا.

* ثم تأمل قوله: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾، ليدل على أن حياة العلماء كلها في العلم والتعلم ولم يقل «الراسخون بالعلم»، إذ رسوخ العالم لا يكون بعلمه وإنما يكون بتقواه وورعه وخشيته لله.

٨٢ ـ قال تعالى في سورة آل عمران نقلاً لدعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)، فتأمل قولهم: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ولم يقولوا: «بعد ما هديتنا»، وذلك لأن ﴿إِذْ﴾، ظرف زمان فيها معنى التذكر، فقوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك﴾ (؟؟؟؟؟)، أي «اذكر وقت ما قال ربك»، وقولهم: ﴿إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، أي بعد ما ذكرتنا بهدايتك دون الناس فلا تسلبنا الهداية كما أن ﴿إِذْ﴾ تدل على المفاجئة فكأنهم يقولون: «نحن لا نستحق الهداية لكمالٍ عنده أو لغيره، بل قد مننت علينا وهديتنا كرمًا منك فكانت الهداية كالمفاجئة لمن نال شيئًا لم يكن يتوقعه ولا يستحقه».

* وتأمل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ﴾ ولم يقل: «يقولون ربنا لا تزغ»، ليدل على أن هذا القول صادر من قلوب استشعرت هذا الدعاء وعاشت في أجوائه الإيمانية وليس مجرد دعاء باللسان.

* وتأمل قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ ولم يقول: «من عندك»، إذ كلمة «لدن» تدل على مزيد الاختصاص كأنهم قالوا: «هب لنا علمًا تخصنا به ورحمة تخصنا بها زائدة على بقية الناس»، فما أعجب حالهم إذ كان خوفهم خوف من يخشى أن يزيغ وتسوء خاتمته وكان رجاؤهم رجاء من يطلب أعلى المنازل.

٨٣ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٤-١٥)، فقارن سبحانه بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، فإذا كان الناس يتلذذون في الدنيا بالنساء ففي الجنة الحور العين المطهرة من كل دنس كان في نساء الدنيا سواء في الأخلاق أو في الجسد، وإذا كان أهل الدنيا يتنعمون في الدنيا بالحرث فإن لأهل الجنة جنات تجري من تحتها الأنهار، وإذا كان أهل الدنيا يتعززون بالأموال والبنين ويجدون فيها القوة والبهجة فإن أهل الجنة يتنعمون برضوان الله عليهم الذي هو غاية أمنياتهم وأعظم نعيمهم.

٨٤ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)، فقال: ﴿يَعِدُكُمُ﴾، من الوعد ولم يقل: «يوعدكم» من الإيعاد، وذلك لأن الشيطان يعد البخيل بالغنى ويقول له: ستصبح غنيًا إذا بخلت، ولكن حقيقة وعده هي الوعد بالفقر إذ الإمساك فقر وتلف، ففي الصحيح: **«ينادي ملكان في السماء في كل صباح: اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفا».**

* ولم يقل: «يأمركم بالبخل» بل قال: ﴿بِالْفَحْشَاءِ﴾ ليبين أن البخل تستنكره النفوس السوية وتستفحشه، وليدل على أن الفقر إنما ينتظر من بخل بالواجب فصار عمله فاحشًا، وأما من بخل بالمستحب فهو وإن كان ناقص المنزلة إلا أنه لا يأثم فأكرم بالقرآن!!

* فإن قيل: فلمَ تستجيب النفوس لأمر الشيطان بالبخل مع أنه وعد بالفقر ولا تستجيب لأمر الله مع أنه وعد بالمغفرة والفضل؟ قيل: لأن الله واسع علمه يعلم من يستحق التوفيق فيوفقه للنفقة ويعلم من يستحق الخذلان فيجعله بخيلاً، ولذا قال سبحانه في آخر هذه الآيات: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٨٥ - قال تعالى في سورة التوبة في ذم المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ (التوبة:٤٢)، وهكذا فليلم كل عاصٍ لنفسه، فلو قيل لشارب الدخان لو تركته فلك بليون جنيهًا، أو لو نزلت إلى صلاة الفجر في الجماعة فلك مليون جنيهًا فهل سيتردد واحد منهما لحظة؟ فانظروا كيف فضل العبد عرض الدنيا القليل الزائل!! أما يعلمون بأن ثواب الله خيرٌ من الدنيا بما فيها!! عجبًا والله لنا جميعًا نتكاسل عن الطاعات ولو كانت مستحبات، ولو وعدنا على فعلها المال لما تردد أحدنا لحظة ألا فليحزن الطائعون على حالهم، والله المستعان.

٨٦- قال تعالى في سورة التوبة للمنافقين: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٥٣)، والفسق هو الخروج يقال: «فسقت الرطبة أي خرجت عن قشرتها»، فشبه خروج العبد عن دائرة الإيمان بخروج البلح الأسمر (الرطب) عن قشرته فكما أن الرطبة إذا خرجت عن قشرتها تعرضت للآفات وسهل فسادها، فكذلك العبد إذا خرج عن دائرة الإيمان بالمعاصي سهل على الشيطان إضلاله، وكما أن الرطبة يجمل مظهرها وهي داخل قشرتها، فكذلك العبد يجمل بالإيمان وفي الحديث في دعاء النبي ﷺ: **«اللهم زينا بزينة الإيمان»**.

٨٧- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة:٢٤٥)، فقال: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ ولم يقل: «يتصدق»، وذلك لمعان عظيمة منها:

(أ) أنه إذا افتقر غني واستقرض الناس وكان هذا الغني مشهورًا جدًا تسارع الناس إلى إقراضه بلا تردد لينالوا الشرف ليقولوا في يوم ما أقرضنا فلانًا فقيل للمتصدق إذا تصدقت فكأنك أقرضت الغني سبحانه فسارع لتنال الشرف.

(ب) أنه إذا أحب العبد أخًا له في الله واحتاج إلى المال؛ فإنه يقرضه بلا تردد بل سيقول له لن آخذ منك شيئًا، فقيل للمؤمنين من كان منكم يزعم محبة الله فليقرضه ولا ينتظر رد المال ثانية.

(جـ) أنه إذا أقرض العبد غيره؛ فإنه يخاف أن يكون المقترض غنيًا مماطلاً أو فقيرًا لا يجد ما يسدد به، فقيل له أقرض ربك فهو غني كريم.

٨٨. قال تعالى في سورة النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ (النور: ٤٣-٤٥)، فرأيت عليها أنوارًا من الهدايات، فتأملت فإذا هي سورة النور فما أعظمها من آيات وما أنفع سورة النور لمن طلب المعارف، والله المستعان:

* يخبر سبحانه أنه يزجي سحابًا أي يسوقه سوقًا رفيقًا حيث شاء ثم يضمه بعضًا إلى بعض ثم يجعله متراكمًا بعضه على بعض، ثم ينزل المطر من خلاله، كذلك ينزل الله من قطع عظيمة في السماء تشبه الجبال ينزل منها البرد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، فكذلك الهداية تأتي إلى قلب العبد شيئًا فشيئًا، وتجتمع شيئًا فشيئًا حتى تتراكم معاني الإيمان في قلب العبد المؤمن وتستقر ثم يدعوا غيره إلى الإيمان، هكذا حال بعض الناس وبعضهم تأتيه الهداية من الله دفعة واحدة، فتصيب قلبه كالبرد الذي ينزل مرة واحدة فيكاد حاله يبهر الناس كيف اهتدى مرة واحدة وكيف تغير حاله هكذا أما الأول فبشائر تغيره كانت ظاهرة فالتزامه واكتماله كان على فترات فلم يكن مستغربًا بعكس الثاني

فإن قال قائل فما فائدة وجود العاصي إذًا؟ قيل له العاصي والمؤمن كالليل والنهار فالعامل بالنهار إن لم يجد ليلاً يستريح فيه تعسر عليه العمل بالنهار فوجود الليل هام لحسن العمل في النهار، كذلك وجود العاصي هام للمؤمن وإلا فمن سيدعوا المؤمن ومن ينصح إذا لم يوجد عصاة؟ ومن سيجاهد ومن سيبغض في الله إن لم يوجد عصاة؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار! ثم وجود التنوع ليس مستغربًا لتظهر قدرة الله وحكمته، فها هي الدواب تتنوع فمنها من يمشي على بطنه، ومنها من يمشي على رجلين، ومنها من يمشي على أربع، وكما تتفاوت الحيوانات في سرعتها على حسب أعضاء مشيها فكذلك يختلف الناس في سيرهم إلى الله ومع هذا التنوع ربما تغير حال الطائع إلى المعصية وربما تغير حال العاصي إلى الطاعة كتقلب الليل والنهار فسبحان من هذا كلامه.

٨٩ - قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨)، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ٢٤)، فشبه المؤمن بالطائر، وفي الحديث: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»، فبين المؤمن والطائر أوجه تشابه:

(أ) الطير رقيقة كما أن قلب المؤمن رفيق رحيم رقيق.

(ب) الطير يخرج من العش ولا رزق فيه ويخرج وهو أخمص البطن ولا يعلم من أين يأتيه الرزق ومع ذلك يتوكل على الله ولا يجزع، وكذلك المؤمن المتوكل حقًا خاصة وهو يستطيع تحصيل الكسب بنفسه والابتكار في أسبابه فإنه يتوكل على الله ولو انعدمت كل أسباب الرزق.

(جـ) أن الطير لا يحمل همَّ الرزق، كذلك المؤمن الكامل في إيمانه لا يحمل هم الرزق فهو بيد الله.

(د) الطائر في الغالب يكون في علوه ولا ينزل إلى الأرض إلا ليأخذ حاجته، وكذلك المؤمن قلبه معلق بالآخرة لا ينزل إلى الدنيا إلا ليأخذ حاجته منها ثم يصعد إلى السماء.

(هـ) أن الطائر آمن ما يكون وهو في السماء فإذا نزل إلى الأرض سهل صيده، فكذلك المؤمن إذا كان قلبه متعلقًا بالآخرة كان أبعد ما يكون عن الشيطان فإذا تعلق بالدنيا سهل على الشيطان صيده.

٩٠ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (الأعراف: ١٨٧)، فشبه مجيء الساعة برسو السفينة على الشاطئ، وشبه الدنيا برحلة يقضيها المرء في سفينة ووجه التشابه:

(أ) أن الراكب للسفينة يعلم أنه لابد من نزوله منها، كذلك الذي يعيش في الدنيا يعلم أنه لابد من مجيء وقت يغادر فيه الحياة.

(ب) كذلك الراكب للسفينة يكون عرضة لأمواج قد تغرقه، كذلك العبد في الحياة عرضة لأمواج الشهوات والشبهات التي قد تهلكه فليحذر منها كما يحذر الراكب.

(جـ) مستقر السفينة ليس البحر وإنما مآلها إلى الرسو، كذلك مستقر البدن والروح ليس الدنيا إنما هو في الآخرة فليعمل العبد لمستقره.

(د) كلما ثقلت حمولة الركاب في السفينة كلما تعرضت للغرق، كذلك كلما زاد حمل العبد للمعاصي كلما خشي عليه.

(هـ) أن الركاب في السفينة كلهم على قلب رجل فلو كسر أحدهم السفينة وتركوه غرقوا جميعًا ولو منعوه نجوا جميعًا ولو منعوه نجوا جميعًا، فكذلك العباد في الدنيا لو تركوا العاصي دون نهي هلكوا جميعًا ولو نهوه نجوا جميعًا.

(و) أن الناظر إلى البحر وهو في السفينة إذا كان جاهلاً بالمواني وأماكنها رأى البحر لا نهاية له ورأى الرسو بعيدًا، كذلك العبد المتعلق بالدنيا إذا كان جاهلاً بحقيقتها رآها لا نهاية لها بعكس العالم بحقيقة الحال.

(ز) إذا اقترب رسو السفينة ـ رأى الجميع الميناء وعرفوا حقيقة ـ الأمر وقرب انتهاء الرحلة، كذلك في آخر الزمان عند نزول عيسى وظهور العلامات الكبرى للساعة يعرف الناس حقيقة الدنيا فيزهدون فيها ويعرفون حقيقة الآخرة فيرغبون فيها.

(ح) أن السفينة لابد لها من قائد حتى تسير، وكذلك الناس لابد لهم في الحياة من قائد حتى تستقيم حياتهم وهذا القائد هو شرع الله.

٩١ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ (البقرة: ٢٦٤)، وفيها معانٍ طيبة:

(أ) فالصفوان هو الحجر الأملس الكبير إلا أن التراب عليه غطى حقيقته حتى ظنه الناظر أرضًا صالحة للنبات فلما نزل المطر الشديد ظن الناس أنها ستنبت كما هي عادة الأرض الطيبة عند نزول المطر خاصة وأن المطر كثير، ولكن حقيقة الحجر ظهرت بانكشاف التراب عن حجر أملس لا يصلح للنبات، كذلك العمل الصالح لو راءى به صاحبه فإنه يظهر على صورة صالحة، ولكن الله يكشف حقيقته ولو بعد حين ويبقى قلب المرائي كالحجر الأملس لا إيمان فيه إذ أرض قلبه غير صالحة لنبات الإيمان فيها.

(ب) وكما أن وضع البذرة والتربة الصالحة لا يكفي للنبات بل لابد من نزول المطر من عند الله، كذلك العمل الصالح وإخلاص صاحبه إنما هو بذر ولابد من نزول مطر الهداية والقبول من عند الله حتى ينبت الإيمان في قلب العبد.

(جـ) ويلاحظ أن الله أزال التراب لتظهر حقيقة القلب ولم يكتف بعدم إنبات الزرع فليحذر المنافق المراءي أن يفضح بين الناس فضلاً عن عدم انتفاعه بعمله.

٩٢ ـ قال تعالى في سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ (الرعد:١٧)، وفيها مثلاً من أعظم أمثلة القرآن إن لم يكن أعظمها، وفيه يشبه الحق سبحانه الهداية التي تنـزل على القلوب بالماء النازل من السماء إلى الأودية فكما أن الماء لا غنى لمخلوق عنه، كذلك لا غنى لأحد عن الهداية وكما أن الأودية لا تحمل من الماء إلا قدر اتساعها كذلك القلوب لا تتلقى من الهداية إلا على قدر سعتها فلو قل نصيب هداية عبد فليس لقلة الهداية، وإنما لقلة سعة قلبه هو عن حمل الهداية ثم يبين الله مثلين لما يعارض هذه الهداية ويمنع الناس من طلبها وهما أمران:

١ـ الباطل الذي يعلو الحق أحيانًا فهو سبب امتناع كثير من الناس عن الالتزام فضرب له الحق مثلاً بالزبد من رغاء وقش يعلو الماء ثم يلقيه الماء عن ظهره ووجه التشابه من أوجه:

(أ) كما أن الزبد إذا علا الماء لم يرد كثير من الناس هذا الماء ليشربوا منه إنما يرده أهل البصيرة لينفوا عنه القش ويشربوا الماء الزلال فإذا صفا ورده الجميع كذلك حال الباطل مع الحق الآن فإنه لما علا الباطل لم يرد ماء الحق إلا أهل البصيرة ينفون عنه الباطل فإذا صفا الحق اتبعه الجميع.

(ب) أن السيل هو الذي يحمل الزبد فوق متنه ليلقيه على الشاطئ، كذلك الحق هو الذي يحمل الباطل فوقه ليلقيه عن ظهره فلم يعل الباطل بنفسه بل قيض الله له أسباب علو ليفضح أهله ويصفوا الحق بعد.

(جـ) أن زبد البحر تزداد قوته كلما اقترب من الشاطئ، كذلك الباطل تزداد قوته كلما اقترب من فنائه وانعدامه فأبشروا والله خيرًا يا أهل الإيمان.

(د) أن الزبد لا قيمة له ولا وزن له إنما المهم الماء، كذلك الباطل لا وزن له والحق هو الذي له البقاء.

٢- وأما المانع الثاني فهو فتنة واختبار أهل الحق الذين اختاروا طريق الحق حيث يبتليهم الله ليمحصهم فيعرض الناس عن طريقهم خشية الفتنة والبلاء فضرب له الحق مثلاً بإدخال الذهب والفضة أو المعادن التي ينتفع الناس بها في النار ووجه التشابه من أوجه:

(أ) مالك الحلية أو الحديد هو الذي يدخله النار لينقيه، كذلك الله مالككم هو الذي يدخلكم نار الابتلاء لتخرجوا على أحسن حال فلا تنظروا عند نزول البلاء إلى من جرى على يديه بل انظروا إلى اختبار ربكم فالبشر آله والرب يقدر البلاء على أيديهم لمصلحتكم.

(ب) أن المعدن الذي يدخل النار كلما أحميت عليه الحرارة كلما خرج أنقى، فكذلك المؤمن كلما زاد عليه البلاء كلما هذبت نفسه وزاد ثوابه.

(جـ) أن الذهب والفضة والمعادن التي فيها متاع الناس لا يستغني عنها الناس وقيمتهن عظيمة عند الناس، كذلك الدعاة خاصة من يبتلى منهم هم أعلى الناس قدرًا عند الناس كما هم عند ربهم.

(د) أن صاحب المعادن لا يدخل النار من المعادن إلا ما يرجى نفعه وخيره، كذلك الله لا يبتلي من عباده إلا الأمثل، والله أعلم.

٩٣- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٦٥)، فيخبـر سبحانه أن مثل المتصدق المؤمن كـمثل حديقة على ربوة مرتفعة فـارتفاع الحديقة هو ارتفاع عمله، فالصدقـة عمل صالح رفيع ثم الربوة عرضـة لكل خير من نزول المطر الوابل الذي ينـبت معه نبت كثـير أو نزول الطل الذي ينبت مـعه الثمر القلـيل، وذلك على حسب قلب العبـد فمن تصدق بحب وسعادة فـمثله كمثل الوابل ومن تصدق ونفسـه تلومه وهي كارهة ولكنه أطاع الله وإن كـرهت نفسـه فمثله كـمثل صـاحب الطل، وفي الآية من المعاني الإيمانية الكثير:

(أ) قوله: ﴿تَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولم يقل: «لأنفسهم» لأن العبـد قد يتصدق ليثـبت على الإيمان بسبب الصدقة ونفـسه كارهة لذلك لم يقل: «لأنفـسهم» بل قال: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ليدل على أنه فعل صادر من أنفس راضية غير كارهة.

(ب) وقوله: ﴿تَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولم يقل: «ثباتًا من أنفـسهم» وذلك لأن العبد قد ينفق المال ونفسه ثابتة لا تجزع كالعاص بن وائل وحاتم الطائي وغيرهما من كرماء العرب، ولكنه لا يحـتسب الثواب عند الله فقوله: ﴿تَثْبِيتًا﴾ يدل على أنه خائف يطلب الثبات من الله بصدقته، فهو يبتغي وجه الله ويخاف الحساب.

(جـ) في هذا المثل دليل على كـون الصدقـة بثبات نفس من أكـبر أسـباب حسن الخاتمة فـيا أيها الخائفون من سـوء الخاتمة ويا أيها العلماء المشـفقون. . ويا أيها الزهاد المتعبدون أمامكم جميعًـا باب الصدقة ومن كان منكم فقيرًا بالمال فلا يبخل بصدقة العلم، والله المستعان.

٩٤ - قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (إبراهيم:١٨)، ووجه الشبه بين الرماد وبين صد الكفار عن سبيل الله من عدة أوجه:

(أ) فكما أن الرماد أسـود ولا وزن له ولا قيمة له كـذلك صد الكفار عن سبيل الله عمل أسود ولا وزن له ولا قيمة له.

(ب) وكـما أن الرمـاد لا أثر له ولا ثمرة لـه فلو وضع على شيء ثم أزيل الرماد لم يبق شيء، كذلك صد الكفار عن سبيل الله.

(جـ) وكما أن الـرياح العاصفة الشديـدة تفرق الرماد وتشتتـه، كذلك رياح التمكين تأتي على أبنية الكفار التي بنوها للصد عن سبيل الله، ولما كانت الرياح الشديدة لا يحـتاج إليهـا إلا مع الأبنية القـوية، فكذلك أبنية الكفـار للصد عن سبيل الله مهما كانت قوية، فإن رياح التمكين لابد وأن تقتلعها من جذورها.

٩٥ - قال تعالى في سورة الحشر عن الكفار: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: ١٤)، ولم يقل: «آرائهم» فـالمهم تشـتت القلب أو تجـمـعه، وأمـا الرأي فالخلاف فيه لا يفسد للود قضيـة طالما كان الأمر سائغًا، ولذلك يختلف فقهاؤنا وأئمتنا أحيانًا كثيرة في الآراء الفقهية ولكن قلوبهم جميعًا على عقيدة أهل السنة بحمد الله.

الفصل السابع

المعارف والإشارات الإيمانية

١. قال تعالى في سورة الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى: ١-٥)، ففيها تصبير لمن وجد فتوراً من المريدين والمبتدئين، وكذا من حرم من طاعة فظن ربه قد قلاه ومحاه من ديوان المريدين فليصبِّر نفسه بما حدث لرسولنا لما فتر عنه الوحي.

إخواني.. ما ودعكم الرب وما قلاكم.. فلا تجزعوا أن ابتلاكم.. لا تحزنوا لفوات مقام أو حال.. فلكم بعد الفتور أحوال وأحوال.. وللآخرة خير لك من الأولى..

* الحال هو ما يقوم بقلب العبد من معان إيمانية ولكن قد لا تستقر، وأما المقام فهو استقرار العبد في منزلة إيمانية كمنزلة الشكر أو الرضا أو الزهد أو غيرها.

٢. قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

إخواني.. قوموا لربكم وقولوا مسنا الضر بالسيئات.. فمصيبة العصيان أعظم المصيبات.. وأملوا خير كأيوب.. فما زال ربكم مزيلاً للعيوب..

سلوه يقين المعارف.. وتضرعوا كأيوب العارف.. فمن استغنى عن الله.. فهلاك قلبه على المشارف.. ومن اعترف بالعجز ودعا.. فليستبشر فلنعم الدعاء من صارف..

٣ ـ قال تعالى في سورة القيامة: ﴿**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ (القيامة: ١٦-١٩).

إخواني.. بيان القرآن ومعارفه على الكريم.. فسلوه هداية للطريق المستقيم.. كنوز القرآن لا تنتهي.. فالجئوا إلى الرب وسلوه الفهم..

٤ ـ قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا**﴾ (الإسراء: ٨٠).

إخواني.. ابدءوا أعمالكم الصالحة وأنتم صادقون.. وسلوا ربكم أن تنتهوا وأنتم كذلك صادقون. احذروا عند بداية العمل من الرياء والتبعية العمياء.. واحذروا عند نهايته من العجب ورؤية الكمال.. فاستحضروا هذا المعنى في بداية كل عمل وعند الانتهاء منه والله المستعان..

٥ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿**قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف: ٩٢)، قاله يوسف لإخوته لما اعتذروا إليه وندموا فقال: قد سامحتكم وسيغفر الله لكم، ولكن تأمل قوله: ﴿**الْيَوْمَ**﴾ مع أنهم ابتلوا بضنك العيش فقالوا: ﴿**مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا**﴾ (يوسف: ٨٨)، وابتلوا بسخط أبيهم عليهم لما حبس أخوهم في مصر ومع ذلك لم يغفر لهم حتى قالوا ليوسف: ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ (يوسف: ٩١-٩٢)، ومنها أخذ بعض العارفين أن العبد يبتلى ويشدد عليه حتى يعترف بخطئه وذنبه فحينئذ يغفر الله له وليس بمجرد البلاء وصبره عليه يغفر له، بل لابد من اعترافه بتقصيره.

٦ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ (يوسف: ٨٨).

إخواني.. أعمالكم ناقصة كنقص بضاعة إخوة يوسف وأشد.. فهلا توسلتم إلى الله كتوسلهم!! فما يوسف بأكرم من ربكم.. وما المغفرة بأصعب من كيل دفعه يوسف..

٧ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لقول يعقوب لما أخبر بحبس بنيامين (أخي يوسف) في مصر: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣).

إخواني.. لما اشتد كرب يعقوب زاد رجاؤه.. فلما علم ربه منه ذلك أدركه عطاؤه.. فهلا زاد توكلكم مع شدة البلاء..

إخواني.. أملوا في ربكم أن تعطوا الإمامة في العلم والعمل والدعوة.. وقولوا عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا إنه هو العليم الحكيم.. لا تيأسوا لكثرة التنكب عن الطريق.. وكونوا كيعقوب إذ قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦).

٨ـ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٤-١١٥).

إخواني.. هذا جزاء من كفر بعد رؤية الآيات الحسية (المائدة وما عليها من طعام).. فكيف بمن كفر بعد رؤية الآيات المعنوية (معرفة الله)!!.. فما أخوفها من آية عليكم يا عارفين.. سلوا الله الثبات وخافوه وارجوه.. واحذروا أن تكونوا من الآمنين.

٩ـ قال تعالى في سورة آل عمران نقلاً لقول أم مريم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥).

إخواني.. هلا نذرتم أنفسكم لله فصار مرادها ما أراد ربها لا غير.. وهلا صار هواكم وفق ما جاء به رسولكم.. أمر الخليل بذبح ابنه فأطاع.. وتؤمرون بترك الهوى فلا تطيعون!! كم بيننا وبين القوم!! نفوسكم طلاعة فعودوها القناعة.. والدنيا ساعة فاجعلوها طاعة..

١٠ ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٨-٣٩).

إخواني.. قام زكريا يسأل ربه الولد فأعطاه يحيى.. فسلوه أن يهب لقلوبكم الحياة.. فليس الولد بأهم من حياة قلوبكم.. وليس الرب ببخيل..

إخواني.. ماتت قلوبكم بالشهوات والشبهات.. فسلوا ربكم يحيى الطاعات.. والخواتيم مغيبة فسلوه الثبات..

١١ ـ قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٠).

إخواني.. من ترك شهواته لله صادقًا.. عوضه الله خيرًا منها وغفر له.. بعينه ما تقاسي نفوسكم من ترك الشهوات.. فاصبروا فوالله للذة المعرفة خير اللذات، عجبًا لكم تخافون أن يضيع عليكم ما تركتم من أجله وأنتم لا تنسون جميل المخلوق إليكم!!.. من ترك لأجلنا أعطيناه فوق المزيد.. ومن أراد رضاءنا أردنا ما يريد.. ومن تصرف بحولنا وقوتنا.. ألنا له الحديد.

١٢ ـ قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ (يوسف: ٧٨-٧٩).

إخواني.. إذا وجد ربكم في قلوبكم حبه والإخلاص له اصطفاكم للمعرفة.. فأصلحوا قلوبكم له فهو لا يأخذ إلا من وجد الخير عنده كما لم يأخذ يوسف إلا من وجد متاعه عنده.

١٣ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لقول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٨٦)، وأعظم بها من آية بكى منها الفاروق عمر بن الخطاب في صلاة الفجر حتى سمع صوته من وراء الصفوف وحق له أن يبكي، فكم في العارف من هموم وأحزان، فحزن على ضياع الوقت في النوم والغفلة، وحزن على أحوال المسلمين المستضعفين، وحزن على المظلومين، وحزن على ما لا تستطيعه النفس من دوام الصيام والقيام، وحزن على كثرة العلوم والكتب التي لا يستطيع قراءتها كلها لضيق الوقت، ومع ذلك فهو أشد الناس توكلاً على الله إذ يعرف من فضله وإحسانه ما لا يعلمه غيره.

١٤ ـ قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة:٥)، فشبه النفس كالدابة التي تحمل الأشياء وفيها عدة إشارات:

(أ) إذا كان قائد الدابة الماهر لا يحملها ولا يكلفها حتى يطعمها كفايتها، فكذلك المؤمن لابد أن يعطي نفسه المباح الذي تتقوى به على الطاعة من طعام ونوم وترويح وغيرها، وقد جهل قوم هذا فتركوا الطعام حتى كان أحدهم لا يستطيع القيام في صلاته من الضعف وقد سئل سفيان عن سبب أكله فقال: «أطعم الدابة ثم احمل عليها» فكان يتعشى ـ رحمه الله ـ ثم يقوم معظم الليل.

(ب) إذا كان قائد الدابة الماهر لا يحملها حملاً جديداً زائداً حتى تتعود على الحمل القديم مدةً ما وليس بمجرد إطاقتها للحمل الأول يضع عليها الثاني فربما

تحملت قليلاً ثم هلكت، فكذلك المؤمن لا يكلف نفسه بطاعة مستحبة جديدة حتى تتعود على الطاعة الأولى فليس بمجرد قيامه لليلة ساعة يقوم الليلة الثانية ساعتين بل يعودها على الساعة فترة ما ثم يقوم الساعتين وهكذا.

(جـ) إذا كان قائد الدابة الماهر لا يحملها إلا ما يعرف إطاقتها له فكذلك المؤمن لا يحمل على نفسه إلا ما يعرف إطاقتها له، وفي الحديث: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**».

١٥ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢)، فجمع بين العلم والحلم، وهذا من أخوف ما يكون إذ ربما وجد العبد في نفسه سعادة الإيمان بالطاعة فظن نفسه ناجيًا ورجا أن يختم له بالطاعة فقيل له إن الله حليم قد يعطي الطائع الآن حلاوة الإيمان حتى لو علم منه أنه سيعصي بعد.. فلا يغترن عابد بحسن حاله فالعبرة بالمآل.. فهل ترتاح نفس مع هذا إلا بوضعها لقدمها في الجنة؟؟

١٦ - قال تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)، وهي من أرجى الآيات إذ يخبر الحق أنه لا يضيع ثواب من أحسن عملاً واحدًا ولو قل هذا العمل فإذا كان ثوابه لا يضيع فهو دليل على موته على التوحيد فمن أخلص وصدق ولو في عمل واحد وقبله الله فنرجوا أن يدخل به الجنة فلا يستحقرن مؤمن عملاً ولو صغر وفي صحيح البخاري: «**اربعون خصلة من خصال الخير أدناها منيحة العنز ما من عبد يعمل بخصلة منها رجاء موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»، فلعل العمل المذكور في هذه الآية هو أحد هذه الخصال الأربعين، وإلا فبعض الطائعين يختم له بسوء خاتمة لأسباب لا يعلمها إلا الله - نعم - نادراً ما يختم للطائع الصادق بالسوء، ولكن أوجد الله حالات نادرة هكذا ليبقى

الخوف اللازم للجميع فعلى المؤمن أن يجتهد في الصالحات عساه أن يعمل بأحد هذه الخصال الأربعين فيضمن النجاة، والله الموفق.

١٧ـ قال تعالى في سورة الكهف عن عبده الخضر: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥)، والعلم اللدني هو العلم الذي يهبه الله لعبده بلا قرآة منه ولا تعلم بل فضلاً من الله ونعمة وله أسباب تتبعتها من خلال دراستي لسير بعض العلماء الأفاضل الذين منَّ الله عليهم بالفهوم الخاصة والعلوم اللدنية:

(أ) حب الخير للمسلمين والإخلاص: فإذا أحب طالب العلم والعالم الخير للمسلمين وعلمهم ونصح لهم أفهمه الله ما لم يفهمه غيره ممن قرأ كثيرًا ودرس كثيرًا.

(ب) خلو أسباب العلم المكتسب: فإذا عُدم المعلمون وخلت الساحة وكان طلبة العلم بحاجة إلى من يعلمهم علمهم الله من عنده وأفهمهم لتستمر الدعوة، وعليه فلا يصح لأحد أن ينظر إلى مشايخ الدعوة في الإسكندرية الذين أفهمهم الله وعلمهم العلوم دون وجود أساتذة لهم، فلا يحتج أحد بحالهم ويترك طلب العلم على أيدي المشايخ، فمشايخنا لإخلاصهم وحاجتهم إلى العلم وخلو الساحة ممن يعلمهم أفهمهم الله كرمًا من عنده وتفضلاً، وأما غيرهم فلابد له من طلب العلم على أيدي المشايخ طالما وجدوا.

(جـ) الاجتهاد في العبادة خاصة الصيام والسجود والاهتمام بالقرآن تحفيظًا وتفسيرًا وتعليمًا فهذا سبب كبير للفتوحات الربانية والإلهامات اللدنية.

١٨ـ قال تعالى في سورة الكهف نقلاً لما جرى لموسى وصاحبه يوشع لما خرجا يطلبان الخضر: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ (الكهف: ٦٠-٦٢)، وفيها أن موسى لم يشعر بالتعب والجوع إلا بعد ما جاوز المكان الذي فيه الخضر والذي أمره الله بالذهاب إليه، وهكذا العبد لا يتعب ولا يشقى إلا إذا خالف أوامر ربه فجاوزها وتعداها، أما إذا استقام عليها فلا تعب ولا شقاء له.

١٩ - قال تعالى في سورة المعارج في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٣)، فما أشدها من آية إذ العبد لا يدري هل يداوم على الصلاة وفعل الخير أم لا؟ فالخواتيم مغيبة، ثم تأمل قوله: ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: «الصلاة»، ليدل على أنهم يحافظون على أورادهم ونوافلهم الخاصة بهم التي تعودوا عليها فأينا لم يصبه الفتور والكسل؟! قرأ بهذه الآية عارف في الصلاة وأنا خلفه فبكى عندها وحق له أن يبكي، والله المستعان.

٢٠ - قال تعالى في سورة البقرة عن المنافقين: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (البقرة: ٢٠)، أي كلما وجدوا في أحكام الشرع ما يوافق هواهم اتبعوه، فإذا وجدوا ما يخالف هواهم تركوه ففيها والله نعي على كثير من الملتزمين إذ يعملون بما يسهل عليهم من السنن ويتركون ما شق وصعب عليهم، ولو كان المتروك أثوب وأولى من المعمول فما أشدها من آية على الصادقين، والله المستعان.

إخواني.. الزموا الشرائع كلها ففيها الخيرات.. ولا تلزموا بعضًا دون بعض وتتدبروا هذه الآيات.. راجعوا في أنفسكم تخويفها حينًا بعد حين.. عسى أن تكنَّ المصلحات..

٢١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، ولم يقل: «من إلهه» مع أن الإله هو الذي يكلف ليدل على أن

المؤمن ينظر إلى الشرع على أنه شرع لتهذيب نفسه وكمالها من الرب الرحيم الذي خلق البدن ورزقه وسواه فعدله فهل يخلق ما يصلح البدن من رزق ولا يشرع ما يصلح القلب والروح؟!

إخواني.. خلقت أرواحكم للمعرفة فلا تحرموها.. وفي الشهوات دنسٌ فاتركوها.. وفي الطاعات كمالكم فالزموها.. اجعلوا الطاعة وقودًا ومغنمًا.. ولا تجعلوها عذابًا ومغرمًا.. أما سمعتم بمن دعا ربه أن يرزق الصلاة في قبره.. أما علمتم بمن سأل ربه أن يقضي حياة البرزخ في الحج والعمرة.. فهلا اجتهدتم لتذوقوا حلاوة الطاعة مثلهم..

٢٢ ـ قال تعالى في سورة يوسف نقلاً لفعل يوسف: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ (يوسف: ٧٠-٧٢)، وفيها إشارة إلى صدق إخوة يوسف وبراءتهم من سرقة صواع الملك، إذ السارق إذا اطلع عليه هرب وجرى، وأما إخوة يوسف فأقبلوا بثقة وقالوا للناس: ماذا فقدتم؟.

٢٣ ـ قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٧)، وفيها إشارة إلى براءة مريم ـ عليها السلام ـ مما نسبه إليها اليهود قبحهم الله من الزنا، إذ الزانية تهرب بولدها ولا تواجه به الناس، وأما مريم ـ عليها السلام ـ فأتت بعيسى وليدها أمام الناس واثقة في ربها ثم في نفسها.

٢٤ ـ قال تعالى في سورة الأنفال مخاطبًا رسوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣٨)، فنرجوا والله لمن غفر للكافر ذنبه إن تاب أن يغفر للمراءي والمان إذا تابا، وإذا كان الكافر إذا أسلم يثاب على ما عمل من صالحات في الكفر طالما أخلص فيها، فنرجوا للمراءي أن يثاب على ما عمل من عمل راءى فيه إذا تاب فأملوا في الله خيراً.

إخواني.. أحسنوا الظن بربكم.. فهو عند الظنون الحسنات.. من تاب من سيئة بدلت حسنة.. فطوبى لمن تاب من سيئات كثيرات.. التائب الصالح الخائف.. خير ممن أعجب بالحسنات.. ومن استفاد من توبته.. خير ممن لم يفعل السيئات.. فهذا محمد غفر له ما تقدم من ذنبه.. وعيسى لم تذكر له سيئات.. فأيهما شفع للناس يوم القيامة.. وأيهما كشفت به الكربات..

٢٥ ـ قال تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ١-٣).

إخواني.. إذا طالبتم ربكم بالدنيا بالغتم في الإلحاح.. وإذا أديتم ما عليكم من عبادة تكاسلتم.. أشبهتهم المطففين.. إذا طالبتم الناس بالذي لكم بالغتم وما تركتم من شيء.. وإذا أديتم ما لهم لم توفوهم حقوقهم.. ما هذه بأخلاق المؤمنين.. لا تبذلون ما عليكم للدين ثم تسألون ربكم التمكين.. أما سمعتم بقول نبيكم ﷺ: **«فأعطوهم الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم»**.. فاعقلوا واعلموا أنكم لن تنالوا ما لكم حتى تؤدوا ما عليكم..

٢٦ ـ قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣).

إخواني.. من قام منكم بسنة سهلت عليه.. وترك واجبًا صعب عليه فله نصيبه من هذه الآيات.. وأعلى من ذلك.. من فعل مفضولاً وترك فاضلاً فله حظه أيضًا.. فيا لها من تخويفات.. فأيكم نجي من هذين؟! من فعل فقد أُعطي أعظم المنات.. إخواني.. الدين كامل فخذوه كله.. واتركوا التقسيمات.. وإياكم ممن قال فيه قشر ولباب.. فما أجهل هذه الكلمات..

٢٧ ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة:٢٦٦)، وهي أخوف آية في كتاب الله جمع لها عمر بن الخطاب صحابة رسول الله ﷺ ليسألهم عنها فيخبر سبحانه «أنه لو عمل العبد الصالحات لانتفع بها هو وذريته من بعده سواء تصدق أو عمل أي عمل صالح آخر، بل الكون كله يستفيد منه كالحديقة أو البستان، ينتفع منها الطير والحيوان والإنسان كما ينتفع بها صاحب البستان وورثته فإذا منَّ العبد وراءى أتته أعاصير الإفساد لعمله فيضيع ثواب عمله ويضيع هو وذريته من بعد».

المخوفات في الآية:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي كما أن الجنة فيها من كل الثمرات، كذلك كان هذا الرجل يعمل طاعات كثيرة متنوعة ومع ذلك ختم له بسوء الخاتمة بسبب منّه في الصدقة، فكيف بمن ليس له إلا طاعة واحدة أو طاعات قليلة.

(ب) قوله: ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ يدل على أنه ذاق حلاوة الطاعة وقطف من ثمارها فإذا كانت هذه نهاية حاله وقد ذاق من حلاوة الطاعة، فكيف بمن هو مبتدىء لم يذقها بعد؟

(جـ) قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ولم يقل: «أعاصير فيها نيران» فكأن آفة المن وحدها وآفة الرياء وحدها وآفة الأذى وحدها كافية لسوء الخاتمة فكيف لو اجتمعت الآفات كلها؟

(د) قوله: ﴿فاحْتَرَقَتْ﴾ أي حبط العـمل كله وهذا لا يكون إلا في المشرك فـهو الذي يحـبط عمله كله بعكـس العاصي فـإنه لا يحبط ثواب العـمل الذي أخلص فيه من قبل.

والله لو كـان التـهـديد بـأن يموت على كـبـائر بسـبب رياءه ومـنَّه لكانت مخوفة.. فكيف وهو مهدد بالكفر..

(هـ) قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ يدل على أنه عمل السوء ثم لم يتمكن من فعل الخير بعدها فختم له به كهذا الذي كبر ولم يستطع تعويض ما فات.

(و) قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ احتراقهـا يدل على تلفها تلفًا لا صلاح معه، فـالرياح فقط قد تأخذ الشجر والنخل وتلقـيه بعيدًا، وربما زرع في أراض أخرى بعـد فانتفع به، أما هذا فـقد احترق فـكأنه لن يسلم بعد ردته، إذ المرتد قد يموت على الإسلام ولكن هذا مات على كفره.. فـسبحان الله كم فيها من تخويف وتهديد.. فجدير بعمر أن يجمع لها الصحابة.

٢٨. قال تعالى في سورة الحاقة عن الكافر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: ٣٥-٣٧)، وهو أسلوب قرآني جميل في التعبير عن المعـصية فدرجات المعصية (الخطيئة ثم الكبـيرة ثم الشرك الأصغر ثم الكفر الأكبـر)، ومع ذلك ذكر الحق في سبب عذابهم أولى درجات المعـصية (الخطيـئة)، فقال: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ليكون تحذيرًا للـعبد من فـعل المعاصي ولو صغرت فأول الكفـر معصية؛ ألا فليحذر العـصاة من تماديهم فإن المعاصي بريد الكفر والله المستعان.

إخواني.. أشفقوا والله من هذه التخويفات.. أما لكم عقول واعيات..

❊ وكذا قال سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٥-٨٦)، مع أن منازل الكمال أولها صلاح ثم شهادة ثم صديقية ثم نبوة ثم رسالة ثم خلة ومع ذلك ذكر سبب نعيمهم أنهم اتصفوا بأولى درجات الكمال والصلاح لئلا يستحقر عبد طاعة وليستبشر الصالحون بأنهم سيكونون في منازل عالية عند ربهم وإن لم يكونوا في أعلى المنازل.

٢٩ . قال تعالى في سورة الكهف نقلاً لماجرى بين موسى والخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: ٦٦-٦٩)، وقال تعالى في سورة الصافات نقلاً لما جرى بين إسماعيل وإبراهيم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

إخواني.. هلا قلتم لربكم ستجدنا إن شاء الله صابرين ولا نعصي لك أمرًا.. وهلا قلتم افعل بنا ما تراه أصلح لنا وستجدنا إن شاء الله من الصابرين.. الإسلام هو الاستسلام لأوامر الرب وأحكامه وأقداره.. فكيف الإسلام في قلوبكم!! والله المستعان.

الفصل الثامن

الآداب القـرآنيـة

١ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ (النساء: ٣٤)، ولم يقل: «واللاتي ينشـزن»، فدل على أن الرجل يراقب أهل بيـته من ولد وغـيره، فإذا رأى بـوادر الانحراف أدبهم لا أن ينتظر حـتى ينحرفـوا ثم يؤدبهم، فقـوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ فدل على أن ظهور بوادر النشوز داعٍ للتأديب.

٢ - قال تعالى في سورة الذاريات عن إبراهيم: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ (الذاريات: ٢٤-٢٧)، وفيها آداب للضيافة جمة، فمنها:

(أ) أن إبراهيم ما أشعرهم بأنه سيأتي بالـطعام لئلا يتحرجوا، بل راغ إلى أهله ومثله من يقول الآن للضـيف (بعد إذنك مثلاً)، ثم يذهب فيـأتيه بالطعام فلا يقل له هل تأكل أم لا، فربما تحرج الضيف.

(ب) أنه أكرم ضيفه بعجل سمين وهو أفضل ما كان في بيته.

(جـ) أنه قرب الطعام إلى الضيف حتى لا يتحرجوا بمد أيديهم إلى الطعام.

(د) أنه لم يقل لهم: «كلوا»، بل قال: «ألا تأكلون» من باب الحض المؤدب.

٣ - قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٣٧)، وفيـها أدب القـائم على البيت، وهو أنه كلما وجد مع أحد أفراد بيته شيئًا لا يعرف مصدره سألهم عنه، فربما سرق الابن وربما أخذه من مصدر شبـهة وغيره ذلك . . فعلى راعي البيت أن يتفقد أسرته.

فائدة: تأمل قولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، ولم تقل: «من لدن الله»، كأنَّ ملكًا أتاها به من عند الله، ولو قالت: «من لدن» لكان من عند الله بلا واسطة، إذ كلمة (لدن) تدل لغة على مزيد الخصوصية، فإن قيل ولم أتاها به ملك؟ قلت: لأنها لكمال ورعها ـ عليها السلام ـ لو رأته في البيت دون أن تعرف من الذي جاء به لظنته لغيرها أو لشكت في كونه لها فتترك الأكل منه.

٤ ـ قال تعالى في سورة الكهف عن ذي القرنين: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف:٨٧-٨٨)، وفيها من آداب الملوك والرؤساء ما هو عظة لكل رئيس، فمن هذه الآداب:

(أ) أنه جعل العقاب لمن أفسد وظلم، ولم يعاجله بالعقوبة، ولذا لم يقل: «سنعذبه» بل قال: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾، عسى المخطأ أن يتوب ولا يكرر خطأه، وربما كانت زلة وكذا ليسأل ويستفسر عن سبب الخطأ، فربما كان عن غير عمد.

(ب) أنه جعل الجزاء الحسن على العمل الحسن فوريًا ليشجع الناس على الخير، فقال: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، فعجبًا للظالمين الذين إذا وجدوا عاملاً أمينًا لا يقبل الرشوة تخرصوا به ليطردوه من العمل إلا لو صار مثلهم!!

(جـ) أنه لما ذكر العقاب بدأ بذكر عقابه ثم عقاب الله؛ لعلمه بأن المجرم المفسد قد لا يرتدع بالتخويف بعذاب الله، كما قال عثمان بن عفان: **«إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»**، بينما لما ذكر ثواب المصلح بدأ بذكر جزاء الآخرة لكونه أبقى وليربي في أبناء الدولة مراقبة الله أولاً والإخلاص له وحده.

٥ ـ قال تعالى في سورة الكهف عن ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (الكهف:٩٣)، فانظر إلى ما ينبغي أن يكون عليه

ملوك الإسلام، فمع أن هؤلاء القوم يتكلمون بلغة ميتة غير معلومة ولا يكادون يفقهون قول غيرهم، إلا أن ذي القرنين علم لغتهم وتحادث معهم بها، وهكذا المؤمن الداعية يتعلم لغات الكفار ليدعوهم إلى الله.

٦ - قال تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف: ٩٤-٩٥)، وهكذا المؤمن إذا كان عنده ما يتميز به على غيره لم يضن به عليه، بل بذله له وأحسن من ذلك أن يعلّم غيره كيف يحصّل ما حصله من كمال لئلا يحتاج إلى غيره، وهذا ما فعله هذا الملك المؤمن إذ جعلهم يساعدوه ليتعلموا فلا يحتاجوا بعد إلى أحد.

٧ - قال تعالى في سورة الكهف نقلاً لما جرى بين موسى والخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف: ٦٦-٦٨)، وهكذا أدب العالم والمتعلم، فانظر إلى موسى عليه السلام وقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، فهو يستأذنه في مجرد الاتباع، مع أن موسى أفضل من الخضر، ولكنه الأدب، ثم تأمل قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ أي بعضه وليس كله، وهذا تبجيل المتعلم لأستاذه، فهو يقول له عندك علم كثير وأنا أريد بعضه، وتأمل نصح المتعلم لأستاذه إذ قال: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾، ولم يقل: «مما تعلم»، كأنه يقول له علمك من الله فضلاً ونعمة لئلا يغتر المعلم، وأيضًا ليستجلب منه العلم، فكأنه يقول له: «علمني يزدك الله علمًا».

* وتأمل قول موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، ولم يقل: «لتعلمن» كأنه يقول له أجرك على سماحك لي بمصاحبتك هو أن أتعلم منك العلم، وهكذا والله العارفون، فالعالم غاية أمله أن ينتشر علمه بين الناس، فمن أين سيجد الخضر تلميذًا ينشر علمه كموسى؟! ثم في هذا الأسلوب أدب جم من موسى،

إذ جعل مجرد مصاحبته للخضر جعله عملاً يستحق أجرًا، وصدق والله؛ إذ مصاحبة العالم نعمة، وإن لم يكن فيها تعلم فكيف لو صاحبها تعلم؟!!

* ثم تأمل قول موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، ولم يقل: «أصاحبك»؛ كأنه يقول: «أكون تابعًا كشأن الخادم مع مخدومه»، وهكذا ينبغي أن يكون المتعلم مع أستاذه.

* ثم تأمل أدب المعلم وفهمه لكيفية التعليم، إذ أخبر موسى بأنه سيعجز عن الصبر، وليس ذلك لضعف همته، ولكن لصعوبة احتمال ما سيراه مع الخضر، وفي هذا شحذ لهمة موسى، إذ المتعلم إذا أخبر بصعوبة الأمر وكان عالي الهمة فإن ذلك يزيد من همته وقوته، ليحقق المجد والتفوق، وفي هذا أيضًا محافظة على همة المتعلم؛ إذ لو أخبر المعلم تلميذه بعجزه وضعفه لربما يأس التلميذ، فإذا أخبره بأن عجزه لشيء خارج عنه لم يكن يأس من التلميذ، ولذا قال الخضر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي: عدم صبرك لشيء خارج عنك، فلا إله إلا الله، كم في كلامه من كنوز!!

٨ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ (البقرة:٧٥)، وفيها أدب المؤمن مع خصمه، فلا يذكر ما ليس فيه لكونه خصمًا له، بل يذكر ما فيه دون مبالغة أو تعدٍ، ولذا قال الحق سبحانه: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: ليس الجميع هكذا، وهذا غاية الإنصاف.

* وفيها كذلك أن رضا المرء المعصية كفعلها، إذ لما رضي أبناء اليهود بما فعله آباؤهم كانوا كمن فعله، ولذا لام سبحانه اليهود على ما فعله آباؤهم.

* وفيها كذلك صعوبة إيمان اليهود، إذ جعل سبحانه الطمع في إيمانهم مستغربًا، فكأن الطمع الذي يدل على صعوبة إيمانهم بعيد فكيف بالأمل أو قوة الرجاء؟؟

الفصل التاسع

الكنوز الإيمانية في القسم القرآني

١ ـ قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات: ١-٦).

الذاريات: هي الرياح تذروا التراب، **والحاملات**: هي السحب تحمل الماء حملاً ثقيلاً، **فالوقر**: هو الحمل الثقيل، **والجاريات**: هي السحب التي تجري بتيسير الله لها إلى أماكن إمطارها، **والمقسمات**: هي السحب التي بنزول ما فيها يرزق العباد رزقًا مقسومًا، وهذا كله بأمر الله، **وقيل: الحاملات والجاريات والمقسمات**: هي الرياح التي تحمل السحاب وتجري بيسر في السماء وتقسم الأمطار بأمر الله.

* يقسم الله بهذه المخلوقات على أن أمر الله واقع وصادق، وأمر الله هو قيام الساعة والحساب، ويلاحظ في هذا الفصل أننا سنذكر بعون الله تعلق المقسم عليه بالمقسم به، فالله خالق كل شيء وهذا كلامه، وكان من الممكن أن يقسم سبحانه بالقرآن المجيد كما أقسم في سورة (ق)، فكونه أقسم هاهنا بهذه الأشياء فإنه يدل على وجود حكمة في هذا القسم، أو بمعنى آخر توجد علاقة بين المقسم عليه والمقسم به، فإن قيل فما وجه هذه العلاقة؟ قلت: ورد في الحديث الصحيح أن الله ينزل من السماء ماءً فتنبت الأجساد من قبورها كما ينبت البقل، فكأن الله يقول: كما سقنا السحاب بالمطر لينزل فيحيى نبات الأرض؛ كذلك ينزل الله المطر بعد فناء الأرض لتحيى الأجساد، ولو قلنا المقسم به هو الرياح التي تسوق السحب فوجه التعلق على ما ذكرنا أيضًا.

٢ ـ قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ⑧ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ (الذاريات: ٧-٩)، يقسم سبحانه بالسماء ذات الخلق المستوي البديع على أنَّ الكفار في قول مضطرب غير متوافق يصرف به الناس عن القرآن، **وقيل الحبك:** هي الخطوط التي تبدو في سطح السماء بسبب السحب كوجه البحر الساكن إذا مر عليه النسيم، فإن قيل: فما وجه تعلق المقسم به بالمقسم عليه؟ قلت: كما أن السماء المحبوكة الخلقة قد يغير ظاهرها ما يبدو من خطوط بسبب السحب التي سرعان ما تزول لتبقى السماء بصفائها، فكذلك القرآن المحكم لا يتأثر بأقوال المشركين فيه، فإنما أقوالهم مجرد أكاذيب سرعان ما تزول ويبقى القرآن بصفائه ظاهراً، فأثر أقوالهم على صفاء القرآن كأثر الحبك على صفاء السماء وهو كلا أثر.

٣ ـ قال تعالى في سورة الطور: ﴿وَالطُّورِ ① وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (الطور: ١-٧)، أقسم سبحانه بالطور الذي كلم عنده موسى وباللوح المحفوظ الذي كتب ما فيه في سطور في جلد رقيق منشور، وبالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إلى يوم القيامة، وبالسماء التي هي سقف مرفوع فوق الأرض، وبالبحر الذي في أعماقه نار مسجورة .. يقسم بذلك كله على أن عذاب الرب واقع، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قد أنزل الكتب ومنها التوراة التي أنزلت على موسى في طور سيناء، وأرسل الرسل لتبليغ الشرع ولإقامة الحجة على العباد، فآمن من آمن وكفر من كفر، فكيف يسوي بين الطائع والعاصي؟ لابد من وجود عذاب يقع بالعاصي ليتميز عن المؤمن، وهذا العذاب آتٍ لا محالة بعدل الله، فقد كتب سبحانه أعمال العباد كلهم في اللوح المحفوظ بل تكتبها الملائكة في كتب مسطورة من

جلود رقيقة منشورة، ومهما كثر عدد العصاة فإن الله قادر على تعذيبهم جميعًا، فالملائكة أعدادها مهولة إذ يدخل كل يوم البيت المعمور في السماء سبعون ألف ملك لا يعودون إلى يوم القيامة، وليس تعذيب الله للعصاة لاحتياج الله لعبادتهم بل هو الغني عنهم وعن عبادتهم، فعنده سبحانه في السماء أعداد هائلة من الملائكة العباد حتى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إلى يوم القيامة، فإذا أراد الله مجيء القيامة أزال السماء ﴿السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾، وما فيها، فهو الذي يمسكها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ (فاطر: ٤١)، وأشعل البحر نارًا إذ تحت البحار في أعماقها السحيقة نار مسجورة.

٤ ـ قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥-٧٧)، يقسم سبحانه بمواقع النجوم على أن المنزل على محمد ﷺ قرآن كريم من عند الله، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن النجوم كما ثبت حديثًا هي مصادر المعادن الموجودة على سطح الأرض، إذ بانفجار النجوم تنزل الشهب المحملة بالمعادن والعناصر الهامة، فكما أن نزول النجوم يصاحبه الخير العميم، فما أكرمها على ذلك!! فكذلك نزول القرآن يصاحبه الخير العميم، فما أكرم كتاب الله!! فيه نبأ من قبلنا، وحكم ما بيننا، وخبر من بعدنا، ينهل منه العارف العابد والعالم الفقيه والأصولي المتبحر وعالم اللغة وعالم التوحيد وعالم الحديث وعالم الطب والفلك والطبيعة، ثم ثواب قرآته كبير جدًا؛ الحرف بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، بل زاد كرمه لدرجة أنه يأتي شفيعًا لأصحابه يوم القيامة، بل وتظلل آل عمران والبقرة من حفظهما يوم القيامة، كما صح بذلك الحديث، بل تأتي سورة الملك شافعة لحافظها منجية له من عذاب القبر، بل جعل الله به الشفاء ففاتحة الكتاب رقية وأي رقية، والمعوذات تقي قارئها من كل شيء، وآية الكرسي تحمي قارئها قبل النوم من كل

الشياطين، وآخر آيتين من البقرة تكفي قارئها كل ليلة من كل شيء، وقل هو الله أحد يعدل ثوابها ثلث القرآن، والزلزلة ربعه، وغير ذلك من مظاهر الكرم التي لا تعد ولا تحصى.

٥ ـ قال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (الصافات: ١-٤)، يقسم سبحانه بالملائكة التي تصف وتتراصّ صفوفًا عند صلاتها في السماء، وبالملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه، وبالملائكة التي تتلو القرآن وتسبح الله، يقسم سبحانه بذلك كله على أن الله إله واحد، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أنه لو كان للكون إلهان أو ثلاثة كما يزعم المشركون ـ تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا ـ لو كان الأمر كما يقولون لما استقام أمر الكون ولا انتظم، فكيف يكون مع الله إله آخر وقد بلغ الكون من كمال الانتظام ما لا مثيل له حتى أن الملائكة تصف عند ربها صفوفًا منظمة منتظمه!!! وإذا كان الله قد سخر الملائكة لتسوق السحاب لينزل المطر بإذن الله فتحيا الأرض بالنبات الذي يحتاجها الإنسان والحيوان لحياة البدن، فكيف يكذِّب الكفار بتسخير الملائكة لتبليغ الذكر للرسل البشريين لصلاح القلوب والأرواح؟؟ أفليست حياة القلب بأهم من حياة البدن؟؟

٦ ـ قال تعالى في سورة العاديات: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: ١-٦)، يقسم الله بالخيل التي تعدو بالفرسان المجاهدين في سبيل الله فتوري النار من أثر حافرها إذا ضربت الحجارة وتثير الغبار في أرض المعركة لشدة حركة القدم في التراب، فإذا انتصر الجيش صارت الخيل وسط أرض المعركة مجتمعة، يقسم بذلك كله على أن الإنسان كنود وجحود لنعمة الله، ووجه العلاقة أن الله شرع الجهاد

الذي يشق على النفوس لما فيه قتل وهجران لأهل ومال شرعه لدعوةالكفار إلى دين الإسلام، فلولا كفرهم وكنودهم لما ترك المسلمون أوطانهم من أجل دعوتهم فهلا شكروا نعمة الله بتشريع الجهاد الذي يلاقي المجاهدون على الخيل فيه ما يلاقون، فهلا شكر الكافر الله بدلاً من طعنه في تشريع الجهاد وإتهام الإسلام بأنه دين الوحشية وسفك الدماء!! بل هلا تأمل الكافر الذي نجا كيف انتصر المسلمون مع قلة عددهم ولم يبق بساحة المعركة غير خيولهم .. أفلا يتأمل كيف انتصروا مع قلة عددهم فيؤمن بالله ربهم الذي نصرهم؟

٧ ـ **قال تعالى في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** (التين: ١-٦)، يقسم سبحانه بالتين والزيتون اللذين ينبتان بأرض الشام محل نشأة ودعوة عيسى عليه السلام، ويقسم بطور سيناء الذي هو محل تلقي موسى للرسالة، ويقسم سبحانه بالبلد الأمين مكة محل نزول الوحي على رسولنا صلى الله عليه وسلم ، يقسم بذلك كله على أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم يرده إلى أرذل العمر إلا المؤمن الحق فلا يصل إلى هذه المرحلة بل يظل يتمتع بكامل قواه العقلية حتى يموت، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن البدن كما يبدأ قويًا ثم يضعف في عامة الناس إلا أهل الإيمان، فكذلك الدين يبدأ قويًا في قلوب أهله المتمسكين به ثم مع تقادم الأمد ينسى الناس الدين ويضعف في قلوبهم إلا بقية تبقى حاملة للدين وتبلغه، وخص الرسالات الثلاث الكبرى بالذكر لكونها أكمل المناهج التي شرعها الله وأكثرها تابعًا.

* وبدأ بذكر مكان رسالة عيسى قبل موسى مع أن رسالته بعده لأن رسالة عيسى أصدق من ظهر عليها فتور الدين في قلوب أتباعها بعد رفع عيسى عليه السلام،

ثم فتور رسالة موسى عليه السلام في قلوب أصحابها أكبر منه في قلوب أصحاب رسالة محمد ﷺ، وأيضًا عدد من بقي حاملاً لرسالة عيسى الحق أقل ممن بقي حاملاً لرسالة موسى، ومن بقي حاملاً لرسالة موسى أقل ممن بقي حاملاً لرسالة محمد ﷺ، وأعني بمن حمل رسالة موسى وعيسى الحق أي قبل بعثة رسولنا وإلا فكل من أدركته الرسالة المحمدية ولم يؤمن فهو أضل من حمار أهله وأكفر ولا ينفعه عمل.

٨ ـ **قال تعالى في سورة الضحى:** ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (الضحى: ١-٤)، يقسم سبحانه بالضحى وبالليل على أنه ما ودع الرسول وما قلاه بفتور الوحي، بل كان فتور الوحي خيراً لرسولنا ﷺ، وما كان من الوحي بعد الفتور كان أحلى في قلبه، وخيراً لرسولنا منه قبل الفتور، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن الضحى محل العمل والكدح، والليل محل النوم والراحة، ولكن لابد من الليل واستراحة العبد فيه حتى يستطيع الكدح والنشاط بالنهار، فكذلك فتور الوحي عنك يا محمد إنما هو بمثابة فترة الليل التي لابد منها حتى تشتاق إلى الوحي وتقبل عليه بهمة فيكون مجيئه لك بعدُ كمجيء النهار بعد ليل استراح فيه المرء.

* ثم تأمل قول الله لنبيه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، ولم يقل: «وما قلاك» إذ التوديع يعني قطع الوحي عنه قطع المودع، وهو لا يقتضي إثمًا ولا نقصًا، فربما عزل المرء لا لسوء فيها، ولكن لمصالح كما عزل عمر سعدًا بن أبي وقاص وخالدًا بن الوليد، وهما من أصلح الناس للولاية، ولكن عزلهما لحكم ومصالح وأما القلى فهو البغض، ولا يكون إلا لسوء، فواجه الرب رسوله بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، ولم يقل: «ما قلاك» لئلا يخاطب الرسول بلفظ الهجران.

٩ - قال تعالى في سورة الليل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ١-٤)، يقسم سبحانه بالليل وغشيانه، وبالنهار وظهوره، وبنفسه الكريمة، فهو الذي خلق الذكر والأنثى، يقسم بذلك كله على أن سعي المؤمن والكافر مختلف، ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسم به أن الاختلاف بين المؤمن والكافر لحكم ومصالح فوجود الكافر يكمل مهمة المؤمن، فاختلافهما اختلاف تكامل كاختلاف الليل والنهار واختلاف الذكر والأنثى، فالليل محل راحة ليكمل النشاط بالنهار، وكذا الأنثى تمكث في البيت تربي الأولاد وتجهز للزوج طعامه وشئونه ليستطيع التفرغ للعمل والإتقان، فالذكر والأنثى متكاملان، وكذا سعي الكافر في الفساد والضلال فهو سبب لوجود عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعبادة الجهاد وعبادة الصبر على أذى الكفار، وابتلاء المؤمنين بتمكين الكفار وصبرهم على ذلك وغيرها من العبادات كالتوكل والرجاء والدعاء ومحبة الله والثقة في وعده ونصره، فلولا وجود العصاة والكفار لما نشأت هذه العبادات، فأكرم بأقسام القرآن وأعظم بها.

* ثم تأمل قوله تعالى بعد هذا القسم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (الليل: ٥-١٠)، فتأمل كيف قال: ﴿سَنُيَسِّرُهُ﴾ في حق الطائع والعاصي معًا، ولم يقل (سوف) التي تدل على المستقبل البعيد، ليدل على أن التيسير يعقب العمل ولا يتأخر عنه، فمن سعى في الخير فلينتظر تيسير الخير السريع، ومن سعى في الشر فليحذر من تيسير الشر السريع أيضًا.

١٠ - قال تعالى في سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦)

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ١-٩)، يقسم سبحانه بالشمس وضحاها، والقمر إذا أتى بعد الشمس ليلاً، وبالنهار إذا أظهر الشمس وجلاها، وبالليل إذا غطى الشمس، وبالسماء التي بناها الله بناءً عاليًا بلا عمد، وبالأرض التي بسطها الله من كل جانب، وبالنفوس التي سواها الله فألهمها فجورها وتقواها، يقسم بذلك كله على أنه قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دس الله نفسه، ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسم به ـ والله أعلم ـ أن التفكر في هذه المخلوقات وبديع خلق الله لها من أكبر أسباب تزكية النفوس، وكذا الإعراض عن التفكر والغفلة عنها من أكبر أسباب فساد النفس، فمستقل ومستكثر، فالمتأمل في السماء وبناءها بلا عمد وما اكتشف العلم الحديث من أشياء عجيبة في الفضاء، وكذا الأرض وكذا الشمس والقمر، والنهار والليل، وما فيها من أعاجيب، وكذا المتأمل في نفسه وتقلبها وتنوع إراداتها وما فيها من قدرات ومنازعات وخفايا، المتأمل في ذلك كله يوقن بوجود الله وإلهيته، وهذا أول درجات صلاح النفوس، ومع تزايد تدبره وتفكره و اطلاعه على الأبحاث العلمية والاكتشافات الحديثة تزداد الأعمال القلبية من محبة وتعظيم وإجلال وخوف ورجاء، فيكمل صلاح نفسه، والمعرض عن التأمل في ذلك ابتداءً ينكر وجود الله، وهذا أول دركات فساد النفس، ولا يزال إعراضه يتزايد مع الزمن حتى يتكامل فساد نفسه.

فإن قيل فلم لا يكون التفسير: «قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دسى نفسه؟» قلت: دليل ذلك نقلته عن فضيلة الشيخ ياسر برهامي في كتاب (القدر)، وليس هذا الكتاب محل بحث سبب الترجيح، ولكني أنبه هاهنا على أن هذا التفسير المرجح هو الأليق بسياق الآيات، إذ السؤال المتبادر: ولم أعرض البعضُ مع ظهور ووضوح قدرة الله بخلقه لهذه المخلوقات؟ فيكون الجواب: إنما

هي هداية الله لبعض النفوس حتى تدبرت وتفكرت، وإضلاله للبعض الآخر حتى أعرضوا وضلوا.

١١ - قال تعالى في سورة البلد: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ١-٤)، يقسم سبحانه بالبلد الحرام مكة، وبحلول النبي ﷺ فيه، إذ حلوله قد زاد البلد تعظيمًا وتشريفًا، وبالوالد وبذريته التي ولدها، يقسم سبحانه بذلك كله على أنه قد خلق الإنسان في كبد ومشقة وعناء، ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسم به: أن الله أكد مشقة الإنسان في هذه الحياة بذكر صور من هذه المشقة، فمنها مشقة الوالد بسعيه على رزق أولاده، فقد يصبر على الجوع ولكن كيف تتحمل نفسه رؤية أولاده محتاجين يبكون من الفقر والحاجة؟! وكذا من صور المشقة ما يلاقيه المرء من محاربة بسبب دينه كما حدث لرسولنا وأصحابه في البلد الحرام.

فإن قيل فلم ذكر هاتين الصورتين فقط؟ قلت: لكون شعور الأب بحاجة أولاده وفقرهم هو أعظم مشقة على نفسه في أمور الدنيا، وكذا صد المرء عن دينه هو أعظم مشقة على المرء في أمر دينه، فهذه الآيات تصبِّر المؤمن كأن الله يقول له: كما تلاقي المشاق بسبب التزامك بدينك، كذلك أهل الدنيا يلاقون المشاق في الكسب والسعي على الرزق الزائد عن حاجتهم، وكما يصبرون فاصبر فالحياة كلها مشقة وتعب، فإما أن تتعب بدنك وقلبك في الانشغال بالدنيا، وإما أن تتعب بدنك وتريح قلبك بالانشغال بأمر الآخرة، فليختر المرء لنفسه.

* ولما كانت مشقة الصد عن الدين أشد بدأ الله بها، وتأمل قوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾، فإنه يدل على التنقل من كبد إلى كبد، ومن مشقة إلى مشقة، فالمرء لا ينفك عن مشاق حتى يفضي إلى الآخرة فيستريح الراحة الأبدية إن كان من أهل الجنة، ويشقى الشقاء الحقيقي إن كان من أهل النار.

١٢ ـ قال تعالى في سورة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر: ١-٤)، يقسم سبحانه بفجر يوم النحر، وليالي عشر ذي الحجة، وبالشفع الذي هو يوما التشريق الأولان، والوتر الذي هو اليوم الثالث، وبالليل إذا يسري ويمضي، يقسم بذلك كله على انتصار الله للمؤمنين وانتقامه من أعداء الدعوة، وقد دل السياق على هذا المقسم عليه المحذوف؛ لقوله تعالى بعدها: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: ٥-١٤)، ويحتمل أن يكون المقسم عليه هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسم به: أن الله يقسم بفجر يوم النحر إذ بعده يدعوا الحجاج في المشعر الحرام، ومن ضمن دعائهم أو دعاء بعضهم على الأقل سؤال الله إهلاك الظالمين، ويقسم بليالي ذي الحجة التي يقوم الحجاج بأداء المناسك في نهارها ويدعون في طوافهم وسعيهم ويتعبد فيها العباد والزهاد والعلماء الربانيون، ويدعون ربهم في أسحارها برفع الظلم وإهلاك المجرمين، وبأيام التشريق الثلاثة التي فيها يدعوا الحجاج بعد رمي الجمار، ومن ضمن دعائهم سؤال الله إهلاك الظلمة، وبالليل الذي يكون ما شاء الله ثم يزيله الله، يقسم بذلك على أنه ناصر دينه وأتباعه ومهلك المجرمين، فيكون في القسم تنبيه على أهمية دعاء المؤمنين بإهلاك الله للظالمين خاصة أثناء أدائهم لمناسك الحج. وفيها تنبيه كذلك على أهمية الاجتهاد في عشر ذي الحجة، عسى القلوب أن تصلح بسبب اجتهادها فيها فتصير أهلاً لتمكين الله، فيحينئذ يأتي نصر الله وإهلاكه للمجرمين.

* وكما أن الله يأتي بالليل ثم يزيله فكذلك هو الذي مكن الظالمين وأبقى ليل الظلم والكفر مدة ما، ثم يزيله ليأتي نور التوحيد.

١٣ - قال تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (الطارق: ١١-١٣)، يقسم سبحانه بالسماء التي ينزل منها المطر ثم يرجع إليها بالتبخير، ويقسم كذلك بالأرض التي تنشق فيخرج منها النبات، يقسم بهما سبحانه على أن القرآن قول فصل يفصل بين الحق والباطل، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه: أن المطر لما ينزل على الأرض يميز بين الأرض الخبيثة والطيبة، فالطيبة ينبت فيها نبات الإيمان والخبيثة لا تنتفع به إذا كانت معدومة البذر فإذا كان فيها البذر الخبيث نبت النبت الخبيث، فكما يميز نزول المطر بين الأراضي، فكذلك يميز نزول القرآن بين القلوب.

تنبيه: اكتشف حديثًا أن الصوت يسمع بسبب انعكاس في السماء، فينزل إلى الأرض فيسمع فالسماء ترجع الصوت كما ترجع الماء، وكذا اكتشف أن الأرض حولها صدع (شق) ليكون متنفسًا للطاقة الهائلة التي سببتها الحمم البركانية تحت الأرض، ولولا هذا الصدع لانفجرت الأرض، فعلى هذه الحقائق يكون هناك متعلق آخر بين المقسم عليه والمقسم به لا أعرفه الآن، أسأل الله أن يفتح عليَّ أو على إخواني به - والله المستعان -.

١٤ - قال تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ١-٤)، يقسم سبحانه بالسماء وبالنجم الطارق الذي يطرق السماء بصوته فيثقب صمتها بطرقه على أن كل نفس عليها ملك يحفظ عليها أعمالها.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

تنبيه: اكتشف حديثًا وجود نجم ينبض بأصوات في الفضاء، ولكن لا يرى، وهذه الأصوات تسمع وسط الهدوء الذي في الفضاء كالمطرقة، وقد اكتشف صوت هذا النجم بأجهزة دقيقة جدًا، فذكر القرآن ذلك بدقة متناهية.

ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسَم به أنَّ هذا النجم لا يرى، ومع ذلك صدق العلماء بالفضاء بوجوده بسبب أثره الذي سمع بأجهزتهم، وكذلك الملائكة التي تحفظ على العبد عمله أو تحفظه من الأقدار التي لو خلي بينه وبينها لأصابته فهذه الملائكة لا ترى ولكن لا يعني ذلك الكفر بوجودها، إذ آثارها تدل على وجودها كما أن آثار النجم قد دلت على وجوده مع عدم رؤيته.

١٥ ـ قال تعالى في سورة البروج: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (البروج: ١-٤)، يقسم سبحانه بالسماء ذات البروج أي المنازل التي ينزل فيها النجوم والشمس والقمر، وبيوم القيامة فهو اليوم الموعود، ويقسم سبحانه بيوم عرفة اليوم المشهود كما صح بذلك الحديث، وبيوم الجمعة الشاهد كما صح به الحديث أيضًا، يقسم سبحانه بذلك كله على أن أصحاب الأخدود ملعونون معذبون. ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن الله الذي خلق السماء التي هي أكبر من خلق الإنسان ونظم أمرها، فالنجوم والشمس والقمر تنزل منازلها في وقت محدد ولا تتأخر عنه ولا تتقدم منذ خلقها الله الذي فعل ذلك بقدرته الهائلة العظيمة لا يعجزه الانتقام من أصحاب الأخدود ومن مثلهم ممن حارب الدعاة، ففي يوم القيامة اليوم الموعود يصلى هؤلاء الفجار النار العاتية جزاءً وفاقًا كما ألقوا أهل التوحيد في النار، وكيف لا يلعنهم الله ويعذبهم وقد فعلوا ما فعلوا من تعذيب للمؤمنين، بل والمؤمنون يدعون عليهم وعلى أمثالهم في يوم عرفة اليوم المشهود ويوم الجمعة الشاهد والدعاء فيهما مستجاب؟!

www.dar-alkotob.com دار الكتب

١٦ - قال تعالي في سورة الشفق: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (الإنشقاق:١٦-١٩)، يقسم سبحانه بالشفق وهو الحمرة التي تظهر بعد الغروب، وبالليل وما جمعه من خلق إذ عند دخول الليل يأوي كل مخلوق إلى مسكنه، وبالقمر إذا تكامل عند منتصف الشهر الهجري، يقسم بذلك كله على أن العباد لينتقلن من حال إلى حال، ووجه العلاقة بين المقسم عليه والمقسم به أن الليل يبدأ بظلام غير شديد ثم يزداد شيئًا فشيئًا حتى يغيب الشفق الذي يظهر أول الليل ثم يزداد حتى تكتمل الظلمة، وكذا القمر يبدأ هلالاً خافت الضوء ثم لا يزال يزداد حتى يكتمل ضوؤه ويصير بدرًا.

فكذلك بدأ نور الإسلام خافتًا كالقمر، ولكنه سيزداد حتى يكتمل كالقمر كما أن ظلمة الكفر والصد عن سبيل الله لم تزل تزداد كازدياد ظلام الليل، وكما أن نور القمر يظهر أكثر ما يظهر عند اشتداد الظلام، فكذلك كلما ازداد ظلام الكفر وبغيه كلما زاد الإيمان والدعوة بفضل الله.

١٧ - قال تعالى في سورة التكوير: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (التكوير: ١٥-١٩)، يقسم سبحانه بالخنس جمع خانس، وهو النجم المختفي في الفضاء الذي يجري في الفضاء ليكنس إليه ويسحب إليه النجوم الأخرى، وكذلك يقسم بالليل إذا أدبر، وبالصبح إذا أقبل بنسيمه وبرده، يقسم بذلك كله على أن القرآن كلام الله نقله الرسول الكريم جبريل، وبلغه لرسولنا ﷺ، فبلغه للناس.

تنبيه: ثبت علميًا وجود نجوم في السماء تجذب النجوم إليها وتكنس الفضاء من حولها، وهذه النجوم الجاذبة تسبح في الفضاء وتجري وهي خانسة لاترى بالعين المجردة، ولكن يعرف أثرها من انجذاب النجوم إليها، فوجه العلاقة بين

www.dar-alkotob.com دار الكتب

المقسم به والمقسم عليه أن ما في القرآن من دحض للباطل حتى يصير كالليل إذا تولى أو إظهار للحق حتى يصير كالصبح إذا ظهر كافٍ في الدلالة على أنه كلام الله، وإذا كان أحد لا يكذب بوجود ليل أو نهار لظهورهما فهلا صدقوا بأن القرآن كلام الله لظهور ووضوح كماله!! وليس عدم رؤيتهم لله ولا سماعهم لتكلمه به ولا سماعهم لوحي جبريل به لرسولنا ﷺ بمبرر للتكذيب بالقرآن، فها هو النجم الخانس في السماء لا يرى ولكن صدق الكفار بوجوده لوجود آثار تدل عليه من جذبه لما حوله من النجوم، فهلا رأوا تأثير القرآن على القلوب وجذبه لها بحلاوة منطقه وجزالة أسلوبه ليوقنوا بأنه من عند الله!!

١٨ - قال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (النازعات: ١-٥)، يقسم سبحانه بالملائكة التي تنزع روح الكافر ﴿غَرْقًا﴾ أي بشدة، وبالملائكة التي تنزع روح المؤمن ﴿نَشْطًا﴾ أي بيسر وسهولة، وبالملائكة التي تسبح في الكون لتنفذ أمر الله، وبالملائكة التي تتسابق بحمل أرواح المؤمنين إلى الجنة بسرعة وتتسابق كذلك في تنفيذ أمر الله، وبالملائكة التي تدبر أمر الكون بأمر الله، والذي منه قبض الأرواح، يقسم بذلك كله على مقسم به محذوف تقديره: «إن الآخرة لآتية»، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أنَّ موت المرء هو مقدمة حياته الآخرة، في الحديث: «**الموت أول منازل الآخرة**»، وإذا كانت الملائكة يتفاوت قبضها للأرواح فروح تُقبض بسهولة وتبشر بالجنة، وأخرى تقبض بعسر وشدة وتبشر بالنار، فلابد من مجيء القيامة لترى كل روح ما بشرت به، ولو لم تكن آخرة ولا قيامة يتميز فيها الطائع عن العاصي لتساوى قبض الملائكة للأرواح.

١٩ - قال تعالى في سورة المدثر: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝٣٢ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣٢-٣٦)، يقسم سبحانه بالقمر وبالليل

www.dar-alkotob.com دار الكتب

إذا ولى، وبالصبح إذا أتى على أن إرسال رسولنا لينذر البشر حدث جلل خطير، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه: أن مجيء رسالة رسولنا ﷺ كطلوع النهار على ليل الكون، فإن ليل الكفر المعنوي أشد من الليل الحسي، وضوء الشريعة المعنوي أشد من ضوء النهار الحسي، وإذا كان الله قد جعل القمر ليضيء للناس دنياهم في الليل فلم يستغرب الكفار من إيجاده سبحانه لشمس الهدى وسط ظلام الكفر لتضيء للناس قلوبهم؟

٢٠ - قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (المرسلات: ١-٧)، يقسم سبحانه بالملائكة التي يرسلها الله بالشرع الذي يأمر بالمعروف والخير، وبالملائكة التي تسير في الكون كالريح العاصفة لتنفيذ أوامر الله ونشر منهج الحق، فتفرق بين أهل الحق والباطل وتنذر وتذكر إعذارًا من الله إلى الخلق، يقسم بذلك كله على أن عذاب الله واقع، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أنَّ الله قد أقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فحق له أن يقيم الحساب، ولأنه إذا أرسل الرسل وأنزل الكتب فأطاع البعض وعصى آخرون فلابد من تفرقة بينهما، وذلك يوم القيامة يوم الفصل خاصة وأن الكفار قد أعرضوا وربما آذوا الدعاة وعذبوهم، فكيف لا ينتقم الله لدعاته وأوليائه؟!

٢١ - قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ (الحاقة: ٣٨-٤١)، يقسم سبحانه بما يبصر الناس وما لا يبصرونه على أن القرآن تبليغ رسولنا الكريم تبليغًا من عند الله، فليس رسولنا بشاعر ولا بكاهن، ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أنه يقسم سبحانه بما يراه الناس ومنه شمائل نبينا الظاهرة وما لا يراه الناس ومنه شمائل

www.dar-alkotob.com دار الكتب

نبينا الباطنة، فيقسم بذلك على أن رسولنا ﷺ صادق بار راشد كريم، لا يكذب على الله كيف وقد ترك الكذب على البشر؟

٢٢ ـ قال تعالى في سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم: ١-٢)، يقسم سبحانه بالقلم الذي يسطر به الناس الخطوط في الكتب، ويقسم بالمسطور في الكتب على أن رسولنا ليس بمجنون، فكأنه يقول: «لو كتبت بأقلام الدنيا كلها في أوراق الدنيا كلها لو كتبت فيها فضائلك وشمائلك يا محمد ما كفتها، فكيف تكون مجنونًا؟» ويحتمل أن يكون المعنى: «ما كتب قلم في أوراق فضائل بشري فيه من شمائل الخير وصفات الكمال ما فيك يا محمد، فكيف تكون مجنونًا؟» ويحتمل أن يكون القلم هنا هو أقلام الملائكة، فكأن الله يقول: «فكيف تكون مجنونًا والملائكة تكتب بأقلامها في كتبها لك من أعمال الخير التي تعملها ما لم تكتبه لغيرك، فكيف تكون مجنونًا والمجنون لا عمل له يكتب أصلاً؟».

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الخاتمة

لم يظهر لي في بعض الآيات سبب أو توضيح أذكره، لذا أخرتها إلى الطبعة القادمة إن شاء الله، عسى أن يكون قد اتضح لي شيء، ولكن يمكن أن أجمل ما يستفاد من هذا الكتاب فيما يلي:

١ ـ استعمال حرف جر مع فعل لا يستعمل معه حروف جر أصلاً، أو يستعمل معه حروف أخرى يفيد معاني جديدة.

٢ ـ آيات القرآن مرتبة لغرض وحكمة، وكذا الألفاظ، فتقديم كلمة على كلمة أو تأخيرها يضيف معنىً جديدًا، وأما السور فبعضها توقيفي وبعضها اجتهادي.

٣ ـ حلاوة الأساليب القرآنية ودقة ألفاظه وحسن دلالتها على المعاني.

٤ ـ لا يوجد في القرآن نقص ولا زيادة، فزيادة حرف لمعنى وكذا نقص الحرف كما في قوله تعالى: ﴿تَكُ﴾ بدلاً من (تكن)، وقوله: ﴿اسْطَاعُوا﴾ و﴿اسْتَطَاعُوا﴾.

٥ ـ إعجاز القرآن العلمي وإشاراته إلى بعض الحقائق المكتشفة حديثًا.

٦ ـ خير القرآن العظيم إذ فيه أدلة لمسائل كثيرة فقهية أو عَقَدِيَة أشار إليها بدقة وإيجاز.

٧ ـ لابد من التدبر لآيات الله وقراءتها على مهل ليستفيد المرء المعاني الإيمانية، ولينهل من المعارف والإشارات القلبية.

٨ ـ في القرآن تعرض لبعض الآداب الاجتماعية كآداب الملوك وآداب الضيافة وغيرها.

٩ ـ المقسم به في القرآن مقصود، فقول الله في سورة قٓ: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وليس ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ لغرض، وكذا كل قسم في القرآن.

١٠ ـ إذا ذكر الله قصة واحدة عدة مرات بألفاظ مختلفة، فإن اختلاف الألفاظ يفيد معاني جديدة.

١١ ـ أهمية العلم باللغة العربية وأساليبها لكمال الفهم لكتاب الله.

دار الكتب www.dar-alkotob.com

الفهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول ـ الكنوز الإيمانية في حروف الجر	٧
الفصل الثاني ـ حسن ترتيب القرآن	٢٢
أولاً ـ حسن ترتيب الآيات وترابطها	٢٢
ثانيًا ـ حسن ترتيب الألفاظ	٢٩
ثالثًا ـ حسن ترتيب السور	٤١
الفصل الثالث ـ حلاوة أسلوب القرآن ودقته	٤٢
الفصل الرابع ـ دقة الألفاظ القرآنية	٥٦
الفصل الخامس ـ حسن دلالة القرآن	١٤٥
أولاً ـ الدلائل العلمية الكونية	١٤٥
ثانيًا ـ دلائل مسائل التوحيد	١٤٩
ثالثًا ـ دلائل القرآن الفقهية	١٦٠
الفصل السادس ـ المعاني الإيمانية في القرآن	١٧٩
الفصل السابع ـ المعارف والإشارات الإيمانية	٢٣٨
الفصل الثامن ـ الآداب القرآنية	٢٥١
الفصل التاسع ـ الكنوز الإيمانية في القسم القرآني	٢٥٥
خاتمة	٢٧١

مكتبة الأندلس
0127873629 / 033252269